بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (٨)

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الداسات العليا

اجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية
بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم الرباعي : جمعان أحمد صالح الدبسي
القسم: التربية الإسلامية والمقارنة
الدرجة العلمية : ماجستير
التخصص : تربية إسلامية ومقارنة.
عنوان الاطروحة: الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد ، فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٥/١١/١٩هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فإن اللجنة المذكورة توصي بإجازة الاطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق.

اعضاء اللجنة

مناقش من خارج القسم	مناقش من القسم	المشرف
د. محمد طاهر نور ولي	د. عبدالله محمد حريري	الإسم : د. نجم الدين عبدالغفور الانديجاني
		التوقيع :

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د. محمد جميل بن علي خياط

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

(الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل)

إعداد الطالب
جمعان أحمد صالح الدبسي

إشراف الدكتور
نجم الدين عبدالغفور الانديجاني

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية
بجامعة أم القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستيرفي
التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الأول ١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

ملخص البحث

عنوان البحث: الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل.
اسم الباحث: جمعان احمد صالح الدبسي

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم » (سورة العلق من «١-٤»)

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ القائل «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به من بعده ، أو ولد صالح يدعو له»... وبعد :

يفنى الإنسان ويبقى ما ادخره من خير وصلاح ، وما ينفع الله به بعده ، ذكرى طيبة ، ودعوة صالحة. وبجهود العلماء ، وما يخلفونه من علم يبقى العلم ، وينتقل من جيل إلى جيل.

ومن العلماء الأثبات الذين كان لهم جهود طيبة ، وآثار خالدة ، لا يمحوها الزمان ، ولا تبليها السنون ، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فجزاه الله عما خلفه من آثار خالدة خير الجزاء.

وقد أراد الباحث في هذا البحث أن يّبرز مكانة الإمام أحمد بن حنبل بوصفه أحد الأئمة الأربعة ، والذي كان مربياً ناجحاً ، استطاع أن يجذب إلى حلقته بالمسجد كثيراً من طلاب العلم ، لأسلوبه المميز وغزارة علمه ، بلغ عددهم ما يربو على خمسة آلاف طالب ، وحيث إنه لم يعرف عنه إلا أنه عالم دين فقط ، ولم يَكْشفْ أحد عن الجوانب التربوية في فكره حتى الآن ، لأن الكشف عن تلك الجوانب يساعد في تأصيل مناهج التعليم ويساهم في مساعدة العاملين في المناهج وواضعي الخطط التربوية بالاستفادة منها في تطوير مناهج التعليم بما يتناسب وحاجات مجتمعنا الإسلامي.

كما يفيد العاملين في مجال التعليم بتعديل أساليبهم التربوية في مجالات التعليم المختلفة.

وقد استخدم الباحث في هذا البحث المنهج التاريخي بإعطاء فكرة موجزة عن حياة الإمام أحمد بن حنبل وعن عصره. كما استخدم المنهج الاستنباطي: في استنتاج الأفكار والنظريات التربوية عن الإمام أحمد ، وقد اقتصر الباحث على إستنباط الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل على بعض كتب الإمام احمد بن حنبل وبعض الكتب التي كتبت عنه وقد شمل هذا البحث الفصول التالية :-

الفصل الأول: خطة البحث

الفصل الثاني: أولاً: حياة الإمام احمد بن حنبل: ١- حياته ٢- عصره الذي عاش فيه.

الفصل الثالث: (ذكر الباحث) الفكر التربوي عند الإمام احمد بن حنبل.

الفصل الرابع: كيف يمكن الاستفادة من الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل في عصرنا الحاضر.

وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج منها :

١) حرص الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - على طاعة والدته منذ الصغر والعمل على تحقيق رغبتها فقد امتنع عن بعض رحلاته لطلب العلم بسبب شعوره بعدم رغبة والدته.

٢) اشتهر عصر الإمام أحمد بن حنبل بما يسمى النهضة العلمية (الإنفجار المعرفي) فقد اهتم خلفاء بني العباس بالعلم ونشره وانشأوا الدور المخصصة للعلم والترجمة مثل «بيت الحكمه في بغداد».

٣) يرى الإمام أحمد بن حنبل أن على طالب العلم أن يبدأ تعليمه بالقرآن الكريم كاملاً ، فإذا لم يستطع فيتعلم بعضه.

٤) كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. ينادي بإلزامية التعليم ، لأن العلم نور ، وهو الذي يهدي إلى طريق الحق والصواب.

٥) يرى الإمام أحمد أن على المسئولين عن التعليم عامة والمعلمين بخاصة ، الاهتمام بمادتي الإملاء والخط فهما الركيزتانالاساسيتان لنجاح الطالب في تعليمه.

الطالب	المشرف	يعتمد ، عميد كلية التربية بجامعة أم القرى
جمعان احمد صالح الدبسي	د/ نجم الدين عبدالغفور الانديجاني	عبدالعزيز عبدالله خياط

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً والصلاة على أفضل خلقه محمد ﷺ.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، على ما أنعم به علينا من أمن ، ورفاهية ، وعلى ما أنعم عليّ من توفيقه لإعداد هذا البحث.

ثم أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى معالي مدير جامعة أم القرى معالي/ الدكتور راشد الراجح ووكلاء الجامعة وإلى عميد كلية التربية سابقاً سعادة الدكتور/ حسن بن علي مختار وسعادة الدكتور عبدالعزيز عبدالله خياط عميد كلية التربية وإلى رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة سابقاً سعادة الدكتور/ محمود كسناوي . وإلى سعادة الدكتور/محمد جميل خياط رئيس قم التربية الإسلامية والمقارنة وجميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم على ما بذلوه ويبذلونه من جهود مشكورة لخدمة العلم وطلابه ، فلهم من الله الأجر والثواب ، ومن طلاب العلم خالص الدعاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لإستاذي الفاضل والمربي الجليل سعادة الدكتور/ نجم الدين عبدالغفور الأنديجاني ، الذي بذل الكثير من الجهد في إرشادي وتقديم كل ما احتاجه من مساعدة وفتح قلبه ومنزله لإستقبالي ليلاً ونهاراً بالرغم من كثرة مسئولياته ، مساهمة منه في خدمة العلم ونشره ، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل الله ثواب عمله هذا في ميزان حسناته يوم القيامة ، ووفقه لكل ما يحبه ويرضاه.

كما أتقدم بالشكر لسعادة الدكتور/ عبدالرحمن الشميري وسعادة الدكتور/ عنتر لطفي اللذين تفضلا بمناقشة خطة البحث وكان لتوجيهاتهما القيمة أثر كبير في إخراج هذا البحث. كما أشكر سعادة الدكتور/محمد طاهر نورولي وسعادة الدكتور عبدالله محمد حريري على تفضلهما وتشريفي بقبولهما مناقشة رسالتي هذه رغم كثرة مشاغلهما ، فجزاهما الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهما يوم لا ينفع مال ولا بنون. كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لسعادة الدكتور/ السيد احمد كامل الأستاذ - بكلية المعلمين بالطائف على ما قام به

من جهود مشكورة في مراجعة هذا البحث من الناحية اللغوية. كما أشكر كل من أسهم بجهد قليل أو كثير في إعداد هذا البحث وإخراجه على هذه الصورة.

وأخيراً أسأل الله العلي القدير التوفيق والعون. فما أصبت فيه فبتوفيق منه سبحانه وتعالى وما قصرت فمن نفسي ، وأسأله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو نعم المولى ونعم النصير.

الباحث.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة

قائمة المحتويات

الموضوع | الصفحة

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الفصل الأول

خطة البـــحث

١- التـــمـــهـــيـــد

٢- مـــوضـــوع البـــحث

٣- أهداف البـــــحث

٤- أهـــمـــيـــة البـــحث

٥- تســـاؤلات البـــحث

٦- حـــــدود البـــــحث

٧- منـــهـــج البـــــــحث

٨- الدراســـات الســـابقـــة

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين رغّب في العلم وحث عليه بإنزال أول سورة في القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ تدعو إلى العلم ، قال الله تعالى ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق ◦ خلق الإنسان من علق ◦إقرأ وربك الأكرم ◦ الذي علم بالقلم ◦ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ سورة العلق ، آية (١-٥).

كما أقسم سبحانه بأداة من أدوات العلم في قوله تعالى :

﴿ ن ، والقلم وما يسطرون ﴾ سورة القلم ، آية (١).

وأصلي وأسلم على أشرف خلقه نبينا محمد ﷺ هادي البشرية إلى طريق الحق بإذن الله تعالى. قال تعالى:

﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ سورة الشورى ، آية (٥٢).

كان ﷺ المعلم الأول حيث كان يعلم أصحابه أمور دينهم ، والقائل ﷺ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (أخرجه ابن ماجه ص٧٦). وبعد :

يلاحظ المهتمون بالتربية أن معظم الذين كتبوا فيها ووضعوا النظريات التربوية هم علماء غربيون. وكثير من الكتاب المسلمين يقتبسون من آرائهم ونظرياتهم ويعملون على تطبيقها والدعوة إلى ذلك رغم أن تراثنا الإسلامي الخالد «القرآن الكريم - السنة النبوية - وما كتبه العلماء المسلمون» في القرون الماضية مليء بالأساليب التربوية التي استخدمها العلماء المسلمون في التعليم في المدارس والجامعات الإسلامية والتي تخرج منها كثير من العلماء المسلمين الذين كان لهم دور كبير في نهضة الأمة الإسلامية وخصوصاً في عصر إزدهار الدولة الإسلامية في العصر العباسي. دليل على نجاح تلك الأساليب التربوية وتحقيق أهدافها، حيث تخرج منها أعداداً من علماء الأمة المشهورين من أمثال الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم.

ومن الأدلة على نجاح الأساليب التربوية التي كان علماء المسلمون يستخدمونها في التعليم بالمدارس والجامعات الإسلامية دور هذه المدارس وأنها كانت من العوامل

التي ساهمت في النهضة في أوروبا حيث انتقلت الحضارة الإسلامية إليها من عدة منافذ ومنها الأندلس.

ويرى الباحث أن السبب في عدم بروز هذه الأساليب التربوية ما يلي :

(١) كان العلماء المسلمون يكتبون عدة موضوعات في كتاب واحد وأحيانا لا تكون أفكارهم التربوية صريحة.

(٢) قصور من الباحثين في وقتنا الحاضر عن البحث والتقصي في تراثنا الإسلامي لإبراز هذه الأفكار والأساليب التربوية إلى حيز الوجود الذي يؤدي إلى «تأصيل التعليم الإسلامي». ويحقق البحث عن الأفكار والأساليب التربوية الإسلامية في كتب العلماء السابقين عدة أهداف منها :

(أ) ان البحث عن الأساليب التربوية يتيح لطلاب العلم من المسلمين الإستفادة من هذه الأساليب والأفكار التربوية لأنها مستمدة من شريعتهم الإسلامية وتحقق أهداف الإسلام.

(ب) تعريف علماء الغرب بأن العلماء المسلمين قد سبقوهم إلى وضع مثل هذه الأفكار والأساليب التربوية بل هي أفضل من النظريات التي أوجدها علماء الغرب. ولا يقصد الباحث من ذلك عدم الإستفادة مما كتبه علماء الغرب وخصوصاً ما كان منها لا يتعارض مع ديننا الإسلامي الحنيف وأخلاقنا الإسلامية. ويمكن تعديل ما يخالف التعاليم الإسلامية بما يوافق الإسلام والإستفادة منها.

(ج) توجيه شباب المسلمين بأن تراثنا الإسلامي يزخر بالمعارف المفيدة للبشرية من كافة الوجوه ومنها على سبيل الخصوص المجال التربوي وأن عليهم البحث في تراثنا لإستنباط ذلك.

(د) لا تتم الإستفادة من الدراسات التي تمت في إبراز الأفكار التربوية عند العلماء المسلمين إلاّ بإظهار هذه الدراسات في كتب عن طريق الباحثين المسلمين ليستطيع جميع طلاب العلم والباحثين من الوصول إليها والاستفادة منها وتطبيقها في التعليم لانها هي الأساليب التي تلائم المسلمين في كل بلاد لتمشيها مع أخلاقهم الإسلامية ولها أثر في ترسيخ المبادىء الإسلامية في نفوسهم حتى تنشأ أجيالنا

الإسلامية على أسس سليمة من تعاليم دينهم الإسلامي.

ولأهمية الرجوع إلى الأفكار التربوية التي اتبعها علماء المسلمين السابقين والاستفادة منها.

وفي هذه الدراسة قام الباحث بمحاولة إستخلاص الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل من بعض كتب الإمام أحمد بن حنبل أو بعض الكتب التي كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل وبيان مدى الإستفادة منها في عصرنا الحاضر.

موضوع البحث

المتتبع للتاريخ الإسلامي يجده مليء بسير العظماء والمصلحين الذين لعبوا دوراً بارزاً في صناعة التاريخ وخدمة الإسلام والدفاع عنه فسجل لهم التاريخ ذلك الجهد بحروف من ذهب. وهؤلاء العلماء والمصلحون هم الذين قامت على كواهلهم النهضة الإسلامية الشاملة التي عمت جميع البلدان التي فتحها المسلمون. فالمسلمون لم يكتفوا بنشر الإسلام وتعاليمه فقط وإنما اهتموا بنشر حضارتهم الإسلامية. فبجانب اهتمامهم بإنشاء المساجد إهتموا أيضا بإنشاء المدارس لتعليم أبناء البلاد التي فتحوها - حيث يعتبر التعليم نواة النهضة وأساسها في أي بلد -. ومن أمثلة ذلك إهتمام المسلمين بنشر التعليم والحضارة الإسلامية في اسبانيا بعد أن فتحوها وأنشأوا بها المساجد والتي من أشهرها جامع قرطبة - الذي لا يزال إلى يومنا هذا علامة بارزة على تفوق المسلمين في المجال المعماري - ثم اهتموا بإنشاء الجامعات في الأندلس ومنها : جامعة قرطبة واشبيلية التي أصبحت مورداً لطلاب العلم من شتى دول أوروبا. فكان من نتائج إهتمام المسلمين بالتعليم بروز عدد كبير من العلماء المسلمين الذين نبغوا في مجالات الحياة المختلفة في الشريعة الإسلامية والطب والهندسة والرياضيات والفيزياء والكيمياء .....

ومن اشتهر من علماء المسلمين في الفقه الإسلامي الأئمة الأربعة وهم: الإما أبو حنيفة والإمام مالك بن أنس والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل الذين بذلوا جهوداً مشكورة في الفقه الإسلامي. فأصبحت لهم مذاهب معروفة. كما أنهم اهتموا بالتعليم فكانت لهم حلقات في المساجد يتهافت إليها طلاب العلم.

فمثلاً الإمام أحمد بن حنبل ، كانت له حلقة في جامع بغداد يصل عدد الطلاب فيها إلى خمسة آلاف طالباً وكان الذين يكتبون منهم خمسمائة) (أبو زهرة ، ١٣٦٧هـ ، ص٣٩). وقد قال الشافعي في الإمام أحمد بن حنبل « أنت أعلم بالأخبار الصحاح منا فإذا كان خبر صحيح فأعلمني ، حتى أذهب اليه كوفيا كان أو مصريا أو شاميا » (ابو زهرة ، ١٣٩٧هـ ، ص٨٤) ، وقال الشافعي أيضا في الإمام أحمد بن حنبل «أحمد

إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقراء ، إمام في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة ». (ابن أبي يعلي ، د.ت، ص٤).

وقد ابتلي الإمام أحمد بن حنبل في خلافة المأمون والمعتصم والواثق حينما أقنع المعتزلة هؤلاء الخلفاء بالقول بخلق القرآن ولكن الإمام أحمد لم يقل بخلق القرآن فتحمل في سبيل ذلك السجن والضرب والأذى. يقول ابن سعد (١٣٧٧هـ) «وقد كان امتحن – الامام احمد بن حنبل – وضرب بالسياط أمر بضربه ابو اسحاق أمير المؤمنين ، على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول ، وقد كان حبس قبل ذلك فثبت على قوله ، ولم يجبهم إلى شيء ، ثم دعي ليخرج إلى الخليفة المتوكل على الله ، ثم أعطي مالا فأبى أن يقبل ذلك المال» (ص ٣٥٤).

للإمام أحمد بن حنبل كتب جليلة تتضمن كثيراً من الأفكار التربوية إضافة إلى جهوده المخلصة في علوم الدين من فقه وحديث وغيرهما .

وقام الباحث بعد توفيق الله باستخلاص بعض تلك الأفكار في المجال التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل من خلال كتبه وبعض الكتب التي كتبت عنه.

تتضمن كتب الإمام أحمد بن حنبل كثيراً من الفكر التربوي.

وسوف يقوم الباحث بمشيئة الله تعالى بإبراز هذه الأفكار التربوية من كتب الإمام أحمد ومن الكتب التي كتبت عنه حيث أن له جهوداً مشكورة في المجال التربوي بجانب جهوده المخلصة في علوم الدين.

سبب اختيار الموضوع.

للمكانة الكبيرة التي حظيّ بها الإمام أحمد بن حنبل بصفته أحد الأئمة الأربعة المشهورين في الفقه ، وحيث لم يعرف عنه إلاّ أنه عالم دين فقط وبعد الإطلاع على كتبه وبعض الكتب التي كتبت عنه تولدت لدى الباحث الرغبة في إبراز بعض الأفكار التربوية التي تضمنتها تلك الكتب من خلال حياة الإمام أحمد بن حنبل ومعاملاته.

وقد صادف الباحث بعض الصعاب في هذا البحث منها :

- قلة المراجع الموجودة في المكتبات داخل المملكة التي يمكن الإستفادة منها في الموضوع سواء من كتب الإمام أحمد بن حنبل أو الكتب التي كتبت عنه. ولم يجد من كت الإمام أحمد بن حنبل التي بلغت ستة وثلاثون كتاباً إلا القليل.

- والكتب التي تم الحصول عليها من كتب الإمام أحمد بن حنبل لم تتناول الجانب التربوي وإنما كان أغلبها في الحديث.

- لم يوجد للإمام أحمد بن حنبل كتباً في التربية يشير فيها إلى ما كان يستخدمه من أساليب تربوية في تعليمه أو ما يراه مناسباً من إرشادات وتوجيهات لطلاب العلم.

- لم يجد الباحث أي كتاب عن الإمام أحمد بن حنبل يتضمن أو يشير إلى الأفكار التربوية التي كان الإمام أحمد بن حنبل يستعملها في تدريسه أو يوصي بها طلاب العلم والمعلمين.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي :

(١) التعرف على الجانب التربوي في فكر الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) التعرف على أثر العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الفكر التربوي للإمام أحمد بن حنبل.

(٣) إستخلاص بعض التطبيقات التربوية من فكر الإمام أحمد بن حنبل.

(٤) مقارنة الفكر التربوي للإمام أحمد بن حنبل بالفكر التربوي المعاصر ومدى الاستفادة من أفكاره التربوية في العصر الحاضر.

أهمية البحث:

(١) إبراز مكانة الإمام أحمد بن حنبل بوصفه أحد الائمة الاربعة والذي كان مربيا ناجحا إستطاع أن يجذب إلى حلقته العلمية بالمسجد كثيرا من طلاب العلم لإسلوبه المميز وغزارة علمه. حيث لم يعرف عنه إلا أنه عالم دين فقط ولم يكشف عن الجوانب التربوية في فكره حتى الآن لان الكشف عن هذه الجوانب يساعد في تأصيل التعليم.

(٢) معرفة الجوانب التربوية في فكر الإمام أحمد تساهم في مساعدة العاملين في مجال المناهج وواضعي الخطط التربوية للاستفادة منها في مناهج التعليم.

(٣) وتفيد معرفة الجوانب التربوية في فكر الإمام أحمد العاملين في مجال التعليم للاستفادة منها بتعديل أساليبهم التربوية في التعليم.

تساؤلات الدراسة:

(١) ما العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أثرت في صياغة فكر الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٢) ما هي فلسفة التربية عند الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٣) ما أهداف التربية عند الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٤) ما الصفات التي ينبغي أن تتوفر في المعلم في ضوء فكر الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٥) ما الصفات التي ينبغي أن تتوفر في المتعلم عند الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٦) ما طريقة التدريس عند الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٧) ما مدى إهتمام الإمام أحمد بن حنبل بتعليم المرأة ؟

(٨) ما الأساليب التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل ؟

(٩) ما المنهاج الدراسي عند الإمام أحمد بن حنبل ؟

(١٠) ما رأي الإمام أحمد بن حنبل في الزامية التعليم ؟

حدود الدراسة:

يتضمن البحث إبراز الأفكار التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل من كتبه ومن الكتب التي كتبت عنه ومنها :

أولاً : كتب الإمام أحمد بن حنبل:

(١) كتاب الزهد.

(٢) الرسالة السنية في الصلاة وما يلزم فيها.

(٣) كتاب السنة.

(٤) فضائل الصحابة.

(٥) مسائل الإمام أحمد.

وقد اقتصر الباحث على هذه الكتب لأنها تتضمن من الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل أكثر من غيرها.

ثانياً : كتب عن الإمام أحمد بن حنبل:

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام - أبو الحسن الندوي.

(٢) الإمام أحمد إمام أهل السنة - عبد الغني الدقر.

(٣) مناقب الإمام أحمد بن حنبل - أبو فرج عبدالرحمن الجوزي.

منهج الدراسة:

(١) المنهج التاريخي:

«وهو المنهج الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويحللها ويفسرها على أسس علمية دقيقة ، بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا على فهم الماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل» (عبدالحميد ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٠٣).

(٢) المنهج الإستنباطي:

« وهو المنهج الذي يقوم على تجميع النصوص المتعلقة بقضية معينة ودراستها وتفسيرها واستخلاص النتائج » (المرجع نفسه ، ص ١٣٦).

وقد استخدم الباحث هذين المنهجين للوقوف على العصر الذي عاش في الإمام أحمد بن حنبل ، وتتبع حياته وفكره التربوي للتعرف على الفكر التربوي عنده ، من خلال النظر في مؤلفاته وما كتب عنه ، وتحليل ما يتعلق منها بالتربية لاستخراج الفكر التربوي منها.

وقد اتبع الباحث الخطوات الإجرائية التالية :

١- حصر ما يمكن من كتب الإمام أحمد بن حنبل والكتب التي كتبت عنه.

٢- تحليلها للوقوف على ما تتضمنه من فكر تربوي.

تحديد المصطلحات:

١- يسير الباحث على خطوات التوثيق التي أعدتها كلية التربية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

أ) وضع لقب المؤلف في أول الاقتباس وسنة الطبع ثم وضع رقم الصفحة في آخره.

ب) وضع لقب المؤلف وسنة الطبع ورقم الصفحة في آخر الإقتباس. ثم يذكر البيانات كاملة عن المؤلف والكتاب في قائمة المراجع.

٢- استخدم الباحث رمز (د.ت) للدلالة على عدم وجود تاريخ نشر للكتاب المقتبس منه.

٣- بعض المصطلحات مثل (دانق ، فيد ، فم الصلح. قام الباحث بتوضيحها داخل قوسين بعد كل منها).

الدراسات السابقة:

يفيد معرفة الدراسات السابقة الباحث في التعرف على البحوث والدراسات التي تمت في ميدان بحثه والمواضيع التي تناولتها هذه البحوث وأن يميز بحثه عن تلك البحوث حتى لا يكون مكرراً.

وحيث إن الإمام أحمد بن حنبل قد كتب عنه عدة بحوث في الجانب الشرعي وهي :-

١) بحث بعنوان « الرأي عند الإمام أحمد » للطالب/ عثمان ابراهيم بن مرشد المرشد لدرجة الماجستير. بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الملك عبدالعزيز مكة المكرمة - عام ١٣٩٣هـ - ١٣٩٤هـ وهذه الدراسة لم تتمضن أي معلومات عن أهداف الدراسة ، والمنهج الذي استخدمه الباحث في بحثه. ولم تتضمن النتائج والتوصيات التي توصل اليها الباحث في بحثه هذا.

ويشمل هذا البحث الموضوعات التالية :-

١) التمهيد - ويتناول حصر أصول الإمام أحمد في الاجتهاد وتعريفاً موجزاً بها.

الأصل الأول : الكتاب

الأصل الثاني: السنة: تعريفها - حجتيها - أقسامها بالنظر الى طريقة ثبوتها.

حكم العمل بالأحاديث حسب درجتها.

الأصل الثالث: الإجماع

الأصل الرابع: الرأي: معناه - نشأته وأقسامه

الباب الأول: القياس وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول: القياس ومذهب الامام احمد فيه ....

الفصل الثاني: أركان القياس وشروطه....

الفصل الثالث: ما يجري في القياس من احكام

الباب الثاني في المصلحة المرسلة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: معنى المصلحة المرسلة.

الفصل الثاني: مذاهب العلماء في الاحتجاج بها.

الفصل الثالث: مذهب الامام احمد في الاجتماع بالمصلحة المرسلة.

الباب الثالث: في الاستحسان: وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في بيان حقيقته.

الفصل الثاني: في بيان انواعه

الفصل الثالث: في بيان مذهب الامام احمد في الاستحسان.

(٢) بحث بعنوان « الامام احمد محتسباً » *للطالب/ عبدالله* سعد بن *عزة الغامدي* لنيل درجةالماجستير - بجامعة الإمام محمد بن سعود - كلية الدعوة والإعلام. عام ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

ولم يشر الباحث في بحثه هذا عن اهداف الدراسة وانما اشار إشارة عابرة ضمن مقدمة البحث أنه «يهدف الي إبراز سمة من سمات الامام احمد بن حنبل وهي الإحتساب» ولم يذكر الباحث المنهج الذي استخدمه في بحثه - ولا أهم النتائج والتوصيات التي توصل اليها. وقد شمل البحث الموضوعات التالية :

المقدمة : التعريف اللغوي للحسبة - التعريف الاصطلاحي للحسبة - وجوب الحسبة على الأمة.

الأدلة من الكتاب ومن السنة

وضع الحسبة والمتحسبين قبل عصر الإمام احمد وأثناء وجوده.

الفصل الأول:

المبحث الأول: نبذة موجزة عن حياة الإمام احمد بن حنبل من حيث مولده - نسبه - نشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعمل ورحلاته في سبيل ذلك.

المبحث الثالث: اشتهاره بالحديث وجمعه بين الفقه والحديث.

الفصل الثاني:

المبحث الأول: منهج الامام احمد في الإحتساب

المبحث الثاني: احتسابه في محنة خلق القرآن

المبحث الثالث: احتسابه في الرد علي الجهمية والزنادقة.

المبحث الرابع: احتساب الامام احمد في كتابه الى مسعود بن مرهد.

(٣) بحث بعنوان « جزء من كلام احمد في علل الحديث ومعرفة الرجال » تحقيق ودراسة *الطالب/ عبدالله بن وكيل الشيخ* - لنيل درجة الماجستير - جامعة الإمام محمد بن سعود - أصول السنة وعلومها عام ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ ولم يتضمن هذا البحث رقم ضخامته أي معلومات عن أهداف الباحث من هذا البحث ولم يوضح المنهج الذي استخدمه في بحثه - ولم يشمل هذا البحث ايضاً النتائج والتوصيات التي توصل اليها الباحث.

وقد شمل هذا البحث الفصول التالية:

المبحث الأول: العلة.

تعريفها - أهمية معرفة علل الحديث.

المبحث الثاني:

وصف نسخة السؤالات وتوثيقها.

المبحث الثالث: دراسة تفصيلية عن السؤالات.

(١) مشتملات السؤالات اجمالاً وأهميتها.

(٢) دراسة تفصيلية للسؤالات

القسم الثاني: تحقيق النص وبيان الاسلوب الذي استخدمه الباحث في ذلك ..

(٤) بحث بعنوان « مسائل الإمام احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه » « المناسك والكفارات » برواية: اسحاق بن منصور الكوسج . تحقيق ودراسة *الطالب/ عبدالله سفر مسفر الحجيلي* » لنيل درجة الماجستير في شعبة الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

ولم يذكر الباحث في بحثه اهداف الدراسة وانما اشار ضمن الاسباب الداعية لإختيار الموضوع ومنها:

١) رغبته في ان تكو موضوعه للماجستير تحقيق مخطوطة.

٢) منزلة الإمام احمد واسحاق بن راهويه في الفقه والحديث.

٣) لما يشتمله الكتاب من مسائل للإمام احمد بن حنبل.

٤) أهمية مسائل الحج والعمرة والحاجة الماسة الى توضيحها للمسلمين.

ولم يشمل البحث توضيحاً للمنهج الذي استخدمه الباحث او شيئاً من النتائج والتوصيات التي توصل اليها الباحث في هذا البحث.

ويتكون هذا البحث من الفصول التالية :-

أولاً : القسم الدراسي واشتمل على مقدمة – سبب اختبار الموضوع – خطة البحث ويقصد بها الباحث فصول البحث ».

الباب الأول: دراسة المؤلف الامام احمد بن حنبل – والعصر الذي عاش فيه ، واسماعيل راهويه والعصر الذي عاش فيه.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب المحقق

ثانياً : القسم التحقيقي :

ويوضح الخطوات التي اتبعها في تحقيقه للكتاب.

٥) بحث بعنوان « مسائل الامام احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه » النكاح والطلاق » برواية اسحاق بن منصور الكوسج تحقيق ودراسة *الطالب/ عبدالله بن* معتق *السهلي* – لنيل درجة الماجستير في شعبة الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥ – ١٤٠٦هـ

لم يذكر الباحث أهداف البحث وانما ذكر أسباب اختيار الموضوع ومنها :

١) رغبة الباحث في ان يكون موضوع بحثه عن تحقيق كتاب يمكنه من الإطلاع على مصادر الفقه القديمة.

٢) مكانة الامامين: احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الحافظان الفقيهان المحدثان.

٣) منزلة المسائل في الفقه الحنبلي.

٤) شمول هذه المسائل لجزئيات دقيقة في الموضوع الذي تناوله قد لا توجد في الكتب الفقهية المتخصصة.

٥) المشاركة في اخراج هذا الكتاب النفيس الي حيز الوجود.

أما المنهج الذي اتبعه الباحث والنتائج والتوصيات فلم يذكر عنها شيئاً. وقد اشتمل هذا البحث الفصول التالية :

الفصل الأول: عصر الإمام احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه والكوسج

الفصل الثاني: ترجمة الامام اسحاق الكوسج

الفصل الثالث: في ترجمة الامام احمد

الفصل الرابع: ترجمة اسحاق بن راهويه

الفصل الخامس: ترجمة سفيان الثوري

الفصل السادس: في التعريف بمسائل الكوسج وبيان أهميتها وميزتها – ومسائل الامام احمد.

بالنظر في هذه الدراسات نجد أنها تهتم بالجانب الشرعي مع ذكر نبذة موجزة عن حياة الإمام أحمد بن حنبل.

أما الباحث فسيقوم في بحثه هذا بمشيئة الله بالتركيز على الجانب التربوي في فكر الإمام أحمد بن حنبل مع اعطاء نبذة مختصرة عن حياته والعصر الذي عاش فيه.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات التعرف على المنهج والأسلوب الذي استخدمه الباحثون في التعريف بعصر الإمام أحمد بن حنبل وحياته والطريقة التي تم بها تنسيق ذلك من خلال ما هو متبع فيها.

الفصل الثاني

أولاً : عصر الإمام أحمد بن حنبل

١ - الحياة الدينية

٢ - الحياة السياسية.

٣- الحياة الإجتماعية.

٤ - الحياة الإقتصادية.

٥ - الحياة الثقافية.

ثانياً: حياة الإمام أحمد بن حنبل

مولده ونشأته - نسبه - صفاته وشخصيته - طلبه للعلم - رحلاته في طلب العلم - شيوخه - تلاميذه - آراء العلماء فيه - محنة الإمام أحمد - زهده - مصنفاته.

أولاً: عصر الإمام أحمد بن حنبل

١ - الحيــــاة الدينيــــة

٢ - الحيـاة السـيـاسـيـة.

٣- الحيـاة الإجتـمـاعـيـة.

٤ - الحيـاة الإقـتـصـادية.

٥ - الحيــاة الثـقـافـيـة.

أولاً : عصر الإمام أحمد بن حنبل

ذكر عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم – والله أعلم أذكر الثالث ؟أم لا – ثم يظهر قوم يشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، ويفشو فيهم السمن» (أخرجه البخاري ٧/٥ ».

وحيث إن الإمام أحمد قد ولد في القرن الثاني الهجري فأحسب والله أعلم أنه يشمله الحديث الشريف السابق الذكر ، وبذلك يعتبر من خير القرون ، كما قال صلى الله عليه وسلم. وقد عاش الإمام أحمد في العصر الأول من الدولة العباسية وقد امتاز هذا العصر من الحكم العباسي بالقوة ، وثبات الحكم ، وامتداده في الآفاق الكثيرة والبعيدة ، مع الإختلاف في العناصر والبيئات ، والعقائد والآراء ، والصراع في ذلك كله. وإن بدا ما يخل بالأمن أو يعكر الصفو فما أسرع أن تخمد الدولة أنفاسه بمضاء وقدرة» (الدقر ، ١٤٠٨: ص١١)

وقد بلغت الدولة الإسلامية أقصى إتساعها في زمن الخلافة الأموية ، لذلك كان فترة الحكم العباسي فترة إستقرار اهتم فيها الخلفاء العباسيون ، بتحسين الأمور الداخلية للدولة فانتشر الأمن وعم الرخاء سائر أرجاء الدولة العباسية وبدأ الاهتمام بالثقافة حيث امتزجت الثقافة العربية بالثقافات المعروفة في ذلك العصر مثل الثقافة اليونانية ، والهندية ، الفارسية ، والرومانية وكثرت حركة الترجمة من هذه اللغات والثقافات إلى اللغة العربية ، وهذا أدى إلى انتشار العلم وتعدد فروعه مثل: الطب ، الرياضيات ، الفلك ، علم الكلام ، الفلسفة. وشارك في الحكم وقيادة الجيوش الفرس والأتراك بينما كان العصر الأموي يقتصر الحكم فيه على العرب فقط ويمكن أن يتناول الباحث هذا العصر بشيء من التفصيل:

أولاً: الحياة الدينية:

امتازت هذه الفترة من الحكم العباسي بوجود العلماء العاملين من الزهاد ومن التابعين وأتباع التابعين لقرب هذه الفترة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين والصحابة ، لذا كانت هذه الفترة فترة استقرار وخير وكان الناس فيها مطمئنين تحت راية الإسلام وفي ظلال عدالته.

ويمكن التحدث عن الحالة الدينية من النواحي التالية:

١) أثر هذه الفترة في العلوم الإسلامية.

لقد كان لهذه الفترة أثر بالغ في العلوم الإسلامية حيث وفق الله علماء المسلمين لعمل ما يحفظ الشريعة وعلومها ، فكان لعملهم في هذه الفترة اثار خيرة باقية إلى يومنا هذا وستبقى إلى الأبد إن شاء الله» (ص٩)

يذكر د/حسن ابراهيم ١٣٩٦هـ «ومن العلوم التي اشتغل بها العباسيون علم القراءات ، وتعتبر المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم ، وتتركز النواة التي بدأ بها هذا العلم في القرآن نفسه وفي نصوصه نفسها ،

ولما كان الحديث يشغل كل عناية المسلمين في صدر الإسلام ، اعتبر التفسير جزءاً من الحديث أو فرعاً من فروعه ، حتى إن التفسير في ذلك العهد كان تفسيراً لآيات مبعثرة غير مرتبة ، حسب ترتيب السور والآيات ، إلا تفسير ابن عباس. ومن أشهر المفسرين: إبن جريج ، والسدى ، ومقاتل ابن سليمان الأزدي (وقد تأثر بتفسير التوراة).

وفي إطار إهتمام المسلمين بالحديث تم في هذا العصر جمع كتب الحديث ومنها الصحيحان وبقية الكتب الستة. وقد نشأ عن دراسة القرآن الكريم والحديث الحاجة إلى تعلم النحو واللغة.

وقد ظهر للفقه في هذا العصر مدرستان: مدرسة أهل الحديث في الحجاز عامة لأنها مهد السنة وعلى رأسها الإمام مالك بن أنس ، ومدرسة أهل الرأي في العراق وعلى رأسها الإمام أبو حنيفة. كما اشتهرت المذاهب الأربعة : وهي مذهب الإمام مالك

إمام أهل الحجاز وزعيم الفقهاء ، الذين يأخذون بطريقة أهل الحديث ، ومذهب أبي حنيفة إمام أهل العراق وزعيم الفقهاء الذين يأخذون بطريقة الرأي والعقل لأن العراق بلد جديد في الإسلام بالنسبة للحجاز ، وهو بعيد عن موطن السنة وله تراث حضاري ، فأهله محتاجون إلى ما يقنعهم ، ومذهب الشافعي وكان يسير أولاً على طريقة أهل الحجاز ، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين ، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل وكان من كبار المحدثين ، واختص هو وأصحابه بالمذهب الحنبلي الذي يبعد عن الإجتهاد » (الشرباطي ، د.ت. ص١٢٥ ، ١٦٦).

وفي رواية الحديث كان الصحابة يحفظون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك التابعون ثم تابعو التابعين ؛ ولذلك كان من السهل معرفة التابعي أو تابع التابعي وحال من يروي عنه الحديث عن الصحابي ، والصحابة كلهم عدول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم – ولكن عندما طال السند وإتسعت رقعة الإسلام وتفرق العلماء ، وشاع الكذب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح من الصعب على العالم معرفة الحديث الصحيح خلافاً للإنسان العادي فقيّض الله علماء أجلاء ومحدثين حفاظاً لجمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان الصحيح من غيره مما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء العلماء الأجلاء : -الإمام أحمد بن حنبل – والإمام البخاري والإمام مسلم والترمذي ، والنسائي وابن ماجه وغيرهم ممن اهتم بمعرفة ودراسة رجال الحديث.

قال (الذهبي ، ١٤٠٩هـ) « وكان لذلك – بروز رجال اهتموا بدراسة حال رواة الحديث – أثر بالغ في الحياة الدينية ، ليس في تلك الفترة فقط ولكن في جميع العصور، ، وكان من الأئمة الذين كان لهم دور بارز في هذا النشاط العظيم الإمام أحمد بن حنبل ، فلقد كان مقدماً في هذا الباب ، فإذا تكلم أحمد انصتوا ، ممن عدله فهو العد ومن جرحه فهو المجروح ، فكان الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله – إماماً للائمة الاعلام الذين يقبل قولهم في الجرح والتعديل ، ومن مثل ذلك يقول «عمرو النقاد» أحد أئمة الحديث في ذلك العصر: إذا وافقني أحمد بن حنبل على حديث لا أبالي من خالفني » (١١/١٩٨).

٢) إهتمام الخلفاء بنشر الإسلام:

كان للخلفاء العباسيين – خصوصاً في هذا العصر – عصر الإمام أحمد بن حنبل – كان لهم جهودٌ مشكورة واهتمام بالغ بنشر الإسلام ومحاربة الكفار والمبتدعين وأصحاب الأهواء الضالة ، وكانوا يحافظون على الدين ، وتعاليمه ويعطونه كل اهتمامهم ولا يتهاونون في أمره ، ولذلك كان الجهاد بين المسلمين والكفار مستمراً ومن ذلك الحروب التي وقعت بين الرشيد والروم يقول (الخضري (١٤٠٦هـ) «عندما اتفقت ملكتهم "إريني" على الصلح مع هارون الرشيد خليفة المسلمين والمهادنة مقابل جزية تقوم بدفعها له –الرشيد– وذلك لما رأته من الحاح المسلمين عليها بالحرب وعدم قدرتها على الدفاع ولكن بعدها جاء الملك نفقور – ملك الروم– وأرسل إلى هاون الرشيد كتاباً يقول فيه: من نقفور ملك الروم إلى هارون الرشيد ملك العرب. أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي .... وحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قِبَلَك من أموالها ؛ وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك ، وإلاّ فالسيف بيننا وبينك ، فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نفقور كلب الروم ، قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام » ثم سار بجيش كبير وحاربه وانتصر عليه وأخيراً طلب نفقور الصلح مع المسلمين مقابل أن يدفع الجزية ولم يرض الرشيد إلا بأن تكون الجزية مضاعفة عما كانت تدفعه الملكة التي قبله » (ص١٣٠-١٣٢) ومن ذلك ، ما فعله المعتصم عندما استنجدت به امرأة مسلمة أسرت في بلدة «عمورية» فجهز جيشاً وحارب الروم وانتصر عليهم ملبياً نداء «وآ معتصماه). وكان الخلفاء العباسيون يطبقون أحكام الشريعة الإسلامية ، وكانوا يستشيرون العلماء ، ويتخذون مؤدبين لأولادهم منهم ، كما كانوا يجزلون لهم العطاء. وقد كان الرشيد يحج سنة ويغزو سنة.

ومما يدل على إجلالهم للعلم وأهله أنه دخل شريك على المهدي فقال له: لا بد من ثلاث: إما أن تلي القضاء ، أو تؤدب ولدي وتحدثهم ، أو تأكل عندي أكلة – ففكر ساعة ، ثم قال الأكلة أخف علي» ورحل هارون الرشيد بولديه الأمين والمأمون

لسماع الموطأ على مالك ، وكان المأمون يحفظ القرآن » (السيوطي ، ١٣٥١هـ: ص٢٧٥و ص٢٩٤)

٣) ظهور المذاهب المختلفة.

قال (الذهبي ١٣٩٣هـ) «كان في هذه الفترة بدع مختلفة في الدين منها ما كان موجوداً من قبل كالقدرية ، والخوارج ، ومنها ما ظهر في تلك الفترة كفتنة القول بخلق القرآن ، وكان العلماء يوضحون للناس أمر هذه البدع ، ويجتهدون في نصح الأمة ، وتبليغ السنة ، وكان الخلفاء لا يفترون عن معاقبة الزنادقة ، وحفظ أمر الدين ، إلا ما كان من اغترار بعض الخلفاء بفتنة خلق القرآن ، فلقد قضى الخليفة (المهدي) ابن المنتصر على فتنة «المقنع الخرساني» في إحدى قرى "مرو" الذي كان يقول بتناسخ الأرواح ، فاستغوى بشراً كثيراً ، وقضى «المأمون» "والمعتصم" على فتنة «بابل» خراسان الذي ادعى الألوهية «ص ١٠٩ ,٢٣٤ ,٢٣٥ ». وقد توعد هارون الرشيد بشراً المريسي » الذي قال بالقول بخلق القرآن بضرب عنقه إن ظفر به.

وقد قام بعض خلفاء الدولة العباسية في فترة من الزمن بإجبار الناس على القول بخلق القرآن ومنهم «المأمون» الذي تبنى فكرة المعتزلة وجعل زعيمهم من ذلك الوقت احمد بن ابي دؤاد وزيراً له وعذب كثيراً من علماء السنة لعدم القول بخلق القرآن وكذلك فعل المعتصم. ومن الذين عذبوا بسبب ذلك الإمام «أحمد بن حنبل» رحمه الله. (كما سبق ص ٥٠).

يقول (سيد الأهل ١٣٩٢هـ) « وطغت في هذا العصر تيارات التفلسف والإعتزال ، تلتقي أحياناً بالدين ، فتصير رأياً حذراً ، وعلماً من الكلام ، أو زهداً مغالياً متطرفاً ، وتنفصل أحياناً فتكون فسقاً وإلحاداً وهذراً ، وانطلاقاً ، أو سفهاً وضلالاً، ووجد أعداء الإسلام -ولا سيما من اليهود والمجوس - في هذه التيارات منافذ تتيح لهم الدخول لإشعال الفتن ، والتأثير بها في الأمزجة ، فأسلم كثير منهم ، واعتصبوا في عصب ، فوصلوا إلى الوزارة ، والمناصب العالية ، وروجوا لمذاهبهم في منتديات نصبوها للمناظرات مع الفقهاء ، ثم لم يجدوا بداً من دخولهم إلى رحبات الحديث ، وفي هذا الصخب العالي جاء أحمد بن حنبل فانحاز إلى جانب الدين واتخذ طريقاً وسطاً قاصداً

فلم يذهب إلي الرأي الحذر والكلام ، ولا إلى الزهد الغالي والمتطرف ولكنه سلك جادة الطريق من السنة الخالصة القوية ، وسار فيها سيراً متزناً وئيداً ، وكأنما يمشي على الصراط. وقضى أحمد على نفسه ألا تقترب من باب السلطان ، ولا يأكل من ماله ، ووضع إصبعيه في أذنيه ، لئلا تتسرب إلى سمعه أنغام الغناء ، وأصوات الطنابير المنبعثة من نوافذ القصور ، وأسرع في سيره -هو وطلاب الحديث- ليخلو بالهم من أنغامها ، ثم ترك أحمد مقطعات الشعر إلى ما هو أنفع وأبقى » (ص ٢٧٨ , ٢٧٩).

ومما تقدم يمكن استخراج بعض الأفكار التربوية منها :

- على طالب العلم الإخلاص في طلبه للعلم وأن يجعل ذلك خالصاً لوجه الله تعالى حتى تتحقق له السعادة في الدنيا والأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ، وألا يكون هدفه الحصول على وظيفة أو منصب.

ثانياً: الحياة السياسية

امتد حكم الدولة العباسية من عام ١٣٢هـ إلى سقوط بغداد في أيدي التتر - «المغول» عام ٦٥٦هـ ويمكن تقسيم هذه الفترة من حيث قوة الدولة وقوة الخلفاء الى فترتين:

الفترة الاولى: تبدأ هذه الفترة من بداية حكم الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح، وإن كان بعض المؤرخين يعتبرون أن أبا جعفر المنصور هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية حيث استطاع أن يقضي على أعدائها ويوطد حكم الخلافة العباسية، ومن ثم بدأ الإهتمام بالأمور الداخلية للدولة وتطورها كما اهتم بالجانب العمراني حيث أنشأ مدينة (بغداد) وسماها (دار السلام)، وجعلها على نمط عمراني جديد في ذلك العصر واتخذها عاصمة للدولة العباسية. وتنتهي هذه الفترة بقتل الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ.

الفترة الثانية: تبدأ هذه الفترة من ٢٤٧هـ وهي فترة ضعف فيها نفوذ الخليفة وقوي نفوذ قادة الجيش حيث اعتمد كل خليفة على جنسية معينة فالمأمون اعتمد على الفرس وقوي نفوذ قادتهم. كما اعتمد المعتصم على العنصر التركي، حتى أصبح الخليفة فيما بعد ألعوبة في أيدي هؤلاء القادة إذا أحسوا الخطر عليهم منه قاموا بقتله أو عزله ... وهكذا حتى سقطت بغداد على يد المغول عام ٦٥٦.

يقول (التركي، ١٣٩٧هـ) «سبعة وسبعون عاماً هجرياً هي حياة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- عاشها من عصر من أزهى عصور الإسلام سلطاناً، وحضارة وثقافة، عاصر فيها ثمانية من الخلفاء العباسيين، وهم: المهدي، الهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق والمتوكل، وشاهد عظمة الخلافة العباسية، فقد ثبتت قواعدها، وقوي سلطانها في أيام المهدي، وتألقت حضارتها، وعظمت هيبتها في زمن الرشيد، والمأمون، وتوالت انتصاراتها في خلافة المعتصم، وظلت في قوة وازدهار، في عصر الواثق والمتوكل، وكان النفوذ السياسي في هذا العصر للعنصر الفارسي - في الغالب - لأنه الذي ساعد على قيام الدولة العباسية، ونشر دعوتها، وإن كان للخليفة العباسي الرأي الأخير، والكلمة النافذة، وربما أوجس في نفسه خيفة من معاونيه

الفرس ، فبطش بهم ، كما فعل المنصور بأبي مسلم الخرساني ، وكما فعل الرشيد بالبرامكة ، والمأمون بالفضل بن سهل ، وإذا كانت الدولة الأموية لم يتمكن فيها الأعاجم ، فإن دولة بني العباس ، أصبحت أعجمية خراسانية كما يقول (الجاحظ) ، فالفرس أكثر من تولى الأعمال للمنصور ، واتخذ الخلفاء ذلك سنة وفي عصر الرشيد زاد نفوذ الفرس في الدولة لمكانة البرامكة ، وأصبح منصب الوزارة فيهم ، وظل نفوذهم في إزدياد بتوالي السنين ، واتخذ (الفضل بن يحيى البرمكي) الوزير جنداً من العجم سماهم: (العباسية) بلغ عددهم نحو خمسمائة الف رجل ، وجعل ولاءهم للعباسيين ، وأقام الرشيد وغيره من الخلفاء علاقات بينه وبين ملوك غرب أوروبا ، ومن بينهم (شارلمان) ،ووضع ملوك الدولة الرومانية الشرقية الضرائب للخلفاء ، وفي عهد المعتصم كوّن الخليفة فرقة عسكرية كبيرة من جيش الخلافة من الأتراك بلغ عددهم نحو سبعين الفاً ، ولما ضاقت بهم بغداد ، وكثُرت الخصومات بينهم وبين الفرس ، وبينهم وبين العامة ، أنشأ المعتصم مدينة «سامراء» فاتخذها معسكراً لجيشه ، وحاضرة لملكه عام ٢٢١هـ ، وأصبحت مدينة عظيمة في مدة قليلة» (الطبري ، د.ت: ص٦٢/ ٣١١)

يقول (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ) « كانت الدولة العباسية قد أخذت في الإستقرار السياسي الداخلي منذ خلافة "أبي جعفر المنصور" المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، حيث استطاع أن يقضي على ألد أعداء الدولة العباسية في ذلك العصر ، وبعد وفاته تولى الخلافة الخليفة المهدي من سنة ١٥٨-١٦٩هـ - وقد استطاع المهدي أن يقضي على الفتن التي ظهرت في عهده مثل: خروج عبدالله بن مروان الأموي ببلاد الشام وعبدالسلام بن هشام اليشكري في الجزيرة ورجل من الموصل يدعى ياسين ، وكان أشده هذه الثورات ثورة الزنادقة ولكن المهدي قضى عليها جميعاً. ثم تولى الخلافة بعد وفاة المهدي ابنه الهادي سنة ١٦٩-١٧٠هـ وفي عهده بدت طلائع الفتن في الدولة العباسية ، حيث قرر عزل ولي عهده أخيه الرشيد ، ومبايعة ابنه جعفر بولاية العهد ، ولكنه عدل عن ذلك بعد نصيحة من يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت الخلافة في عهده مستقرة ، لم تقم ثورات أو يخرج عليه أحد في خلافته. وبعد وفاته تولى أخوه هارون الرشيد الخلافة سنة ١٧٠-١٩٣هـ. ويعتبر عهده العصر الذهبي للدولة العباسية في جميع المجالات.

استطاع الرشيد أن يقضي على الفتن في عهده مثل: خروج الوليد بن طريف الشيباني ، ووالى خراسان على بن عيسى بن هامان ، كما استطاع ان ينتصر على الروم وأرغمهم على دفع الجزية للمسلمين ، وقد توفي الرشيد بطوس سنة ١٩٣هـ. وقد أوصى بالخلافة من بعده لإبنيه الأمين ثم المأمون ، وقد حدث الخلاف بين الأخوين على الخلافة ، فقامت بينهما الحرب وانتهت بقتل الأمين وتولى المأمون الخلافة ، وفي عهده بدأ القول بخلق القرآن ، حيث أمر العلماء أن يقولوا بخلق القرآن ، ومنهم الإمام «احمد بن حنبل» – رحمه الله – وطلب إحضار «احمد بن حنبل» إليه مقيداً ، ولكن المأمون توفي قبل وصول الإمام أحمد بن حنبل إليه ، وقد كانت في عهد المأمون عدة ثورات منها خروج نصر بن شيت ، كما ثار المصريون سنة ٢١٠هـ وقامت فتنة في ضواحي الكوفة بقيادة ابن أبي السريا ، ولكن المأمون إستطاع القضاء عليها وقد توفي عام ٢١٨هـ.

ثم تولى الخلافة أخوه المعتصم من بعده ، وقد اشتد المعتصم في تنفيذ وصية أخيه المأمون في التمسك بالقول بخلق القرآن ، وتعذيب وقتل من يقول بخلاف ذلك ، وممن لاقى الضرب والأذى في هذه المحنة : الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله – حيث سجن قرابة ثلاثين شهراً وعذب وضرب بالسياط حتى فقد الوعي وكان ذلك بحضرة المعتصم وقد توفي الإمام أحمد وآثار الضرب واضحة عليه وهو يعاني منها. وفي عهد المعتصم انتصر المسلمون على الروم في موقعة «عمورية» المشهورة كما استطاع أن يقضي على الفتن التي كانت في عهده مثل فتنة «النور» وخروج محمد بن القاسم ، وقد اعتمد المعتصم على العنصر التركي بينما كان الخلفاء من قبله يعتمدون على العنصر الفارسي ، وقويت شوكة الأتراك في عهده. وتوفي سنة ١٢٧هـ. وبعد وفاته تولى الخلافة ابنه الواثق بالله سنة ٢٢٧–٢٣٢هـ وقد شدد أيضاً في الأخذ بالقول بخلق القرآن ، وتعذيب وقتل من يقول بعدم خلق القرآن. وممن قتل على يديه من العلماء بسبب عدم القول بخلق القرآن احمد بن نصر بن مالك – وقد أصبح الواثق ألعوبة في يد أحمد بن أبي دؤاد زعيم المعتزلة وفي يد وزيره –الواثق–، محمد بن عبدالملك الزيات ، وقد توفي الواثق عام ٢٣٢هـ وبموته إنتهى العصر الذهبي للدولة العباسية – – الفترة الأولى – .

(يقول الخضري ١٤٠٦هـ» «وبويع بعده أخوه المتوكل بالخلافة وقد عينه خليفة كل

من أحمد بن أبي دؤاد ، ومحمد حسن الزيات وإتياخ -القائد التركي- وبذلك بدأت الفترة الثانية من الدولة العباسية - فترة ضعف الخلفاء وأصبحوا ألعوبة في يد قادة الجيش ورجال الدولة يولونهم ويعزلونهم ، وقد قتل المتوكل عام ٢٤٧هـ ثم تولى الخلافة من بعده ابنه المنتصر من سنة ٢٤٧-٢٤٨هـ وكانت مدة خلافته ما يقارب ستة أشهر حيث مرض ومات. ثم تولى بعده الخلافة المستعين سنة ٢٤٨-٢٥٢ ثم خُلع من الحكم وتولى بعده الخليفة المعتز من سنة ٢٥٢-٢٥٥ ثم خُلع نتيجة للفتنة التي قامت ببغداد وقد عزله الأتراك ثم تولى من بعده المهتدي سنة ٢٥٥-٢٥٦هـ. وقد ألقى الأتراك القبض عليه وخلعوه ثم مات سنة ٢٥٦هـ ثم تولى بعد الخلافة ابنه المعتمد من سنة ٢٥٦-٢٧٩هـ «ص ٢٥٤ و ص٢٩٤ »

هكذا يتضح مدى ما وصلت إليه الأوضاع السياسية في بغداد فقد أصبح الخليفة ألعوبة في يد قادة الجيش وكبار رجال الدولة ، يعيّنون من أرادوا ، ويخلعونه متى أرادوا ، وبذلك أخذت الدولة العباسية في الضعف وتجزأت إلى دويلات ، ولم يبق للخليفة إلاّ الإسم فقط أما بقية أمور الدولة فهي في أيدي رجال الدولة وخصوصاً قادة الجيش الأتراك.

في هذه الظروف الصعبة ، وحيال موقف الخلفاء من الدين ، وخصوصاً الخلفاء الثلاثة الذين قالوا بخلق القرآن كان العلماء والأئمة مع اجتهادهم في طلب العلم وجمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يملون ولا يفترون عن نشر الدين الصحيح ، وإرشاد الناس لما يتفق مع الشريعة الإسلامية ، حيث كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، يوضحون شرع الله ومنهجه للناس ويدلّونهم على طريق الحق ، حتى لو كان ذلك لا يرضي الخلفاء ، يقول (الذهبي ، ١٤٠٩هـ) «وأصرح دليل على ذلك وقوف - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - أمام ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية -المأمون - المعتصم - الواثق - عند فتنة القول بخلق القرآن. وعدم استجابته لهم مع استعمالهم جميع الوسائل الممكنة بالترغيب والترهيب ، والتعذيب ، والسجن ، والإضطهاد ، ونصر الله الإمام أحمد بن حنبل وهلكوا ، وبقي الإمام أحمد ينادي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وكان يناظر في ذلك حتى أمام الخليفة ، إظهاراً للحق وإخماداً لصولة الباطل ، ولا يخشى خصومه رغم ما كان لهم من الجاه والسطوة عند الخليفة » (ص ١٤٣-٢٢٧.)

ثالثاً: الحياة الإجتماعية

كان المجتمع الإسلامي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعاً عربياً في معظمه ، وكذلك كان المجتمع في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، أما في عهد الدولة العباسية والتي كان قيامها على سواعد الفرس ، فقد إختلف تكوين المجتمع حيث امتزجت الأجناس المختلفة مع العنصر العربي وكان الفرس في هذه الفترة – الخلافة العباسية – يعهد اليهم بتولي المناصب العليا في الدولة وقيادة الجيوش ، ثم جاء عهد المعتصم وأدخل العنصر التركي في الدولة وأصبح يعتمد عليهم ويوليهم المناصب العليا في الدولة كما يوليهم قيادة جيوش المسلمين.

يقول (التركي عام ، ١٣٩٧هـ) «تميزت الحياة الإجتماعية في هذا العصر – عصر الدولة العباسية – بتعدد العناصر التي يتألف منها المجتمع ، من عرب ، وفرس ، وترك ، وروم ، وهنود ، وزنوج ... وغير ذلك من الأجناس ، التي يربط بينها رابط الإسلام ، وتجتمع تحت كلمة التوحيد – لا إله إلا الله محمد رسول الله – وكان النفوذ في الخلافة يتنقل بين أيدي القواد والوزراء من الفرس والترك ، وكان الثراء والترف يشمل طبقة كبيرة من المجتمع – كبار رجال الدولة وبعض رجال التجارة والصناعة – وقد ظهرت مظاهر ذلك الثراء والترف في عمران المدن ، وبناء القصور ، وما أنفق فيها ، فروايات التاريخ – وان كان فيها مبالغة – تروي أن المعتصم أنفق على بناء «سامراء» أموالاً طائلة ، وكذلك فعل المتوكل في بناء قصر «الجعفري» ، وتنقل أيضاً: أن محمدا ابن سليمان الهاشمي ، أهدى إلى الخيزران –زوج المهدي وأم الخليفة هارون الرشيد – مائة وصيفة في يد كل واحدة من الذهب ما وزنه ألف مثقال. وكان في المجتمع كثير من الفقراء ومتوسطوا الحال من عامة الناس» (ص ٢٠ ، ٢١)

ويقول (د/حسن ابراهيم ١٣٩٦هـ) « ولقد أثر هذا الامتزاج على طبيعة المجتمع وعاداته مما نتج عنه حياة جديدة لها سلبياتها وإيجابياتها ، والحياة المعيشية كانت هنيئة مزدهرة ، حيث عمّ الخير وكثرت موارد الدولة نظراً لسعة الأراضي الخراجية وغيرها من الموارد ، وتقدمت الصناعات وازدحم الناس في سكن المدن ، وتقدم العمران ، فبغداد عاصمة الدولة الإسلامية ، يقدر عدد سكانها (بمليونين نسمة) وقد

فاقت كل حاضرة عرفت في عهدها ، وبنيت القصور الضخمة التي أنفق على بنائها الأموال الطائلة وتأنق المهندسون في إحكام قواعدها ، وتنظيم أمكنتها ، وتشييد بنيانها ، وكانت قصور الخلافة تبهر الناظرين ، اتساعاً وجمالاً ، وامتدت الأبنية امتداداً عظيماً ، حتى صارت بغداد كأنها مدن متلاصقة ، وقد زّينت بالحدائق الغناء ، والأشجار والمتكاثفة ، وكانت هناك الجوامع والمنتزهات العامة ، والحمامات والأسواق ، وكانت البضائع التجارية تصل إلى بغداد براً وبحراً فتأتي من خراسان وما وراءها ، ومن الهند والصين ، ومن الشام والجزيرة ، والطرق آنذاك آمنة مطمئنة ، وكان الخلفاء حريصين على ذلك كل الحرص »(ص ٤٢٩ , ٤٣٢ .)

ويقول (التركي ١٣٩٧هـ) «ولتعدد عناصر المجتمع ، وتنوع الحياة الإجتماعية ، واختلاف الوجهات والآراء ، كانت البلاد معرضاً ، للنحل ، ومجالاً للمذاهب السرية ، وأصحاب الدعوات المختلفة ، فكان فيها أهل السنة والحديث ، وكان فيها التشيع برجالاته ، والاعتزال بطوائفه ، وكانت فيها الفلسفة بمختلف مذاهبها ، والعلوم الحديثة بشتى أنواعها ، وكان لأهل السنة والجماعة دور كبير في مكافحة الشك في الدين ، والفساد في المجتمع ، والدعوة إلى الإعتصام بالكتاب والسنة ، وكان بين جميع هذه الطوائف جدل شديد ، ومناقشات وخصومات ، وهكذا عاش الناس في امتزاج وتوليد بين مختلف العناصر والأجناس ، وفي صراع شديد بين الآراء والمذاهب ، بين دعوة الإسلام الخالصة ، ودعوات الشعوبية الجامحة ، وبين حياة الإيمان وحياة الزندقة ، وبين عيشة الجد ، وعيشة اللهو ، مما أثر في الحياة الإجتماعية في هذا العصر » (ص ٢١ .)

كما يقول(د/حسن ابراهيم عام ١٣٩٦هـ) «وكان يقيم بين المسلمين ببلاد الدولة العباسية ، عدد كبير من أهل الذمة ، اليهود والنصارى ، وقد كانوا يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني ، وقد أوجدت الحاجة إلى المعيشة المشتركة ، وما ينبغي أن يكون من وفاق بين المسلمين ، واليهود والنصارى نوعاً من التسامح ، وقد ألزمهم بعض الخلفاء اتخاذ ملابس خاصة يعرفون بها ، كما منعهم من تعلية بيوتهم على أبنية المسلمين ، ولم يتصاهر المسلمون مع غير المسلمين ، ولم يكن يجوز للمسيحي أن يتهود ، ولا لليهودي أن يتنصر ، واقتصر تغيير الدين على الدخول في الإسلام »(ص٤٣٢ , ٤٤٥).

«ونظراً لامتزاج المجتمع بهذه الأجناس فقد تأثر المجتمع بما عندهم من أخلاق وعادات ، فقد كان هناك نوع من البذخ والترف والسرف» واسترسال في ملذات الحياة ومباهجها وخاصة عند كثير من الخلفاء ووزرائهم وقوادهم وولاتهم ، ورجال الدولة وحواشيهم ، كما تأنقو في الملبس والثياب ، وأنفقوا الأموال الطائلة على حفلات الزواج » (د/ حسن ابراهيم ١٣٩٦هـ: «ص ٣٤٥»).

وفي ذلك يقول (الخضري د. ت) «قصة زواج المأمون من «بوران» بنت الحسن بن سهل فقد عمل «المأمون» وأبوها من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في مصر من الأمصار ، وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك ، فكانت البندقية إذا وقعت في يد الرجل فتحها وقرأ ما فيها ثم يمضي إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ، ونوافيح المسك وبيض العنبر ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم». ولما أراد المأمون الإنصراف أمر له - الحسن بن سهل - عشرة ملايين درهم وأقطعه فم الصلح ، وأطلق له خراج فارس ، وكور الأهواز مدة سنة ، هذا السرف العظيم السهل أمره الوارد الكثير »(ص ٢٢٨). « وكانت هناك وسائل للترويج وعدة العاب منها مثلاً : سباق الفروسية ، وسباق الحمام الزاجل ، ولعبة الصولجان ، وكرة المضرب من فوق ظهور الخيل ، وكذلك فتن بعض الخلفاء بالصيد بالصقور والكلاب....» (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ: ص٤٤٥)

ويقول (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ) «وكان للعيدين مظهر خاص فقد كانوا يحتفلون بالعيدين احتفالاً دينياً ، فيؤم خلفاء المسلمين الناس في الصلاة ، ويلقون عليهم خطبة في فضائل العيد وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائر الإسلام.» (ص ٤٣٤).

ومن حيث الزواج والمصاهرة تغير الحال فقد كان أولاً العربي لا يتزوج إلا عربية ، ونتيجة لهذا الإمتزاج -في المجتمع- بهذه الفئات من الناس ذهبت تلك العادة ، وصار العرب يتزوجون من الفارسيات والتركيات ، والحبشيات ، والروميات ، والخراسانيات ، والصقليات ، وكان وراء هذا المزج بين العناصر الأجنبية والعنصر العربي ، مزج إيماني ،

عن طريق الولاء الذي يشرعه الإسلام ، والذي اتخذ رابطة أقوى من رابطة الدم ، فالشخص يكون فارسياً أو هندياً أو رومياً أو قبطياً ويكون عربياً ولاءً ، وحتى الرقيق كانوا بمجرد تحريرهم يصبحون مواليّ لأصحابهم وينسبون إلى قبائلهم ، مثلهم مثل أبنائهم الأصليين ، وكان اتخاذ الرقيق منتشراً في العصر العباسي ، ومن أكبر أسواقه سمرقند ، وكانت بيئة صالحة لتربية الرقيق -المجلوب من بلاد ما وراء النهر -، تربية إسلامية ولم ينظر الخلفاء العباسيون إلى الرقيق نظرة إمتهان وإزدراء ، فأم المعتصم تركية ، وأم المتوكل خوارزمية ، وأم المقتدر رومية ، وكذلك كانت أم الخليفة المستكفي ... » (٢/٣٩٧-٣٩٩).

ويقول الخضري (١٤٠٦هـ) «وقد كان السخاد هو طابع الخلفاء وولاتهم في هذا العصر ، فمن ذلك أن «المأمون» جاءه خراج مقداره ثلاثون مليون درهم ، فخرج المأمون وأصحابه ينظرون إلى ذلك المال ، فقال يحيى بن أكثم : يا أبا محمد ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين نراهم الساعة إلى منازلهم خائبين ، وننصرف نحن بهذه الأموال قد ملكناها دونهم ، إنا إذاً للئام ، فوزع من هذا المال ٢٤ مليون درهم ، وجعل الباقي في بعض حوائج الجند » (ص ٢٠٢).

«ومع ما وصلت إليه الدولة الإسلامية في هذا العصر من الثراء وما وصل إليه الخلفاء العباسيون من السخاء ، فقد كان كثير من العلماء ومنهم الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- لا ينظر إلى ذلك ، ولم يقبل عطايا المتوكل التي كان يغدقها عليه بل كان ينفق بعضها ويرد البعض الآخر ، وقد كانت امرأته تغزل لتساعده في المعيشة ، وكان هو بالإضافة إلى انشغاله بالتدريس والوعظ والتحديث يعمل بالوراقة -ينسخ الكتب بأجر- ليجابه ضروريات الحياة ، لذلك أثمرت جهوده مع علماء المسلمين من التعليم والتفقه في الدين والدعوة إلى الله ، والتصدي لأعداء الإسلام والمسلمين ببيان الحق ، ودحض الباطل بالحجج والبراهين» (ابن الجوزي ، ١٠٤٢هـ: ص٢٢٣)

ورد كيد الحاقدين على الإسلام والفرق الضالة مثل المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن وبمساعدة بعض الخلفاء العباسيين فقد جعل الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله نفسه فداء للدفاع عن الإسلام وخصوصاً في مشكلة القول بخلق القرآن فتحمل الإهانة والحبس والأذى والضرب في سبيل الدفاع عن الإسلام.

رابعاً: الحياة الإقتصادية

لم يهتم الدين الإسلامي بالعبادة فقط ، وإنما اهتم بالعمل والكسب الحلال ، وحث عليه قال تعالى «يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين» (سورة البقرة آية:١٦٨).

اتسعت الدولة الإسلامية في العهد الأموي فبلغت من الهند شرقاً إلى الأندلس والمحيط الأطلسي غرباً ، وشملت أجزاءً من أوروبا ، وكان العصر الأموي يمتاز بالفتوحات المستمرة ، أما العصر العباسي فقد إهتم الخلفاء فيه بالنهوض بالبلاد والمحافظة على الأمن والإستقرار ، والقضاء على الفتن الداخلية ، والرد على بعض الاعتداءات التي تقوم بها الدول المجاورة للدولة الإسلامية ، وقد عمَّ الرخاء أرجاء الدولة الإسلامية في هذا العصر. وكثرت إيرادات الدولة الإسلامية ، يقول (القلقشندي ١٣٣١هـ) « وقد كانت خزائن الدولة العباسية تمتليء بالأموال التي كانت تجبى من الضرائب والصدقات والجزية ، التي كانت ترد الى بيت مال المسلمين. ويقال: إن الأموال التي وردت الى بيت مال المسلمين بلغت في عهد الرشيد ما يقرب من (٢٧٢) مليون درهم وأربعة ملايين من الدنانير في السنة ، عدا الصدقة العينية التي كانت تؤخذ مما تنتجه الأرض من الحبوب ، حتى إن الرشيد كان يستلقي على ظهره وينظر إلى السحابة المارة ويقول: « وامطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك» (ص ٢٧٠)

ويقول (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ) «وكان يُنفَق من هذه الأموال في مصالح الدولة ، من أرزاق للقضاة والولاة ، والعمال وغيرهم من الموظفين ، كما تدفع منها أعطيات الجند ، وإصلاح الأنهار ، وحفر الترع للزراعة ، ... وغيرها ، ومع توفير الأموال التي كانت تفيض بها خزائن الخلفاء ، فقد عم الرخاء ، ورخصت الأسعار» (ص٣٠٢)

(يقول الخطيب البغدادي ١٣٦١هـ) «سمع بعضهم يقول: عن رخص الاسعار رأيت في زمن أبي جعفر المنصور كبشاً بدرهم ، وحملاً بأربعة دوانق -الدونق سدس درهم- ، والتمر ستين رطلاً بدرهم ، ولحم البقر تسعين رطلاً بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم ، والعسل عشرة أرطال ، والسمن إثني عشر رطلاً». ومما ساعد في زيادة

موارد الدولة العباسية ، اهتمام الخلفاء بشئون البلاد الإقتصادية ، والعمل على تنمية مواردها ، وعنايتهم بالزراعة والتجارة وغيرها » ص ٧٠ وسوف يتناول الباحث بعضاً من هذه الموارد باختصار ومنها :

١- الزراعة :

«إهتم الخلفاء في العصر العباسي بالزراعة فحفروا الترع وأقاموا الجسور والقناصر ، وكانت الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات من أخصب بقاع الدولة العباسية ، وكانت الحكومة تشرف على إدارتها إشرافاً مباشراً ، وتعمل على تحسين زراعتها ، وتنمية مواردها وكانت تعرف بأرض السواد ، كما اهتم الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول أيضاً بإنشاء المدارس الزراعية ، التي كان لها أثر كبير في اهتمام المسلمين بالبحث النظري ودراسة أنواع النباتات ، وصلاحية التربة ، واستعملوا الأسمدة المختلفة ، واهتموا بعدم إرهاق المزارعين بالضرائب» (البغدادي ، ١٣٦١هـ: ص٢٤)

ويقول (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ) « وكان بعض الخلفاء يقطعون بعض أعيان دولتهم قطائع من الأرض ببغداد ويعمرونها ، ويسكنونها ، ويحصلون على غلتها ، مكافأة لهم على ما قدموه من خدمات ، وبهذا عَمِّرت هذه القطائع ، واتسع نظامها ، وازدحمت بالسكان ، وكان هذا النظام في العصر العباسي في عهد الرشيد ومن بعده. وحين تولى الأتراك حكم الدولة العباسية ، فكانوا يَقْطَعون الولايات على أن يؤدوا للخليفة مبلغاً من المال. وكانت تزرع أنواعاً من المحاصيل منها «الحنطة "البر" والذرة ، الشعير ، والأرز ، والنخيل ، وأشجار الفاكهة مثل: الكروم "العنب" والتفاح ، والزيتون وقصب السكر.» (ص ٣٠٨.)

٢ - الصناعة:

يقول (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ) « وكما حظيت الزراعة بعناية فائقة من خلفاء الدولة العباسية ، فقد حظيت كذلك الصناعة ، بجانب كبير من الإهتمام ، وخصوصاً استخراج المعادن الثمينة مثل: الفضة ، النحاس ، الرصاص ، الحديد من مناجم فارس وخراسان ، وساعد وجود هذه المعادن على نمو الصناعات المعدنية ، كما

استخرجوا الخزف والمرمر والملح والكبريت.

ويقول الزجاج « وقد اشتهرت بعض المناطق بصناعات خاصة مثل:

١) البصرة: اشتهرت بصناعة الصابون ، والزجاج - خاصة في عهد الخليفة المعتصم -

٢) مصر: اشتهرت بصناعة الورق ، وصناعة المنسوجات ، وصناعة المراكب التي تستخدم للنقل على الفيل ، والسفن.

٣) اشتهرت الكوفة، وخوزستان: بصناعة المنسوجات مثل أقمشة الحرير والسجاد ، وكان لهذه المنسوجات شهرة عظيمة.

٤) خراسان: اشتهرت بصناعة البسط ، والستور ، والمنسوجات الصوفية على اختلافها.

٥) اشتهرت بلاد الشام: بصناعة الزجاج ، والخزف ، وكان لها طرازاً خاصاً لهم في زخرفة الزجاج » (ص٣٦٤, ٣٦٥)

وقال زكي « اشتهرت بغداد: بدور الصناعة حتى قيل إنه كان بها أربعمائة رحى مائية ، وأربعة الآف معمل لصنع الزجاج ، وثلاثون ألف معمل لصنع الخزف » (ص٥٠). ويلاحظ في هذا القول شيء من المبالغة ، ولكن هذا يدل على المدى الذي وصل اليه الإهتمام بالصناعات.

٣ - التجارة:

يقول (د/حسن ابراهيم ، ١٣٩٦هـ) «لم يقتصر اهتمام الخلفاء العباسيين بالزراعة والصناعة وحدهما ، وانما اهتموا كذلك بالتجارة ، وتسهيلها ، فأقاموا الآبار على طرق القوافل ، وقد كان لإدخال مظاهر الترف إلى قصور الخلفاء تشجيعاً غير مباشر لتنشيط الحركة التجارية. وكانت بغداد بحكم موقعها سوقاً تجارياً ، من الطراز الأول ، كما كانت دمشق مركزاً هاماً للقوافل من آسيا الصغرى ، أو من أقاليم الفرات إلى بلاد العرب ومصر ، وقد أصبحت البصرة أهم مراكز التجارة ، نظراً لموقعها على شط العرب ، وأصبحت باب بغداد الكبير ، وكانت سفن العرب تقطع البحر المتوسط من ميناء

أنطاكية شرقاً ، إلى جبل طارق غرباً في ستة وثلاثين يوماً ، وتعد «أنطاكية» من أهم مرافق بلاد الشام التجارية. وقد قام التجار العرب بعدة رحلات إلى شرق آسيا. (يقول: ليدن ، ١٣٠٦هـ) وقد وضع «أبو القاسم بن خرداذية» دليلاً للمسافرين ، وصف فيه الطريق الذي يبدأ من مصب نهر دجلة ويصل إلى بلاد الهند والصين في القرن الثالث الهجري ، وكان التجار العرب يحضرون معهم من بلاد الصين والهند الكافور والقرنفل ، وخشب العود ، والصندل ، وجوز الهند ، وجوز الطيب ، والقصدير »

ويقول (د/حسن ابراهيم ،١٣٩٦هـ) «وقد ذكر بعض الرحالة العرب ، الذين قاموا ، برحلاتهم من القرنين الثالث والرابع ، أنهم كانوا يلاقون شيئاً كثيراً من العطف والرعاية من بعض ملوك الهند ، وأن جماعة أمراء "ملبار" قد اعتنقوا الإسلام ، وسمحوا للعرب بإقامة المساجد في هذه البلاد ، وبينما أنشأ العرب على سواحل الهند ، وفي بعض مدنها جاليات عربية ، وكانت جيوشهم من أوائل القرن الثامن الميلادي قد تجاوزت حدود فارس ، فاستولت على بلاد السند ، وكان من أثر ذلك أن نشطت الحركة التجارية ، وتمت "الملتان والديب" وكانت سفن فارس وبلاد العرب تعرج على تلك البلاد من ذهابها إلى بلاد الهند والصين ، وفي عودتها حاملة حاصلات تلك البلاد. وقد كانت جدة ميناء مكة المكرمة. كما كانت القلزم ميناء مصر وسورية ، وقد فكر هارون الرشيد في حفر قناة تصل بين البحرين الأبيض والأحمر ، ولكنه أهمل هذه الفكرة ، عندما قيل له ان الاغريق يجدون عن طريق هذه القناة منفذاً إلى البحر الاحمر ، وإنهم يستخدمون هذا المنفذ لإرسال حملات ضد مكة والمدينة ، وقطع طريق الحج.» (ص٢١٧)

ويقول (السيوطي ، ١٣٥١هـ) « وإذا كانت شهرة الإسكندرية قد تضاءلت أمام شهرة بغداد ، فإن حالة الغنى التي تمتعت بها مصر في عهد الطولونيين أعادت لها بعض الإنتعاش.» (ص١٨٩)

«أما السلع التي كانت تجلب من الشرق إلى جدة ، ومنها ترسل إلى مكة المكرمة في موسم الحج ، فإنها تصل إلى الغرب على أيدي التجار المصريين الذين كانوا يفدون

إلى دمشق » (د/ حسن ابراهيم (١٣٩٦هـ: ص١٨٩).)

ويقول (المدور) « إنه لما توافرت الأموال في أيدي العباسيين وأمَّنَ هارون الرشيد طرق القوافل والسفن ، حملت السلع من جميع أرجاء العالم إلى العراق ، فحملت الآنية من الهند ، والحديد من خراسان والرصاص من كرمان ، والنسيج الملون من كشمير ، والعود والمسك والسروج والدرصيني من الصين، والعطر ، وأنواع الطيب من اليمن ، والسلاح والمصوغات من فارس ، واللآليء من عيذاب ، والخيزران والكافور والعود والقرنفل والنارجيل ، والثياب القطنية والفيلة من الهند والسند ، والياقوت ، والماس من سرنديب ، والجلود والرقيق من بلاد الروم ، والفاكهة والسلاح والحديد من بلاد الشام ، وجلود الثعالب من روسيا ، وقد عني الرشيد بتنظيم التجارة ، فعهد إلى المحتسب في مراقبة الأسواق ، والإشراف على الموازين والمكاييل ، ومراعاة أثمان الحاجيات منعاً للغش أو ابتزاز أموال الأهلين » ص١١٦ ,١١٧ ,١١٨).

ويمكن استخلاص بعض الأفكار التربوية مما تقدم :

- على طالب العلم ألا تبهره مظاهر الحياة ، ويشغل نفسه بها ، حتى لا تصرفه عن قصده النبيل ، وغايته الشريفة ، من طلبه للعلم.

- ألا يكتفي بما حصل عليه من العلم في قريته أو مدينته بل عليه الإنتقال إلى بلدة أو مدينة أخرى لزيادة العلم والتعمق فيه.

خامساً: الحياة الثقافية

تميزت الدولة العباسية بالنهضة الشاملة في شتى المجالات في ذلك العصر ، ومنها الجانب التعليمي ، حيث اهتم الخلفاء العباسيون بالعلم وإكرام العلماء ، وتشجيع طلاب العلم ، وكانوا يخصون العلماء بالأعطيات المجزية ، والهدايا ، لحثهم على طلب العلم وتعليم أبناء المسلمين. ولهذا ازدهرت الحالة الثقافية في هذا العصر ازدهاراً كبيراً ، حتى أصبح هذا العصر من أزهى عصور الإسلام حضارة وثقافة.

يقول (المسعودي ، ١٣٨٤هـ) «وقد ازدهرت الحياة العقلية ، والعلوم الإسلامية ، في عصر الدولة العباسية ، وأخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في شتى نواحيها ، ويضعون عليها ظلال رعايتهم ، وكانوا يبالغون في إكرام العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء ويجالسونهم ويقربونهم إليهم ، وصار العلم والأدب مما يؤهل للمناصب العالية ، وتنافس العظماء في تكريم العلماء والأدباء ، كما تنافسوا في إنشاء دور العلم ، وترجمة الكتب إلى العربية من مختلف اللغات ، وكانت الثقافة الإسلامية بمختلف فروعها الثقافية الذائعة هي أساس التكوين العقلي للمتعلمين في هذا العصر ، وقوامها علوم الدين ، واللغة والأدب ، وما يتصل بكل ذلك من علوم ومعارف ، على أنه قد كانت هناك ألوان مختلفة من الثقافات الإسلامية في حياة المسلمين ، ومن تلك الثقافات ، الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية ، والثقافة الفلسفية ، التي لقيت تشجيعاً من الرشيد والمأمون بصفة خاصة، والثقافة الهندية ، وغير ذلك ، تبعاً لامتداد الحكم الإسلامي وشموله لأمم وعناصر مختلفة ، فقد أنشأ الرشيد في بغداد «بيت الحكمة» وملاه بكتب الأمم القديمة التي دخل الكثير منها في الإسلام ، وشجع ترجمة الكثير منها ، فترجمت له الكتب من اليونانية ، والرومية ، والسرياينة ، والهندية» (٤/ ٢٤١).

يقول (أحمد أمين ، ١٣٥٥هـ) « وقد تعددت هذه الثقافات في عهد الإمام أحمد في العراق ، وحدث بين دعاتها جدل شديد ، وخلاف كثير ، وكانت المعتزلة تحمل ثقافة اليونان وفلسفتهم ومنطقهم إلى العقل العربي ، فيثير بذلك صخباً شديداً» (ص٣٧٧ وما بعدها.)

يضيف (كردي ، ١٣٨٩هـ) « وقد نبغ في هذا العصر أعلام في مختلف فروع الثقافة والعلم ، وأدرك الناس قيمة العلم في بناء الأمم ونهضتها ، فانكبوا على دراسة العلوم الإسلامية وغيرها ، وعهد أهل اليسار إلى المؤدبين بتعليم أبنائهم ، وبذلك صار التعليم صناعة » (ص٢٨٣)

يقول (ابن قتيبة،١٤٠٢هـ) «وقد تعددت مراكز العلم في هذا العصر وكثرت ، وكان للعلوم المترجمة أثرها - وبخاصة فلسفة اليونان - في تفكير المسلمين ، وكان لها مكانة عندهم ، وتعددت مناهج التفكير والبحث ، وصار الخلاف بين هذه المناهج على أشده في العراق ، وبلغ نفوذ الإعتزال مداه في عصر المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، وأهمل الناس علوم الدين ، وعنوا بفلسفة المنطق » (ص ٣ , ٢١٣ , ٢٧٦)

يقول (التركي ، ١٣٩٧هـ) «وقد نبغ في هذا العصر من عصور الدولة العباسية - عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - كثير من العلماء مثل: مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) والشافعي (ت ٢٠٤هـ) والكرابيسي (ت ٢٤٥هـ) والزعفراني (ت ٢٦٠هـ) والبويطي المعري (ت٢٣١هـ) وعبدالله بن احمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ) ويوسف بن يعقوب القاضي (ت ٢٩٧هـ) واسماعيل بن إسحاق وابن الحسن المدائني (ت ٢٣٤هـ) والواقدي (ت ٢٠٧هـ) وسغيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) وسواهم. كما نبغ في اللغة والأدب والشعر أعلام كثيرون منهم (الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) سيبويه (ت ١٨٩هـ) الأصمعي (ت ٢١٦هـ) الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) المبرد (ت ٢٨٥هـ) ومن المعتزلة والفلاسفة ظهر: « النظام » (ت ٢٢٣هـ) احمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ) أبو هذيل العلاف البصري - استاذ المأمون (ت ٢٣٥هـ) ، والكندي الفيلسوف (ت ٢٥٢هـ) وغيرهم.

ومن الوزراء : الفضل البرمكي (ت ١٩٢هـ) والفضل بن سهل (ت ٢٠٢هـ) والفضل بن الربيع (ت ٢٠٨هـ) وابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ) والحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ) وسواهم من أعلام العصر.

وقد وضع الشافعي أصول استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة ، ووضع الإمام أحمد بن حنبل أصول علم الحديث بمسنده الكبير، الذي صا إماماً وجامعاً ،

وكان مقدمة لتمييز علوم الحديث عن الفقه ، فقد طلب – رحمه الله – الأحاديث والآثار من ينابيعها ، وطلب الفقه من رجاله ، ونبغ في الجانبين ، وعصر «الإمام أحمد بن حنبل "رحمه الله" هو عصر التقاء الثمرات الفقهية والعلوم الإسلامية ، وهو عصر المناظرات ، بما فيها من جدل ونقاش ، ويمثل «ابن قتيبة» معركة التقاء الثقافات في كتابه اختلاف اللفظ فيقول: « كان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع ، والمستعمل من الواضح ، وفيما ينوب الناس ، فينفع الله به القائل والسامع ، وقد صار أكثر المتناظرين في عهد ابن قتيبة ، فيما خفي ودق ، وفيما لا يقع ، وصار الغرض منه إخراج لطيفه ، وغوصاً عن غريبه ، ورداً على متقدم ، فهذا يرد على أبي حنيفة ، وهذا يرد على مالك ، والآخر على الشافعي ، بزخرف من القول ، ولطيف من الحيل ، كأنه لا يعلم أنه إذا رد على الأول صواباً عند الله بتمويهه فقد تقلد المآثم عن العاملين به دهر الداهرين ، وهذا يطعن بالرأي على ماضٍ من السلف وهو يرى ، وبالابتداع ديناً على آخر وهو يبتدع ، وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر والشكر، وفي تفضيل أحدهما على الآخر» (ص٢٤ , ٢٥)

وممن اشتهرو من أصحاب القراءات في العصر العباسي الأول ، يحيى بن الحارث الذماري المتوفي (١٤٥هـ) وحمزة بن حبيب الزيان المتوفي (١٥٦هـ) وابو عبدالرحمن المقريء المتوفي سنة (٢١٣هـ) ، وخلف بن هشام البزاز سنة (٢٢٩هـ). وفي التفسير اتجه المفسرون في تفسير القرآن الكريم اتجاهين. أولهما: يعرف بالتفسير المأثور وهو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة. « ومن أشهر من كتب في هذا النوع من التفسير: ابن جرير الطبري ، ابي الليث السمرقندي ، ابي اسحاق الثعلبي وابي محمد الحسين البغوي ، وابن عطيه الاندلسي ، ابن كثير ، عبدالرحمن الثعالبي ، حلال الدين السيوطي» (الذهبي ، ١٤٠٥هـ: ص٢٠١) ويعرف الثاني : بالتفسير بالرأي: وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل ومن أشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية.

ويقول (أبو زهرة،١٣٦٧هـ) « إن ذلك العصر عصر الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله – هو عصر النضج في كل شيء ... وفيه نضج الفقه ، واستقامت طرائقه ، والتقى العلماء ، وتدارسوا الفقه فلم يكن الفقه بصرياً وكوفيا وشامياً وحجازياً ، بل صار الفقه

كله إسلامياً ، فقد كان التقاء العلماء ، والرحلات المختلفة سبباً في أن علم علماء كل مصر بما وصل اليه سائر علماء الأمصار ، وتدارسوا بينهم ما وصلت إليه جهود العلماء من التابعين وتابيعهم ، والتقى بذلك الفقه الحجازي بالفقه العراقي ، ووجدنا «الشافعي» جامعاً في كتبه بين ثمرات الجهود المختلفة لفقهاء الأمصار من عراقيين وشاميين وحجازيين» (ص١١٤, ١١٥).

ويقول (الجندي ، ١٣٩٠هـ) عن ذلك العصر : «كانت ترجمات المعارف اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، والنبطية تملأ أسواق الأدب ، كما كان الجدل بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى من الذميين بضاعة مزجاة في كل مكان ، تتسرب منها المعارف المناقضة للتعاليم الإسلامية ، والمسلمون يدفعونها بالتي هي أحسن ، حتى اعتنق المأمون آراء المعتزلة ، في القضاء والقدر ، والقدح من بعض الصحابة ، ونفي الصفات وما إلى ذلك من آرائهم ، وراح يفرضها بالقوة الحكومية ، كما صنع أباطرة الرومان في القسطنطينية ، والمعتزلة مدرسة من المتكلمين ، نشأت في البصرة ، يقول أحمد «لو فتشت أهل البصرة لوجدت ثلثهم قدرية» واتصل المعتزلة الأولون بخلفائهم الأولين لدفاعهم عن الإسلام ضد الزندقة ، وارتبط المتأخرون منهم في زمان «أحمد» بالمأمون فصيروا «خلق القرآن » محنة أي امتحاناً للناس»(ص٣٥٠, ٣٥٦).

ويقول (الجندي،١٣٩٢هـ) «وفي بغداد دراسات شتى في علوم العصر ، من علوم الحديث ، والفقه ، والسيرة ، والأدب ، واللغة ، والشعر ، إلى علوم الفلك والطب ، والكيمياء ، والطبيعة ، والرياضيات العالية ، وعلوم الكلام ، والفلسفة ، وترجمات لعلوم العالم كله حتى ذلك الزمان ، من اليونان والفرس والهند ، ومدرسة الإسكندرية العظيمة وسواها ، لكن الأمة كانت تكن وتعلن الإحترام الأعظم لحلق الحديث ، وحلق الفقه ، فهذه مدرسة الشريعة ، وإن كانت لحلق الحديث الكثير من الأسباب ، منها أن الأصل الأول لتفسير الكتاب العزيز ، والأصل الثاني بعد الكتاب لاستخراج الفقه ، وأنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما الفقه فرأي الرجال» (ص٤٧).

ويضيف عن عصر الرشيد ومن بعده فيقول «كان هذا العصر ، عصر الأفعال العظيمة وردود الأفعال العظيمة ، وهو حقيقي بأن يقول فيه الرجل الصالح كلمته ، أو

يقف موقفه ، دون تكلف أو وجل ، ومن الأعمال العظيمة في تاريخ الإنسانية ما قد يكون عملاً عادياً في يوميات رجل ، كان العالم الإسلامي يتألق فيه مالك والشافعي وابن حنبل ، وابو يوسف ومحمد بن الحسن ، وكثيرون عملوا على آثارهم ، أما في العلوم والرياضيات ، فهو عصر رواد الكيمياء والفلك والرياضيات العالميين ، جابر بن حيان والكندي ، والخوارزمي – وهو عصر الترجمة في كل علوم العالم ، وعصر الكتاب العالميين ، والشعراء الفحول – وعصر دار الحكمة والمراصد الفكلية.

ويمتاز في تاريخ الملوك بالنزعة العلمية التي ملكت الباب الخلفاء المتعاقبين فيه ، وكما يقول المستشرق نيكلسون « لقد بدأ الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً طلاباً للعلم ، أو على الأقل أنصاراً للأدب » ويقول « في عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً وراء العلم » وفي إحدى حجات الرشيد دخل على الفضيل بن عياض فوعظه فلما هم الرشيد بالإنصراف قال له : يا أمير المؤمنين إني أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا بالحجاز. فقال الرشيد : أجل إنه ما قلت ... ، وعاد من حجه إلى دار السلام ، فكتب إلى الأمصار كلها ليكتبوا من التزم الأذان في ألف دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن ، وأقبل على طلب العلم ، وعمّر مجالس الأدب في الفي دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقّه في العلم واستبحر ، في أربعة آلاف من العطاء ، فما بقي عالم ولا قاريء ولا سباق للخيرات ، ولا حافظ للحرمات في أيام بعد أيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وأيام الخلفاء الراشدين أكثر منهم من زمن الرشيد ، كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ويستبحر في العلم والفقه ويروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجمع الدواوين ، ويناظر المعلمين وهو ابن إحدى عشرة سنة.. وأمست دار الحكمة التي أنشئت للترجمة جامعة » (ص٣٧).

ومما سبق يمكن للباحث ان يقول بأن عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان عصر العلم والإزدهار والتطور في الدولة العباسية ، حيث يعتبر هذا العصر العصر الذهبي للدولة العباسية فقد بلغت الحضارة الإسلامية أوج مجدها في شتى المجالات الساسية حيث هابتها الدول المجاورة لها وسالمتها في كثير من الأحيان ، بل دفعت إليها الجزية دولة تعتبر من أكثر الدول عداء للإسلام في ذلك العصر وهي دولة الروم ، كما بلغت

الدولة الإسلامية في ذلك العصر – عصر الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- في التجارة مرتبة عظيمة فأصبح التجار المسلمون يتاجرون مع مشارق الأرض مثل الصين والهند وغيرها ومع مغاربها مثل بلاد أوروبا ، كما انتعشت الحياة الإقتصادية انتعاشاً كبيراً لرواج التجارة ولكثرة الأموال التي كانت ترد إلى بيت مال المسلمين ، كما عمت النهضة العمرانية أرجاء الدولة الإسلامية وعمرت كثير من المدن مثل: بغداد – وسر من رأى ، وغيرها كما تفنن الخلفاء وغيرهم في بناء القصور وتجميلها مثل قصور الرشيد في بغداد قصر الخلد.

الجانب التعليمي:

اهتم الخلفاء بالجانب التعليمي وأولوه عناية فائقة وأجزلوا الأعطيات والهدايا للعلماء وطلاب العلم وأنشأوا دوراً للعلم والترجمة وغيرها مثل «دار الحكمة» في بغداد أما دور الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله – فقد كان في قمة هذا الطور الحضاري الشامخ ، زاهداً وعالماً ، ومقتضياً أثر من سبقه من أهل السنة ، لا يزيغ في الدين إلى الآراء ، والأفكار الوافدة ، والفلسفات الطارئة ، ولا يتبع مناهج الجدليين ، ولا منطق المعتزلين ، ورغم كثرة الفرق والطوائف في عصره ، وكثرة الإختلاف ، والتقلبات ، فقد ثبته الله على الحق إماماً وعن الحق والإسلام مدافعاً ويقول الحق صارخاً لا يهاب أحداً من خلفاء أو غيرهم من أعداء الإسلام ، ولقي في ذلك ما لقيه من أذى ، وتحمله راضياً ، لأنه يعرف أن الذي أصيب من أجله بالأذى هو الحق وكان يقول يرحمه الله «السجن كره ، والقيد كره، والضرب كره، والوعيد كره» ولكن كل ذلك كان محبباً إلى نفس الإمام أحمد رحمه الله ولقيه بنفس راضية ، لأن ذلك كله لله وفي الله – رحم الله الإمام أحمد بن حنبل وأسكنه فسيح جنانه وألهمنا الرشد والصواب وحشرنا جميعاً مع الأنبياء والصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

نستخلص مما سبق بعض الأفكار التربوية ومنها :

- على المعلم أن يكون غزير العلم ، حريص على الاطلاع على كل ما هو جديد في تخصصه بصفة خاصة ، وما هو جديد في مجالات العلم الأخرى بشكل عام.
- على طالب العلم أن يتحمل كل ما يصادفه من عقبات في تحصيل العلم.

ثانياً : حياة الإمام أحمد بن حنبل

- مولده ونشأته
- نسبه
- صفاته وشخصيته
- طلبه للعلم
- رحلاته في طلب العلم
- شيوخه
- تلاميذه
- آراء العلماء فيه
- محنة الإمام أحمد
- زهده
- مصنفاته.

ثانياً : حياة الإمام أحمد

مولد الإمام أحمد ونشأته

ذكر (ابن خلكان ،١٣٨٨هـ) «أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولد في مدينة بغداد يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول عام ١٦٤هـ - ٧٨٠م،

وقد جاءت به أمه حاملاً من «مرو» عاصمة خراسان حيث كان يعمل جد الإمام أحمد بن حنبل والياً على «سرخس» وهو إقليم ذو شأن ، من أقاليم خراسان » (ص ٦٤) « أما والده فقد كان أحد قواد الدولة الإسلامية في خراسان. وقد توفي والده محمد » وهو شاب في الثلاثين من عمره دون أن يراه ابنه.

نشأ الإمام أحمد بن حنبل - يتيماً بعد وفاة والده ، وقد اهتمت أمه بتربيته وحرصت على تعليمه القرآن واللغة والأدب والحديث منذ حداثته ، كما علمته ما عَرفت من الفارسية من خلال إقامتها بمرو » .(التركي ، ١٣٩٧ : ص ٣٦)

نسبــــه

أورد ابن العماد الحنبلي «د. ت» نسب الإمام احمد بن حنبل على النحو التالي :-

«هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، بن إدريس ، بن عبدالله ، بن حيان ، بن عبدالله ، ابن أنس ، بن عوف ، بن قاسط ، بن مازن ، بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبه ، بن عكابة بن صعب ، بن علي ، بن بكر ، بن وائل ، بن قاسط ، بن هنب ، ابن أفصى ، بن دعمى ، بن جذيلة بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان ، الشيباني » (ص ٩٦)

ويقول ابن أبي يعلى ، ١٣٥٠هـ «إن نسب الإمام احمد بن حنبل يلاقي نسب الرسول صلى الله عليه وسلم من «نزار» لأن «نزار» كان له ابنان أحدهما مضر ، والنبي صلى الله عليه وسلم من ولده والآخر «ربيعة» وإمامنا أبو عبدالله من ولده» (ص٣).

صفاته وشخصيته

«كان الإمام احمد بن حنبل ، رجلاً حسن الوجه ، أسمر شديد السمرة ربعة من الرجال يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، في لحيته شعرات سوداء ، ثيابه غلاظاً ، لا أنها بيض ، نظيف الثوب متعاهداً لنفسه ، في شاربه ، وشعر رأسه» (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ. ص ٢٠٨).

وذكر (التركي، ١٣٩٧هـ) «أن الامام احمد بن حنبل قد شب على أدب عظيم ، وخلق كريم ، ودين عميق ، وكان ذا سَمْت جليل ، لا يأنف من الجلوس على الأرض ، يحب النظافة والطهارة ، له مهابة كبيرة ، وهيئة جليلة» (ص ٣٢ ، ٤٧ »

تتمثل شخصية الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في نطاق كبير من الزهد والورع ، والتقوى ، من الدين والعلم ، والتواضع ، من الجلال والهيبة والوقار ، من الذكاء والموهبة والثقافة ، واتساع المعرفة ، ترك في الدنيا دوياً لم يتركه مثله من العلماء ، والذي عكف العلماء على تراثه ، ومنهجه من بعده أجيالاً عديدة حتي اليوم ، وصار الإمام بكل خصائصه الإسلامية ، والعلمية والفكرية ، شعار مدرسة جامعة ، ورمزاً على التبحر في العلوم ، والتوسع في فقه الدين ، وعلوم الشريعة ، من حديث وفقه وتفسير وخلافه . ولقد كان بحق إماماً ومعلماً لعصره ، ولأجيال كثيرة جاءت بعده ، تنادي بالرجوع إلى القرآن والسنة ، وترك التأويل من نصوص الدين بمحض العقل» أنظر(التركي ، ١٣٩٧: ص ٤٧).

أورد (التركي ، ١٣٩٧هـ) «أن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – قد شبّ على أدب عظيم ، وخلق كريم ، فقد كان جند الخليفة في «الرقة» ، يكتبون رسائلهم إلى نسائهم وبيوتهم ، فتبعث النساء إلى المعلم: ابعث إلينا احمد بن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم ، فيبعثه ، فكان يجيء إليهم مطأطيء الرأس ، فيكتب جواب كتبهم ، فربما أملوا عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهم» (ص٣٢) وأورد (ابن أبي يعلى ، ١٣٥٠هـ) بعض أقوال العلماء في الإمام احمد ومنهم الإمام الشافعي – رحمه الله – حيث قال « احمد إمام في ثمان » في الفقه ، في القرآن ، في الفقراء ، في الزهد ، في الورع ، في الحديث ، الفقه ، في السنة» (ص٣) (كما سبق ص ٥).

كما ذكر «ابن الجوزي ، ١٤٠٢) : قال «كان أبو عبدالله – يعني الإمام احمد بن حنبل رحمه الله – شديد الحياء كريم الأخلاق ، يعجبه السخاء » (ص ٢٤١)

قال أبو بكر المروذي – صديق الإمام احمد بن حنبل وأحد تلاميذه – «كان ابو عبدالله – يعني الإمام احمد بن حنبل رحمه الله – ربما واسي من قوته ، وجاءه ابن سعيد الضرير فشكى اليه فقال : يا أبا سعيد : ما عندنا إلا هذا الجذع ، فجيء بحمال يحمله وقال : فأخذت الجذع فبعته بتسعة دراهم ودانقين.(الدانق سدس الدينار والدرهم) ابن منظور ١٣٧٥هـ. ١٠/١٠٥).

وقال يحيى الوراق : جئت مرة أبي عبدالله – احمد بن حنبل – فشكوت اليه ، فأخرج لي أربعة دراهم ، وقال : هذا جميع ما أملك » (ص ٢٤١)

وكان لا يقبل الهدية إلاّ ويرد بأفضل منها (يقول ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) « قال اسحق بن ابراهيم قال : أهدى جوين – جار لأبي عبدالله – إلى أبي عبدالله شيئاً من جوز وزبيب وتين ، في قصعة ما يساوي ثلاثة دراهم ، أو أقل ، فأعطاني أبو عبدالله ، ديناراً وقال : اذهب فاشتر بعشرة دراهم سكراً وبسبعة دراهم تمراً واذهب به اليه في الليل ففعلت » (ص ٢٤٣).

اتصف الإمام احمد رحمه الله بالزهد فكان عفيف النفس لا يأكل إلا من عرق جبينه ، كان ينفق على نفسه من عقار تركه له والده دراهم معدودة ، وكان إذا انقطعت به النفقة وهو في الطريق مسافراً أكرى نفسه من الحمالين مقابل نفقته إلى أن يصل إلى المكان الذي يريده ، لا يقبل من أصدقائه سلفة ولا صدقة ، وإذا كان مقيماً في بلد ما وانقطعت به المؤنة عمل بالنسخ لمن يريد حتى يحصل على طعامه ونفقته.

وكانت زوجته تساعده في النفقة فقد كانت تغزل له ويذهب به ويبيعه في السوق ليحصل على نفقته. قال (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) «قال ابو جعفر القطان : - وكان تاجراً ببغداد – كان أيام الغلاء ويجيئني أبو عبدالله – الإمام احمد بن حنبل – بغزل أبيعه ، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف ، وربما بعته بدرهمين ، فتخلف يوماً ، فلما جاء قلت : يا أبا عبدالله لم تجيء أمس ؟ فقال أم صالح كانت مريضة ، وجاء ذات يوم

الي بِغَزْل فبعته بأربعة دراهم فجئت بها فأنكر ذلك وقال: لعلك زدت من عندك ؟ قلت : لا ، ما زودت فيه من عندي ، كان غزلاً دقيقاً » (ص ٢٤٥).

فقد كان رحمه الله يعيش حياته في نطاق القرآن الكريم والحديث والفقه.

طلب الإمام احمد للعلم.

ذكر الباحث عند الحديث عن نشأة الإمام احمد بن حنبل - رحمه الله - مجموعة من الخصال الحميدة التي توفرت له في صباه ، فصقلته ، وكانت عاملاً قوياً من عوامل استقامته ونبوغه ، كما كان لإهتمام أمه بتربيته التربية الإسلامية الصالحة وعنايتها به أثر في مستقبل حياته. ولقد شبّ الإمام أحمد على تلك الصفات واتجه للعلم ، وكانت بغداد في ذلك الوقت تعتبر حاضرة العالم الإسلامي في جميع المجالات ، فإليها يتجه طلاب العلم من مختلف البلدان ، لأنها كانت تضم مجموعة كبيرة من العلماء من مختلف العلوم، في الدين ، واللغة والرياضة ، والفلسفة ، وكل هذه العلوم تؤتي ثمارها ولها طلابها الذين يميلون لدراستها. ذكر (ابن زهرة ، ١٣٦٧هـ) «ووجد الإمام احمد نفسه أمام هذه العلوم المختلفة والمتعددة الاتجاهات ، فكان لا بد أن يأخذ منها ما يتفق مع ميوله ونشأته الأولى ، فاتجه إلى علوم الدين واللغة ، فأول ما تعلمه الإمام احمد رحمه الله - هو كتاب الله فقد وجهته أسرته إلى القرآن الكريم منذ نشأته الأولى فحفظه » (ص٢١) وقال (الجندي ، ١٣٩٠هـ) « أتيح للإمام احمد - منذ بداية نشأته - معلمون عظماء حفظ عليهم القرآن الكريم وهو غلام ، يتصدرهم من كبار القرّاء يحيى بن آدم (٢٠٢هـ) ومنهم سعيد بن الصباح ، واسماعيل بن جعفر وغيرهم » (ص٣٥) وقال (ابن زهرة ، ١٣٦٧هـ) «وبعد أن أتم الإمام احمد -حفظ القرآن الكريم اتجه إلي التحرير والكتابه« (ص٢١)

ذكر (الجندي ، ١٣٩٠هـ) «وبعد أن انتهى من ذلك وبلغ فيه شأواً بعيداً ، وفاق أقرانه ، اتجه إلى علوم الدين ، فبدأ بالفقه وكان أول اساتذته في ذلك بن هشيم ابن بشير ، وهو شيخ المحدثين في عصره ، فتعلم منه فقه الشريعة والحديث » (ص٥١).

وأضاف (ابن الجوزي ، ١٣٩٧هـ) «ولكنه ما لبث أن مال إلى المحدثين فانصرفت نيته اليهم ، فأخذ الحديث أول بدئه على يد أبي يوسف ، وقد روي ذلك عنه حيث قال: أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف وكان عمره في ذلك الوقت ست عشرة سنة ، قال الإمام احمد - رحمه الله - (طلبت الحديث في سنة تسع وسبعين وانا ابن ست عشرة سنة » (ص٢٣).

« وكان مع انصرافه إلي المحدثين لا ينقطع عما أنتجته عقول الفقهاء من العراق من فتاوي ، بل انه قد اطلع عليها ولكن لم تكن همته لها » (ابن زهرة ، ١٣٦٧ : ص٢٣)

قال (الجندي ، ١٣٩٠هـ) «وقد انكب الإمام احمد رحمه الله على حلق الحديث انكباباً وهو في السادسة عشرة، وكانت توصيه – أمه – بالإعتدال إذ تراه يحث الخطى إلى مجلس شيخه قبل إسفار الصبح ، يقول الإمام احمد بن حنبل: «كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي بثيابي وتقول: حتى يؤذن ، أو حتى يصبحوا » (ص٣٧)

« وبدافع الرغبة في العلم ، أقبل احمد الطفل الصغير بكل قلبه وجوارحه على العلم في بغداد ، وهو موضع الإعجاب من الناس ، قال المروذي: قال لي ابو سراج بن خديجة – وهو ممن كان مع الإمام احمد بن حنبل في الكُتّاب : إني أعجب من أدب احمد وحسن طريقته ، وقال لنا ذات يوم: أنا أنفق على أولادي واجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا ، فما أراهم يتعلمون ، وهذا احمد بن حنبل ، غلام يتيم ، أنظر كيف يخرج ! ؟ وجعل يعجب » (التركي ، ١٣٩٧ : ص٢١)

اشتهر الإمام احمد رحمه الله بحبه بالعلم وتدوينه ، وهو صاحب المقولة المشهورة « من المحبره إلى المقبرة » عندما تقدّم به السن وسئل إلى متى تستمر في طلب العلم وتدوينه.

وقد عرف عن الإمام احمد رحمه الله – طاعته لوالدته حتى لو أدى ذلك إلى تأخره عن حضور جلسة عالم أو اللقاء به وقد ذكر (الجندي ١٣٩٠هـ) «جاءته الفرصة منقادة سنة ١٨٦هـ ليلقى عالم الري جرير بن عبدالحميد ، إذ قدم إلى بغداد ، وحال بينهما إرتفاع الموج في مياه دجلة – حتى نزل الرشيد بأهله وحرمه وأمواله إلى السفن ، حذر الدمار الذي يهدد به الفيضان بغداد ، وكان أمير بغداد قد أمر الناس ألآ يعبروا خشية الغرق ، وجرير ينزل على بني المسيب في الجانب الشرقي – من بغداد فاستجمع المتفقهون جسارتهم ، فعبروا ليسمعوا جريراً ، إلا أحمد لم يعبر ، وقال لزميل له دعاه للعبور «أمي لا تدعني» (ص٣٧).

وهو بذلك يؤثر رضا أمه وطاعتها وبالرغم من أن المعلم بجواره ، فالإمام احمد لم يرجع إلآ طاعة لوالدته ، وإن لم تفصح عن عدم رغبتها في ذهاب ابنها ، وهو لم

يطلب الإذن منها لعلمه المسبق بما ترغبه والدته ، فهو عليم بهواها ، ويؤثر رضاها على العبور لتلقي العلم متبعاً بذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: عندما سئل من أحق الناس بحق الصحبة قال : أمك ثلاث مرات وفي الرابعة قال أباك ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم (رواه البخاري ، فتح الباري : ص ٤١٥ حدث رقم ٥٩٧١ » هكذا استمر الإمام احمد بن حنبل – رحمه الله – في أخذ الحديث ودراسته وحفظه على يد شيوخ بغداد ومحدثيها ، فكان يكتب كل ما يسمع ، حتى شعر بأنه لم يبق أحد في بغداد ولم يستنفذ ما عنده ، وهنا بدأ يفكر في أن يرحل لطلب العلم إلى مختلف المدن «قال بعض العلماء : مر أحمد بن حنبل علينا قادماً من الكوفة ، وبيده خريطة فيها كتب ، فأخذت بيده ، فقلت: مرة إلى الكوفة ، ومرة إلى البصرة ، إلى متى ؟ إذا كتب الرجل ثلاثين ألف حديث لم يكفه ؟ فسكت أحمد ، ثم قلت ستين الفاً ؟ فسكت ، فقلت مائة الف ؟ فقال حينئذ يعرف شيئاً ، فنظرنا فإذا أحمد قد كتب ثلاثمائة ألف حديث » :

وقد أحب الإمام أحمد العلم والكتابة حباً شديداً حتى قيل: يا أبا عبدالله: أنت قد بلغت هذا المبلغ ، وأنت إمام المسلمين ، فقال: مع المحبرة إلى المقبرة .. وكان يقول: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر – وفي مكة سرق متاعه ، وهو خارج البيت يطلب الحديث ، ولما عاد قيل له ذلك ، فلم يسأل عن شيء من المتاع ، وإنما بادر بالسؤال عن الألواح فلما علم أنه لم يصبها شيء قال الحمد لله » (ص ٣٦).

رحلات الإمام احمد لطلب العلم

بدأ الإمام احمد بن حنبل – رحمه الله – تلقي العلم ببغداد – البلدة التي ولدونشأ فيها – حيث اهتمت أمه بتعليمه القرآن الكريم ، والأدب ، والحديث ، وقد أتيح له – في بغداد – معلمون عظماء حفظ عليهم القرآن الكريم وهو غلام ، يتصدرهم يحيى بن آدم ، وسعيد الصباح ، وإسماعيل ابن جعفر وغيرهم. فلما كبر وشب بدأ القيام بعدة رحلات لطلب العلم منها :

١– رحل إلى واسط «حيث يعتبر البعض إن أول أستاذ للإمام احمد بن حنبل – رحمه الله –هو هشيم بن بشير السلمي الواسطي سنة ١٠٤ – ١٨٣هـ» وهو شيخ المحدثين بالعراق ، في عصره وكتب عنه الحديث من سنة ١٧٩ – ١٨٢هـ وعن يزيد بن هارون من سنة ١١٨ – ٢٠٦هـ .

٢– رحل إلى الري وأخذ عن علي بن المجاهد وذلك سنة ١٨٢هـ وتعتبر أول رحلة له في طلب الحديث ـ والتقى بعالمها «جرير بن عبدالحميد » وكان «جرير بن عبدالحميد » قد نزل ببغداد ولم يستطع الإمام احمد بن حنبل الإلتقاء به. (سبق الحديث عن تلك الرحلة ص ٢١).

٣– ودخل البصرة خمس مرات أولها سنة ١٨٦هـ وكان بها المحدثون الفحول ، والعباقرة ، من علماء اللغة ، ولزم فيها يحيى بن سعيد القطان ، ثم خرج إلى البصرة وأخذ عن عالمها «يزيد بن الربيع، ١٨١هـ». كما رحل إلى البصرة سنة ١٨٦هـ ، في طلب الحديث ، وسمع من سفيان بن عيينة عام ١٨٧هـ وفي هذا العام أدى فريضة الحج » (الجندي ، ١٣٩٠هـ : ص ٣٤ ، ٥١) كما خرج إلى الكوفة في طلب الحديث فأصابته الحمى ، فعاد إلى بغداد .

٤– رحل الإمام أحمد بن حنبل– رحمه الله –إلى مكة خمس مرات للحج أولها سنة ١٨٧هـ ولقد التقى فيها بالإمام الشافعي «محمد بن إدريس » سنة ١٩٥هـ وهو الذي يقول عنه الإمام احمد بن حنبل « ما من أحد مس محبرة إلاّ وللشافعي في عنقه دين ». وقد أخذ عنه الفقه وأصوله ، وبيانه لناسخ القرآن ومنسوخه » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢ : ص ٢٣ ، ٢٦).

كما التقى الإمام أحمد رحمه الله – بالإمام الشافعي – رحمه الله – مرة أخرى عام ١٩٥هـ عندما قدم بغداد وكان الشافعي يعوّل عليه في معرفة صحة الحديث أحياناً » (ابن زهرة ، ١٣٦٧ : ص٢٣).

وكما كان الإمام احمد يجّل الشافعي ويقول فيه: يروي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم لها أمر دينها فقال: عمر بن عبدالعزيز على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الثانية » رواه ابو داود .

« وقد رشح الإمام الشافعيّ الإمامَ احمد بن حنبل – عند «الرشيد » لتولي قضاء اليمن لكن الإمام أحمد رفض » (لابن زهرة ، ١٣٦٧: ص ٣٦)

٥- أورد التركي عام ١٣٩٧هـ (ورحل الإمام احمد بن حنبل – رحمه الله – إلى اليمن سنة ١٩٨هـ وأخذ عن عالمها عبدالرزاق بن همام الصنعاني وكان الإمام احمد بن حنبل قد خرج من بغداد قاصداً اليمن ليلتقي بعبد الرزاق بن همام هناك ومعه «يحيى بن معين » وأثناء طوافهما حول الكعبة شاهد يحيى بن معين عبدالرزاق بن همام في الطواف » (التركي ، ١٣٩٧هـ: ص ٣٠) وبعد انتهائهما من الطواف وركعتي الطواف ، ذهبا إلي عبدالرزاق وعرّف يحيى بن معين عبدالرزاق بالإمام احمد بن حنبل ، فقال عبدالرزاق للإمام أحمد حياه الله وثبته ، فإنه يبلغني عنه كل جميل ، وقال ابن معين: نجيء اليك غداً إن شاء الله حتى نسمع ونكتب ، ثم انصرف عبدالرزاق ، فقال الإمام احمد لابن معين: لم أخَذْتَ على الشيخ موعداً ؟ قال: لنمسع منه. وقد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة ، فقال الإمام احمد: ما كان الله يراني وقد نويت نية لي أفسدها بما تقول ، نمضي فنمسع منه. فمضى حتي سمع منه بصنعاء ». وكانت قد انقطعت بالإمام أحمد أثناء رحلته إلى اليمن المئونة فأبى أن يأخذ من يحيى بن معين شيئاً قرضة ، وإنما أكرى نفسه للحمالين حتى وصل اليمن ، وأثناء إقامته باليمن رهن نعله عند الخباز وعندما أراد العودة من اليمن ذهب إلى الخباز واتفق معه على أن يكون ثمن الخبز الذي أخذه قيمة لنعاله.

ذكر (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ) رحلة الإمام احمد بن حنبل إلى اليمن «برواية الإمام

احمد قال «أتينا عبدالرزاق قبل المائتين ، وهو صحيح البصر ، ولما قدمت أنا ويحيى بن معين في وقت صلاة العصر فسألنا عن منزل عبدالرزاق فقيل: إنه بقرية يقال لها «الرمادة» وبينها وبين صنعاء قريب ، فمضيت لشهوتي للقائه وتخلف يحيي بن معين ، حتي إذا سألت عن منزله قيل: هذا منزله ، فلما ذهبت أدق الباب قال لي بقّال تجاه داره: لا تدق ، فإن الشيخ مَهَوب ، فجلست حتى إذا كان قبل صلاة المغرب ،فخرج لصلاة المغرب ، فوثبت إليه وفي يدي أحاديث أثبتها فقلت له: سلام عليكم ، تحدثني بهذه رحمك الله ، فإني غريب ، فقال لي: من أنت ؟ فقلت له: أحمد بن حنبل ، قال أحمد: فتقاصر ورجع وضمني إليه وقال: بالله أنت أبو عبدالله ؟ ثم أخذ الأحاديث فلم يزل يقرؤها حتى أشكل عليه الظلام، فقال للبقال: هلم المصباح ! حتى خرج وقت صلاة المغرب وكان يؤخرها « (ص ١٢٠).

ويمكن مما تقدم الإستنتاج بعض الأمور التربوية منها :

١- على طالب العلم الإستمرار في طلب العلم والإنتقال في سبيل ذلك من مكان إلى آخر.

٢- أن يتحلى طالب العلم بالجد والإجتهاد والصبر على المشقة في طلب العلم.

٣- تأييد ما يعرف اليوم باسم (التخصص الدقيق) بحيث يتخصص طالب العلم في فرع واحد من فروعه.

شيوخ الإمام أحمد بن حنبل

إمتاز الإمام احمد بن حنبل – رحمه الله – منذ صباه بحبه وتعلقه بالعلم وحرصه علي طلبه ، وأتيح له معلمون عظماء حفظ عليهم القرآن الكريم وهو غلام ، كما كانت «بغداد » في ذلك الوقت زاخرة بالعديد من العلماء من مختلف العلوم.

ولكن الإمام أحمد اتجه حسب تربية أسرته الدينية إلى علوم الدين حيث حفظ القرآن الكريم وبعد إتمام حفظه اتجه إلى اللغة العربية فأتقنها ثم اتجه إلى الحديث وطلبه على يد كثير من العلماء داخل بغداد وخارجها ، حيث قام بعدة رحلات إلى كل من :-

الري ، وواسط ، والبصرة ثم خارج العراق وإلى مكة المكرمة خمس مرات لأداء فريضة الحج والتلقي على علمائها ، ثم قام بزيارة إلى اليمن لتلقي الحديث علي يد عالمها الشهير «عبدالرزاق ».

خلال مشوار الإمام أحمد التعليمي حظي بالتلقي على يد عدد كبير من العلماء ومنهم :-

١- **يحيى بن آدم:** وكان الإمام أحمد بن حنبل قد تلقى عليه القرآن وهو غلام صغير في بغداد وهو يحيى بن آدم بن سليمان ، أبو زكريا الأموي ، مولاهم الكوفي ، العلامة الحافظ ، المجوّد ، صاحب التصانيف ، من موالي خالد بن عقبة بن ابي معيط .،

ولد «يحيى ، عام ١٣٠هـ» ولم يدرك والده ، كأنّه توفي وهو حمل ، روى عن جمع كثير ، وروى عنه جمع كثير ، قال أبو حاتم: كان ثقة ثقه ، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة كثير الحديث ، فقيه البدن ، ولم يكن له سن متقدم ، سمعت عليا يقول: يرحم الله يحيى بن آدم ، أيّ علم كان عنده ، وجعل يطريه ، وسمعت عبيد بن يعيش – سمعت أبا أسامة يقول: ما رأيت يحيى بن آدم قط ، إلا ذكرت الشعبي – يريد أنه كان جامعاً للعلم. واتفق موته غريباً في فم الصلح «نهر كبير فوق مدنية واسط بالعراق بينه وبين جبل علية عدة قرى» (الحموي ، ٤ /٢٧٦) وذلك سنة ٢٠٣هـ في النصف من شهر ربيع الأول » (الذهبي ، ١٤١٠: ص ٥٢٢ وما بعدها)

٢- **هشيم بن بشر بن أبي خازم ، قاسم بن دينار** ، أبو معاوية السلمي مولاهم

الواسطي ولد سنة ١٠٤هـ ، شيخ الإسلام ، محدث بغداد وحافظها ، أخذ عن جمع كثير وأخذ عنه جمع كثير.

(يقول الجندي ، ١٣٩٠هـ) « يعتبر البعض أن أول أساتذة الإمام أحمد هشيم بن بشير السلمي ، وهو شيخ المحدثين بالعراق في عصره »، ص ٥١ . وقال (الذهبي سنة ١٤١٠هـ) سكن بغداد ، ونشر بها العلم ، وصنف التصانيف ، .

كان والد هشيم صاحب صحناء وكامخ – «الصحناء إدام من السمك ، والكامخ ما يؤتدم به أو المخللات المشهية » – فكان يمنع هشيماً من الطلب ، فكتب العلم حتى ناظر أبا شيبة القاضي ، وجالسه في الفقه ، قال فمرض هشيم ، فجاء أبو شيبة يعوده ، فمضى رجل إلي بشير فقال: الحق ابنك ، فقد جاء القاضي يعوده ، فجاء فوجد القاضي في داره ، فقال: متى أمّلت أنا هذا ، قد كنت يا بني أمنعك ، أما اليوم فلا بقيت أمنعك ، قال احمد بن حنبل: لزمت هشيماً أربع سنين ، أو خمساً ، ما سألته عن شيء إلاّ مرتين ، هيبة له ، وكان كثير التسبيح بين الحديث ، يقول بين ذلك ، لا إله إلا الله ، يمد بها صوته ، وقال عبدالرحمن بن المهدي: كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري ، وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحداً أحفظ للحديث من هشيم إلا سفيان. وقال عبدالله بن المبارك: من غير الدهر حفظه ، فلم يغير حفظ هشيم ، وقال أحمد بن حنبل: ليس أحد أصح حديثاً من هشيم عن حصين ، وقال عبدالرحمن بن مهدي: حفظ هشيم عندي أثبت من حفظ أبي عوانه ، وكتاب أبي عوانه أثبت. قال ابن أبي الدينار: حدثني من سمع عمرو بن عون يقول: مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة ، وسئل أبو حاتم عن هشيم فقال: لا يسأل عنه ، في صدقة ، وأمانته ، وصلاحه ، قال ابراهيم بن عبدالله الهروي: سمع هشيم وابن عيينة من الزهري سنة ١٢٣هـ في ذي الحجة ، فقال سفيان أقام عندنا إلى عَمرة المحرم ، ثم خرج إلى الجعرانه فاعتمر منها – يقصد أحرم – ثم نفر ومات من سنته » (ص ٢٨٧ وما بعدها). «وذكر الجندي ١٣٩٠هـ» «توفي سنة ١٨٣هـ (الذهبي ، ١٤١٠هـ ، ص: ٢٨٧ وما بعدها).

٣- **يزيد بن هارون «بن زادي** ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو خالد السلمي ، موالهم الواسطي ، الحافظ ، ولد سنة ١١٨هـ وكان رأساً في العلم والعمل ، ثقة حجة ، كبير الشأن. وقد أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل - يرحمه الله - عند سفره إلى واسط سنة ١٨١هـ ، قال الإمام أحمد بن حنبل: كان يزيد حافظاً متيقناً .

قال علي بن المديني: ما رأيت قط أحفظ من يزيد بن هارون ، وقال علي بن شعيب: سمعت يزيد بن هارون يقول: أحفظ أربعة وعشرين الف حديثاً بالإسناد ولا فخر ، وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديثاً لا أسأل عنها. روى عن جمع كثير وروى جمع عنه كثير.

قال أحمد بن سنان القطان: ما رأينا عالماً أحسن صلاة من يزيد بن هارون ، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار ، وقال يحيى بن أبي طالب: سمعت من يزيد بن هارون ، وكان يقول إن في مجلسه سبعين ألفاً .

احتفل محدثوا بغداد وأهلها لقدوم يزيد ، وازدحموا عليه لجلالته ، وعلو إسناده ، ولم يستطع الإمام أحمد الذهاب إليه بسبب إرتفاع موج الفرات في تلك الأيام لأن يزيد بن هارون نزل في الجانب الشرقي من بغداد والإمام أحمد في الجانب الغربي منها ، وبسبب طاعته لوالدته عندما علم بعدم رغبتها أن يعبر الإمام أحمد دجلة والموج مرتفع.

قال أبو بكر بن شيبة : ما رأيت أحداً أتقن حفظاً من يزيد بن هارون. وقال يعقوب بن شيبة: كان يزيد يعد من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر» (الذهبي ، ١٤٠٩هـ: ص٣٥٨ وما بعدها) قال أحمد بن حنبل: سماع يزيد ضعيف ، أخطأ في أحاديث ، قلت - يعقوب بن أبي شيبه - : إنما الضعف فيها من قبل ابن أبي عروبة ، لأنه سمع منه بعد التغير وقد توفي في خلافة المأمون سنة ٢٠٦هـ وعمره ٨٩ سنة وثمانية أشهر. وكان الإمام أحمد بن حنبل يسميه ريحانة البصرة - رغم أنه من علماء واسط.

٤- **جرير بن عبدالحميد:** بن يزيد الحافظ القاضي ، ابو عبدالله الضبي الكوفي ، نزل الري ، ونشر بها العلم ، ويقال مولده بأعمال أصبهان ، ونشأ بالكوفة : قال:

ولدة سنة ١١٠هـ ، السنة التي مات فيها الحسن » (الذهبي ١٤١٠هـ ص ٣٤).

وقد التقى به الإمام أحمد بن حنبل - يرحمه الله - في الري سنة ١٨٢هـ.

قال بن سعد : كان ثقة كثير العلم ، يَرحل إليه ، وقال بن عمار : هو حجة كانت كتبه صحاحاً ، وقال إبراهيم بن هاشم : نزل جرير بن عبدالحميد ببغداد على ابن المسيب ، فلما عبر إلى الجانب الشرقي جاء المد ، فقلت لأحمد بن حنبل نعبر ؟ : فقال أمي لا تدعني ، فعبرت أنا ، فلزمته ولم يكن السندي - أمير بغداد - يدع أحداً يعبر - يعني لكثرة المد - فلبثت عنده عشرين يوماً ، فكتبت عنه الفاً وخمسمائة حديث ، وكتبت عنه قبل أن يخرج إلي مكة حديثاً بالسفينتين على دابته قال حنبل: سئل أبو عبدالله : من أحب اليك شريك أم جرير ؟ فقال جرير أقل سقطاً ، توفي يوم الإربعاء ١ جمادي الأولي سنة ١٨٨هـ وهو ابن ٧٨ أو ٧٩ سنة » (التركي ، ١٣٩٧هـ : ص٩).

٥ - **يحيى بن سعيد القطان**:ذكر (الذهبي ، ١٤٠٩هـ) قال :«هو يحيى بن سعيد بن فروخ ، الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث ، أبو سعد التميمي مولاهم البصري ، الأحول ، القطان ، ولد سنة ١٢٠هـ ولقد لازمه الإمام أحمد بن حنبل سنة ١٨٦هـ وكان ذلك بالبصرة ، ص ٥٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما رأيت بعيني مثل يحيى القطان ، وقال يحيى بن معين: قال عبدالرحمن المديني : لا تري بعينيك مثل يحيى القطان ، وقال على بن المديني : ما رأيت أحداً أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد ، وقال عبدالله بن جعفر بن خاقان : سمعت عمرو بن علي يقول: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة ، ويدعو لألف إنسان ، ثم يخرج بعد العصر ، فيحدث الناس ، قال ابن خزيمة: سمعت بندراً يقول: اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنة ، ما أظنه عصى الله قط ، لم يكن له في الدنيا شيء . قال أحمد بن سعيد الدارمي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما كتبت الحديث عن مثل يحيى بن سعيد قال ابن سعد : كان يحيى ثقة مأموناً رفيعاً حجة. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحداً أقل خطأ من يحيى بن سعيد ، لقد أخطأ في أحاديث ، ثم قال: ومن يَعرَي من الخطأ والتصحيف.

قال عبدالصمد بن سليمان : سمعت أبا عبدالله - يعني أحمد بن حنبل - يقول: انتهى العلم إلى أربعة ، إلى ابن المبارك ، ووكيع ، ويحيى القطان ، وعبدالرحمن.

فأما ابن المبارك فأجمعهم ، وأما وكيع فأسردهم ، وأما يحيى فأتقنهم ، وأما عبدالرحمن فجهبذ ، ثم قال: ما رأيت أحفظ ولا أوعى من وكيع) » (ص١٧٥ وما بعدها.)

٦ - **سفيان بن عيينة** بن أبي عمران مولى محمد بن مزاحم ، الإمام الكبير ، حافظ العصر ، شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ، طلب الحديث وهو حدث بل غلام ، ولقي الكبار ، وحمل عنهم علماً جمّاً ، وأتقن ، وجوّد ، وجمع وصنف ، وعمر دهراً ، وازدحم الخلق عليه ، وانتهى اليه علو الإسناد ، وكان يُرحل إليه من البلاد ، قال عن نفسه: ولد في النصف من شعبان سنة ١٠٧هـ

(ذكر التركي ١٣٩٧) «سمع منه الإمام احمد بن حنبل - يرحمه الله - بالبصرة حينما رحل إليها سنة ١٨٦هـ في طلب الحديث« (ص , ٣٤)

قال عنه «الشافعي »: لولا مالك وسفيان بن عيينة ، لذهب علم الحجاز ، وعنه قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند «ابن عيينة » ، سوى ستة أحاديث ، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثاً.

فهذا يوضح سعة دائرة «سفيان » في العلم ، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين والحجازيين ، وارتحل ولقي خلقاً كثيراً ، ما لقيهم «مالك » وقال علي بن المديني: ما في أصحاب الزهري أحد أتقن من سفيان بن عيينة ، وقال أحمد بن حنبل: دخل سفيان ابن عيينة علي معن بن زائدة - يعني أمير اليمن - ولم يكن سفيان تلطّخ بعد بشيء من أمر السلطان ، فجعل يعظه . وسفيان حجة مطلقاً ، وحديثه في جميع دواوين الإسلام. قيل : عاش إحدى وتسعين سنة (الذهبي ، ١٤١٠هـ: ص ٤٥٢ ، ٤٧٤ .)وبذلك يكون قد توفي سنة ١٩٨هـ

٧ - **الإمام الشافعي:** ذكر نسبه (الذهبي ، ١٤١٠هـ) فقال: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب

ابن عبد مناف بن قصي ... أبو عبدالله القرشي ثم المطلبي المكي، الغزي المولد ، نسيب رسول الله ﷺ ، وابن عمه ، فالمطلب هو أخ هاشم والد عبدالمطلب ، الإمام ، عالم العصر ، ناصر الحديث ، فقيه الملة.

ولد بغزة سنة ١٥٠هـ كما قال ،وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، وقيل ولد بعسقلان فلما أتى عليه سنتين حمل إلى مكة. «مات إدريس (والده) شاباً فنشأ محمد يتيماً في حجر أمه ، فخافت عليه الضيعة فتحولت إلى متحدة ، وهو ابن عامين ، فنشأ بمكة وأقبل على الرمي ، حتى فاق فيه الأقران ، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة ، ثم أقبل على العربية والشعر ، فبرع في ذلك وتقدم ، ثم حبب إليه الفقه ، فساد أهل زمانه ، وأخذ العلم ببلده عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة .. وارتحل وهو ابن نيف وعشرين سنة إلى المدينة ، فحمل عن مالك بن أنس «الموطأ» عرضه من حفظه ، وقيل من حفظه لأكثره ، وأخذ عن علماء كثير من اليمن وبغداد وغيرها .... وصنف التصانيف ، ودون العلم ، ورد على الأئمة ، متبعاً الأثر ، وصنف في أصول الفقه وفروعه ، وكان قد أفتى وتأهل للأمة ،وبَعُد صيته ، وتكاثر عليه الطلبة) (١٠/٦).
يقول (التركي ، ١٣٩٧هـ) «ومن أبرز الشخصيات التي التقى بها الإمام أحمد أثناء رحلاته ، وأثناء إقامته أيضاً : الإمام الشافعي رحمه الله - وقد أخذ عنه واستفاد منه كثيراً ، وكان الشافعي يجلّه ويقدّره.

ففي عام ١٨٧هـ رحل أحمد إلى الحجاز والتقى بالشافعي ، وأخذ منه فقهه وأصوله ، وبيانه لناسخ القرآن ومنسوخه ، كما أخذ من سفيان بن عيينه الحديث. ولما قدم الشافعي بغداد عام ١٩٥هـ التقى به الإمام احمد بن حنبل ، رحمه الله - كذلك ، وكان الشافعي يعول عليه في معرفة صحة الحديث أحياناً ، وكان الإمام أحمد ، يجلّ الشافعي ويقول فيه (يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم لها أمر دينها) رواه ابو داود ١ / ٢٨٣ . فكان عمر بن عبدالعزيز على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الثانية . وقد رشح الشافعي الإمام احمد بن حنبل - رحمهما الله - عند الرشيد لقضاء اليمن، فأبى الإمام احمد ، وقال له : جئت اليك لأقتبس منك العلم ، تأمرني أن أدخل لهم في القضاء !؟ وكان ذلك في آخر حياة الرشيد ، ثم رشحه ثانية

وعبيدالله ، ثم لقي في رحلاته ابني عياش ، أبا بكر ، واسماعيل، ولقي السفيانين ، الثوري ، وابن عيينة ، ولقي معمر بن راشد ، وعبدالله بن جريح وخلق غيرهم ، فاجتمع له حديث أهل الشام وأهل الحجاز والعراق واليمن والآفاق » (ص ١١٨).

وذكر (الذهبي ، ١٤١٠هـ) فقال : « قال يحيى قال بشر بن السري: قال عبدالرزاق : قدمت مكة مرة ، فأتاني أصحاب الحديث يومين ، ثم انقطعوا عني يومين ، أو ثلاثة ، فقلت: يا رب ما شأني ؟ أكذاب أنا ؟ أي شيء أنا ؟ قال: فجاءوني بعد ذلك. وقال عبدالله بن احمد: سألت أبي: أكان عبدالرزاق يفرط في التشيع ؟ قال: أما أنا فلم اسمع منه في هذا شيئاً. ولكن كان رجلاً يعجبه أخبار الناس أو الأخبار. وقال يعقوب بن شيبة: عن ابن المديني: قال هشام بن يوسف كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا ، قال يعقوب : وكانّ ثقة ثبت.

وقال حنبل سمعت ابا عبدالله – الإمام احمد بن حنبل رحمه الله – قال: اختلف أصحاب معمر فالحديث لعبدالرزاق، قال علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا ، قال أحمد العجلي: عبدالرزاق ثقة وكان يتشيع » (الذهبي ١٤١٠هـ :ص ٥٦٣ وما بعدها.)

ذكر (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) «إن الامام «أحمد بن حنبل» خرج من العراق ومعه يحيى بن معين قاصدين الحج وبعد الحج يذهبان الى عبدالرزاق بن همام في اليمن. (سبق الحديث عن ذكك ص ٢٢).

توفي عبدالرزاق بن همام في شوال سنة ٢١١هـ» (ص ٥٦٣ وما بعدها.)

٩ - **سفيان الثوري** وفيه يقول (الذهبي، ١٤١٠هـ) « هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري ، هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه ، أبو عبدالله الثوري الكوفي ، (مصنّف الكتاب الجامع) ولد سنة ٩٧هـ وطلب العلم وهو حدّث باعتناء والده ، المحدث الصادق ، سعيد بن مسروق الثوري . قال عنه ابن عيينه : أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عياش في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه. وقال علي بن المديني: لا أعلم سفيان صحّف في شيء قط ، إلا في اسم امرأة أبي عبيدة ، كان يقول: حَفينة يعني: الصواب «جُفنية». وروى المروذي عن

أحمد بن حنبل قال: أتدرون من الإمام ؟ الإمام سفيان الثوري لا يتقدمه أحدٌ في قلبي.

وذكر (أبو نعيم الأصفهاني ، ١٣٥٤هـ). قال: « كان أفقه الناس ، وقيل كان أمير المؤمنين في الحديث ، وقيل إنه حجة ، وهو القائل: زينوا العلم بأنفسكم ، ولا تزينوا أنفسكم بالعلم ، وكان يقول : ... أول العلم الصمت ، والثاني الإستماع ، والثالث العمل به ، والرابع نشره وتعليمه.

كما كان يقول: ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني. وقال: تعلموا العلم فإذا علمتموه فاقضموا عليه ، ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب ، قيل عنه إنه عابد الأمة وعالمها ». (ص ٦٢ ، ٣٦٨).

قال يحيى القطان: مات سفيان في أول سنة ١٦١هـ (ص ٢٢٩ وما بعدها)

١٠ - **ابن علية:** هو إسماعيل بن ابراهيم بن مقسم، العلامة ، الحافظ الثبت ، أبو بشر الاسدي ، مولاهم البصري الكوفي الأصل ، المشهور بابن علية وهي أمه . ولد سنة ١٢٠هـ وكان إماماً فقيهاً ، من أئمة الحديث. وكان يقول: من قال: ابن علية فقد اغتابني » (الذهبي ، ١٤١٠هـ: ص ١٠٧ وما بعدها)

قال الإمام احمد بن حنبل – رحمه الله – فاتني حماد بن زيد ، فأخلف الله علي إسماعيل ابن عليه) (ابن الجوزي ١٤٠٤: ص ٣١)

ذكر (الذهبي ، ١٤١٠هـ) «قال يحيي بن معين: كان ابن علية ثقة تقياً ورعاً ، قال عبدالله بن احمد بن حنبل: عن أبيه: إلى اسماعيل بن عليه – المنتهي في الثبث بالبصرة ، وقال علي بن المديني: ما أقول إن أحداً أثبت في الحديث من إسماعيل. قال أبو داود السجتاني: ما أحد من المحدثين إلاّ وقد أخطأ إلا إسماعيل بن علية. وقال يونس بن بكير: سمعت شعبة يقول: إسماعيل بن علية سيد المحدّثين ، وقال إبراهيم ابن عبدالله الهروي: سمعت يزيد بن هارون يقول: دخلت البصرة ، وما بها خلق يَفضَّلَ على ابن علية في الحديث. وقال حماد بن سلمة: ما كنا نشبه شمائل اسماعيل ابن علية الا بشمائل يونس حتى دخل فيما دخل فيه – يريد ولايته

الصدقة – وكان مأموناً بالدين والورع ، منظوراً إليه في الفضل والعلم ، وبدت منه هفوات خفيفة ، لم تغيّر رتبته إن شاء الله.

قال الفضل بن زياد: سألت أحمد بن حنبل عن وهيب وابن علية: أيهما أحب اليك إذا اختلفا ؟ فقال: وهيب ، وما زال إسماعيل وضيعاً من الكلام الذي تكلم فيه إلى أن مات. قيل: أليس قد رجع وتاب على رؤوس الناس ؟ قال بلى : ولكن ما زال لأهل الحديث بعد كلامه مبغضاً ، وكان لا يَنصف في الحديث ، وكان ممن قال بخلق القرآن ، ثم تخلى عن هذا القول وتاب – وكان يحدّث بالشفاعات ، وكان معنا رجل من الأنصار يختلف إلى الشيوخ ، فأدخلني عليه ، فلما رآني غضب ، وقال من أدخل هذا عليّ ، قال الإمام احمد: بلغني أنه أدخل على الأمين، فلما رآه زحف ، وجعل يقول: يا ابن الفاعلة تتكلم في القرآن ؟ وجعل إسماعيل يقول: جعلني الله فداك ، زلّه من عالم ثم قال أحمد: إن يغفر الله له – يعني الأمين – فبها. قال احمد: وإسماعيل ثبت . قال الفضل بن زياد : قلت: يا أبا عبدالله ، إن عبدالوهاب قال: لا يحب قلبي اسماعيل أبداً ، لقد رأيته في المنام كأن وجهه أسود. فقال الإمام احمد بن حنبل: عافى الله عبدالوهاب. ثم قال: لزمت إسماعيل عشر سنين إلى أن أعيب ، ثم جعل يحرك رأسه ، كأنه يتلهّف – ثم قال: وكان لا ينصف في التحدث.

توفي يوم الثلاثاء ١٣ ذي القعدة عام ١٩٣هـ وعمره ٨٣ سنة » (ص ١٠٧ – ١٢٠).

١١- **معروف الكرخي:** (ذكر عنه الذهبي ، عام ١٤٠٩هـ) « هو معروف الكرخي ، علم الزهاد ، بركة العصر ، أبو محفوظ البغدادي ، واسم ابيه فيروز ، وقيل فيرزان ، من الصابئة ، وقيل: كان أبواه نصرانيين ، فأسلماه إلى مؤدب كان يقول له: قل: ثالث ثلاثة ، فيقول معروف: بل هو الواحد ، فيضربه ، فيهرب ، فكان والداه يقولان: ليته يرجع ، ثم إن أبواه أسلما.

ذكر معروف عند الإمام احمد بن حنبل رحمه الله – فقيل ، قصير العلم ، فقال: أمسك ، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف » (ص ٣٣٩) وذكر (الذهبي ، ١٤٠٩هـ) « قال اسماعيل بن شداد: قال لنا سفيان بن عيينة: ما فعل الحَبْرَ الذي فيكم. ببغداد ؟ قلنا من هو ؟ قال أبو محفوظ معروف قلنا : بخير ، ما بقي فيهم ، وقيل

اغتاب رجل عند معروف ، فقال: أذكر القطن إذا وضع على عينيك. وعنه قال: ما أكثر الصالحين ، وما أقل الصادقين. توفي سنة ٢٠٠هـ وقيل توفي سنة ٢٠٤هـ » (ص ٣٣٩ وما بعدها).

١٢ - **عبدالرحمن بن مهدي** (يقول عنه الذهبي ، ١٤٠٩هـ) « هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن ، الإمام الناقد ، المجوِّد ، سيد الحفاظ ، أبو سعيد العنبري ، قيل الأزدي ، مولاهم البصري، اللؤلؤي ، ولد سنة ١٣٥هـ قاله احمد بن حنبل » (ص ١٩٢)

قال (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) «أخذ الإمام احمد بن حنبل رحمه الله – من عبدالرحمن بن مهدي حينما قدم بغداد سنة ١٨٠هـ ولزمه وكتب عنه نحواً من ستمائة أو سبعمائة » (ص ٢٧)

قال (الذهبي، ١٤١٤هـ) « قال أحمد بن حنبل: عبدالرحمن أفقه من يحيى القطان ، قال أيوب ابن المتوكل: كنا إذ أردنا أن ننظر إلي الدين والدنيا ، ذهبنا إلي دار عبدالرحمن بن مهدي. قال إسماعيل القاضي: سمعت ابن المديني يقول: أعلم الناس بالحديث عبدالرحمن بن مهدي ، وقال محمد بن أبي بكر المقدمي: ما رأيت أحداً أتقن لما سمع ولما لم يسمع ولحديث الناس من عبدالرحمن بن مهدي ، إمامٌ ثبت ، وقال احمد بن حنبل: عبدالرحمن ثقة خيار صالح مسلم ، من معادن صدق.

توفي بالبصرة في جمادي الآخرة سنة ١٩٨هـ» (ص ١٩٢ وما بعدها).

١٣ - **أبو يوسف:** يقول (الذهبي ، ١٤١٠هـ) هو القاضي أبو يوسف: هو الإمام المجتهد ، العلامة المحدِّث ، قاضي القضاة ، أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ، الأنصاري ، الكوفي ، ولد سنة ١١٣هـ كان أبوه فقيراً ، له حانوت ، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدراهم ، مئة بعد مئة ، يقول: كنت أطلب العلم وأنا مُقِلّ ، فجاء أبي فقال: يا بني لا تمدنَ رجلك مع «أبي حنيفة» ، فأنت محتاج ، فآثرت طاعة أبي ، فأعطاني أبو حنيفة مائة درهم وقال: الزم الحلقة ، فإذا نفذت هذه فأعلمني ، ثم بعد أيام أعطاني مائة ، وقيل: مرض أبو يوسف فعاده أبو حنيفة ، فلما خرج ، قال: إن

يمت هذا الفتى ، فهو أعلم من عليها ».

قال أحمد أول ما كتبت الحديث اختلفت إلى أبي يوسف وكان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة » (ص ٥٣٥).

قال (الجندي ، ١٣٩٠هـ) « لقد رأى – الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – النور سنة ١٦٤هـ . وأبو يوسف باقعة العصر إبان خلافة المهدي والرشيد حتى مات عام ١٨٣هـ ، تجتمع فيه أسباب الشرف العلمي ، والجاه الحكومي ، على نحو لم تجتمع لأحد قبله أو بعده ، فهو الإمام الثاني في مدرسة الرأي ، لكنه يضيف إلى عظمة الفقه أموراً رفعت قدره في التاريخ الإسلامي ، منها أنه مكّن للفقهاء أن يعملوا في خدمة الدولة ، فينشروا أجنحة العدالة المشروعة في آفاق النشاط الحكومي كله ، وأنه جمع بين الحديث والفقه ، فصار أتبع أصحاب أبي حنيفة للحديث ، ومن أبي يوسف جرى تيار التقريب بين المحدثين وأصحاب الرأي. يقول فيه يحيى بن معين –صاحب الإمام احمد بن حنبل – « أبو يوسف صاحب حديث وصاحب فقه ، ويقول: ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً ولا أثبت من أبي يوسف. وكثير من أصحاب الحديث يثنون عليه ، وقلّما يوجهون ثناء إلى أحد من أصحاب الرأي ، أما الذين تحاموا حديثه – كما يقول الطبري – لغلبة الرأي عليه وصحبته للسلطان وتقلده للقضاء ، سمواً منهم بالحديث عن أن تخالطه رغبة الدنيا.

يقول الإمام احمد بن حنبل: أول من كتبت الحديث عنه أبو يوسف ، وضاقت بغداد بأحمد بعد أن رحل أبو يوسف وهشيم عن الدنيا في عام واحد » (ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢).

ويذكر (الذهبي أيضاً ، ١٤١٠هـ) « بلغ – أبو يوسف – من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه ، وكان الرشيد يبالغ في إجلاله ، قيل إنه توفي أبو يوسف يوم الخميس الخامس من ربيع الأول سنة ١٨٢هـ» (ص ٥٣٨).

١٤ - **أبو بكر العياش** : ذكر (الذهبي ، ١٤١٠هـ) «هو أبو بكر العياش بن سالم الأسدي ، مولاهم الكوفي الخياط ، المقريء ، الفقيه ، المحدث ، شيخ الإسلام ، وبقية

الاعلام ، مولى واصل الاحدب ، قيل ولد سنة ٩٥هـ ، قرأ القرآن وجوّده ثلاث مرات على عاصم بن أبي النجود.

ذكره أحمد بن حنبل فقال: ثقة. وقال ابن المبارك: ما رأيت أحد أسرع إلى السنة من أبي بكر ابن عياش ، قال يوسف بن يعقوب الصفار وغيره ، ويحيى بن آدم ، وأحمد بن حنبل: مات أبو بكر العياش في جمادي الأولى سنة ١٩٣هـ».(ص ٥٣٨ وما بعدها).

١٥ - **وكيع بن الجراح** : ذكر (الذهبي ، ١٤١٠هـ) فقال: « وكيع بن الجراح بن مليح ، بن عدي ، بن فرس ، بن جمجمة ، بن سفيان ، الإمام الحافظ ، محدّث العراق ، أبو سفيان الرؤاسي ، الكوفي ، أحد الاعلام ، ولد سنة ١٢٩هـ ، قاله احمد بن حنبل. وقال خليفة بن هارون ولد سنة ١٢٨هـ.

اشتغل -وكيع- في الصغر ، كان من بحور العلم ، وأئمة الحفظ. قال الجندي «١٣٩٠هـ» «أما رابع الأربعة الكبار من حفاظ العراق ، فهو وكيع بن الجراح ، وفيه جماع مزاياهم ، وهو معلم للورع ، والحديث معاً وتلميذ في مدرسة أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ، يحكي يحيى بن أكثم: أنه صحبه في الغزو والسفر ، فرآه يصوم الدهر ، يختم القرآن كل ليلة ،ولا ينام حتى يقرأ ثلثاً ، وقال الإمام أحمد - يرحمه الله - في: ما رأيت مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد مع خشوع وورع » (ص ٥٣)

كان والده ناظراً على بيت المال بالكوفة ، وله هيبة وجلالة ،

يقول (الذهبي، ١٤١٠هـ) يقول الإمام أحمد فيه: « ما رأيت أحداً أوعى ولا أحفظ من وكيع » «وقال يحيى بن يمان: لما مات سفيان الثوري ، جلس وكيع موضعه.

وقال الفضل بن محمد الشطرني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: صحبت وكيعاً في الحضر والسفر ، وكان يصوم الدهر ، ويختم القرآن كل ليلة.

وقال محمد بن سعد: كان وكيع ثقة ، مأموناً ، عالياً ، رفيقاً ، كثير الحديث حجة ، وقال سفيان بن وكيع: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى إرتفاع النهار ، ثم ينصرف فيقيل ، ثم يصلي الظهر ، ويقصد الطريق إلى الشرعة التي يصعد

منها أصحاب الروايا ، فيريحون نواضحهم ، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر ، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر ، ثم يجلس يدرّس القرآن ، ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله ، فيقدم إليه إفطاره ،... ثم يقوم فيصلي ورده من الليل.

محنة وكيع: تورط فيها ولم يرد إلاّ خيراً ، ولكن فاتته سكتة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يحدّث بكل ما يسمع ، فليتق عبدربه ، ولا يخافن إلاّ ذنبه». قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبدالله البهي ، أن أبا بكر الصديق. رضي الله عنه – جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، فأكبّ عليه يقبله ، وقال: «بأبي وأمي» ، ما أطيب حياتك وميتتك». ثم قال البهي: وكان تُرِكَ يوماً وليلة حتى ربا بطنه ، وانثنت خنصراه ، قال إبن خشرم: فلما حدّث وكيع بهذا في مكة ، إجتمعت قريش ، وأرادوا صلب وكيع ، ونصبوا خشبة لصلبه ، فجاء سفيان بن عيينة ، فقال لهم: الله الله ! هذا فقيه أهل العراق ، وابن فقيهه ، وهذا حديث معروف ، قال سفيان: ولم أكن سمعته ، إلاّ أني أردت تخليص وكيع ، قال على بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع ، بعد ما أرادوا صلبه ، فتعجبت من جسارته ، وأخبرت أن وكيعاً إحتجّ ، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم عمر ، قالوا: لم يمت رسول الله ، فأراد الله أن يريهم آية الموت. فهذه زلة عالم فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد ، كادت نفسه أن تذهب غلطاً.

مات وكيع سنة ١٩٧هـ يوم عاشوراء – بفيد – «وهو محطة للقوافل نصف الطريق بين مكة والكوفة» (الحموي ، ٢٨٢/٤) وهو راجعاً من الحج. (ص ١٦٦).

وكان للإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – غير هؤلاء كثير من المشايخ الذين تلقى عنهم العلم – أورد (ابن الجوزي ١٤٠٢هـ) «قال الإمام أحمد بن حنبل: كتبت عن إبراهيم بن سعد ، وصليت خلفه غير مرة.» ص ٢٦ . وقال : دخلت عبدان سنة ١٨٦هـ ، في العشر الأواخر ، وكنت رحلت إلى المعتمر تلك السنة ، وكان بها رجل يتكلم ، يقال له «هداب» وكان بها الربيع ، وكتبت عنه» (ص ٢٦).

ذكر (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ) أن الإمام أحمد ارتحل إلى «حمص» وكان بها مواريث علم من الصحابة كثيرين فلقي بها «أبا المغيرة عبدالقدوس الخولاني» ، محدّث الشام وأحد الرواة عن طبقة «الأوزاعي» وأحد العلماء المتخشعين ، فروي عنه ، ثم حضر وفاته بحمص سنة ٢١٢هـ وصلى عليه » (ص ١٨٠) .

وقال : لقي أحمد بالشام إسماعيل بن عياش ، وكان إسماعيل كثير الحديث يحتل في الشام مكان وكيع ابن الجراح في العراق ، وهناك أصلح أحمد ما كان قد تسرب إليه من أحاديثه ، وفي أصولها خطأ ، وكان الرواة يروونها عن ابن المبارك عن اسماعيل الحمصي ، فأصلحها بسماعها من اسماعيل وهو شيخها الذي نسبت إليه » (ص ١٠٩) .

وذكر (الجندي ، ١٣٩٠هـ) «ومن أشياخه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله – أبو نعيم الفضل ابن دكين سنة ١٣٠ – ٢٢١هـ وكان غاية في الإتقان والحفظ ، ولما سئل في محنة خلق القرآن قال : أدركت ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنما قال هذا قوم من أهل البدع .... وفيه يقول الإمام احمد بن حنبل : شيخان يتكلمون فيهما ويذكرونهما ، وكنا نلقى في أمرهما ما الله أعلم به ، قاما لله في خلق القرآن ، بأمر لم يقم به أحد وكثيراً جداً مثلما قام به عفان (مسلم بن نصار) وأبو نعيم «الفضل بن دكين» (ص ٥٤)

يذكر من شيوخ الإمام أحمد : أبو عمرو الشيباني : إسحق بن عمران «٢٠٦هـ» قالوا كان عنده من العلم أضعاف ما كان عند أبي عبيدة ، عالم اللغة – تأدب عليه أحياء كثيرة في بني شيبان فنسب إليهم بالولاء والمجاورة والتعليم ، والبعض يقول نسب إلى يزيد الشيباني ، لأن أبا عمرو كان يؤدب ولد الرشيد ، الذين كانوا في حجر يزيد ، وكان راوية أدب ، واسع العلم بالحديث كتب عنه أحمد كثيراً من أمالي أبي عمرو ولزم مجلسه »

ويقول : ومن أشياخه : أبو معاوية الضرير ، محمد بن حازم « ١٣٣ – ١٩٥هـ» كان وليا العهد ، وخليفتا الغد – الأمين والمأمون – يأخذان بيده ، بأمر من الخليفة القائم هارون الرشيد .. وكانت الأحاديث لكبار العالية عند أبي معاوية ، قالوا فيه : هو

أحسن المحدثين حديثاً ، ولما سئل أحمد عنه وعن جرير قال: أبو معاوية أحب إلينا.

وكان من المشايخ الذين تلقى الإمام احمد العلم عنهم بعض النساء حيث كان يحدث عنهن كما ذكر «ابن الجوزي عام ، ١٤٠٥هـ» وممن حدّث عنهن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله » من النساء أم عمر بنت حسان (ابن زيد الثقفي) (الجندي ، ١٣٩٠ ، ص ٥٤).

تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل

كان الإمام أحمد شديد الحرص والمحبة للعلم والكتابة وقد أفنى عمره في طلب العلم فلم يمل الترحال والتنقل من مدينة إلى مدينة ، ومن بلد إلى بلد ، ولما سئل عن ذلك قال مع المحبرة إلي المقبرة ، وكان يقول: أنا أطلب العلم حتى أدخل القبر. كل هذا يعطينا مؤشراً واضحاً على المدى الذي وصل إليه حب الإمام أحمد وشغفه بالعلم ، وكما سبق فقد تلقى أحمد العلم على كثير من المشايخ في بلدان مختلفة في العراق ، والحجاز ، اليمن والشام. ولم يجلس للحديث إلا بعد أن بلغ الأربعين من عمره وقد كان يحضر دروسه في مسجد بغداد آلاف الطلاب وكان كثير منهم يكتب وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يكره أن يكتب أحد عنه خوفاً من أن يخطيء في مسألة ثم يراجعها وقد كتبت عنه خطأ فيَعمل بها وهي خطأ. ومع ذلك كان كثير من طلابه يكتبون عنه وقد تلقى عنه العلم عدد كثير من الطلاب «بلغ عدد طلاب الإمام احمد بن حنبل زهاء خمسة آلاف ، كان منهم قرابة خمسمائة يكتبون » (ابن الجوزي ١٤٠٢هـ : ص ٢١٠)

ومنهم :

١) **أبو بكر المروزي:** ذكر (الجندي ، ١٣٩٠هـ) «أبو بكر المروزي: وهو احمد بن محمد بن الحجاج ويجيء في المقدمة من تلاميذه ، فهو تلميذ الإمام احمد بن حنبل وخادمه ، لأطول مدة ، يبعثه في حوائجه ، ويأكل من تحت يده ، صحبه في العسكر لما دعاه إليه الخليفة المتوكل ، وهو الذي تولى إغماض عينيه بعد الوفاة ، وغسله ، روى عن الإمام أحمد بن حنبل مسائل كثيرة ، فأثره في نقل فقه كبير ، وزاده أثراً في النقل ، أن الراوية الأكبر للمذهب ، أبا بكر الخلال كان من تلاميذه ، خرج من بغداد بعد وفاة الإمام احمد ، وتوفي عام ٢٧٥هـ» (ص ٣٠٤)

٢) **أبو بكر الأثرم:** ذكر (الجندي ، ١٣٩٠هـ) فقال: « أبو بكر الأثرم ، أحمد بن محمد بن هاني ، وقد يذكر أنه أبو بكر الوراق ، يقول: فيه يحيى بن معين: «كان أحد أبويه جني » درس على أحمد وروى عن عبدالله بن مسلمة القعنبي ، وروى عن عفان بن مسلم، وأبي نعيم الفضل بن دكين شيخي أحمد ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، جاءه

رجل يطلب أن يكتب له من كتاب الصلاة ما ليس في كتب ابن أبي شيبة ، فكتب ستمائة ورقة من كتاب الصلاة ليس فيها شيء من كتاب ابن أبي شيبة ! تتلمذ لأحمد وتشاغل بمسائل وصنف فيها ، فأمسى يقول: كنت أحفظ الفقه والخلاف ، فلما صحبت أحمد ابن حنبل تركت ذلك كله ، ويقول: « ليس أخالف أبا عبدالله إلا في مسألة واحد » (ص ٣٠٤)

٣) **عبدالوهاب الوراق**: (ذكر الجندي ١٣٩٠هـ) فقال : هو «عبدالوهاب بن عبدالحكيم أبو الحسن ، سأل ابو الفتح شرف الإمام ، من نسأل بعدك ؟ فأجاب سلوا عبدالوهاب ، فإنه رجل صالح ، مثله يوفق لإصابة الحق ، لم يمزح أبداً ، وكان من ورعه لا يضحك إلا مبتسماً ، رأي ابنه يضحك فنهره قائلاً: صاحب قرآن ويضحك توفي سنة «٢٥١هـ)» (ص ٣٠٤)

٤) **أحمد بن نصر الخزاعي** : ذكر (الجندي ، ١٣٩٠هـ) هو «أحمد بن نصر الخزاعي كان يكبر الإمام أحمد بعشر سنين ، درس على مالك ثم جالس أحمد وأحسن الإستفادة منه. وقد قتله الخليفة الواثق ، إذ حشر إليه متهما بالتآمر عليه مع جماعة من الناقمين ، فسأله عن خلق القرآن فرفض قول الخليفة - كما كانت ترفضه مدرسة احمد - فقتله الواثق بيده ، وأعلن أنه قتله لهذه لا لتلك » (ص ٣٠٥)

٥) **اسحق بن منصور التميمي** : هو «اسحق بن منصور التميمي ، أبو يعقوب الكوسج (الكوسج من لم ينبت له لحية) طوّف بالبلاد يجمع العلم من الشام والحجاز والعراق ، وانتهى إلى بغداد ، فتلقى على أحمد ثم انتقل إلى نيسابور ، بعد أن كتب مسائل احمد ، ولما بلغه أن الإمام رجع عما دونه ، جمع ما دونه وعاد إلى بغداد فعرضها عليه فأقرها. ورجع إلى نيسابور حيث مات ودفن إلى جوار إسحق بن راهويه - زميل الإمام احمد - ومن الرواة عن الكوسج ثلاثة من أصحاب الكتب الستة ، البخاري ، ومسلم ، والترمذي. وكثيرٌ آخرون توفي سنة «٢٥١هـ» (ص ٣٠٥).

٦) **عبدالملك بن عبدالحميد الميموني** » (يذكر الجندي ١٣٩٠هـ) فقال: « عبدالملك ابن عبدالحميد بن ميمون بن مهران الميموني، ومهران عامل عمر بن عبدالعزيز ، وفقيه عصره. صحب الإمام أحمد ، اثنتين وعشرين سنة ، ولروايته في فقه احمد مقام

كبير. وكان يكتب المسائل على رغم نهي أحمد. وقد جمع منها ستة عشر جزءاً ، منها جزءان كل واحد منهما مائة صفحة » - (الجندي ، ١٣٩٠هـ : ص ٣٠٥)

٧) **حرب الكرماني**: يقول (الجندي ، ١٣٩٠هـ) هو «حرب الكرماني ، كان يكتب المسائل بعيداً عن أحمد فثار الخلاف فيما يرويه - لكن المروزي نقل بعض المسائل عنه ، ونقل المروزي حجة توفي سنة «٢٨٠هـ» (ص ٣٠٥)

٨) **مهنا بن يحيى الشامي**. (ذكر الجندي ، ١٣٩٠هـ) هو «مهنا بن يحيى الشامي ، كان أحمد يعرف له منزلته ويكرمه ، وكان يسأل أحمد حتى يضجره ، وفيه يقول الدار قطني: «مهنا ثقة كتب عنه عبدالله بن احمد بضعة عشر جزءاً عن أبيه ، لم تكن عند أحد غيره ، قال مهنا لزمت أبا عبدالله ثلاثاً وأربعين سنة ، وأتفقنا عند عبدالرزاق ، ورأيته عند سفيان بن عيينة سنة «١٩٨هـ» وكان معنا أيضاً عبدالرزاق وإسحق بن راهويه وجماعة ، توفي سنة «٢٤٩هـ» (ص ٣٠٥)

٩) **إبراهيم بن هاني النيسابوري** (يقول الجندي ، ١٣٩٠هـ) هو « ابراهيم بن هاني النيسابوري وهو الذي اختفى عنده الإمام احمد أيام الواثق ثلاثة أيام ، وكان من العلماء العباد يقول فيه أحمد «إن كان أحد من الأبدال فإبراهيم بن هاني» (ص ٣٠٥).

١٠) **إبراهيم بن اسحق الحربي** «يذكر (الجندي ، ١٣٩٠هـ) هو «إبراهيم بن إسحق الحربي من سنة «١٩٨ - ٢٨٥هـ) ويمثّل الشباب في حلقة أحمد مع البخاري ومسلم وأبي داود وبقي بن مخلد. جمع مسنداً وكان إماماً في جميع العلوم ومنها اللغة والأدب ، نقل عن أحمد مسائل حسنة. قال عنه الدار قطني: «كان جيله يقيسه بأحمد في زهده وعلمه وورعه توفي سنة ٢٨٥هـ» (ص ٣٠٦).

١١) **بقي بن مخلد**: (ويقول الجندي ، ١٣٩٠هـ) « بقي بن مخلد (من سنة ٢٠١ - ٢٧٦هـ» يمثل الحديث والفقه والزهد والتفسير مجتمعة ، ويمثل محاولة نقل فقه أحمد ومزاحمة المذهب المالكي ، له في أوربا رحلتين لطلب العلم ، الأولى عشرين عاماً ، والثانية أربعة عشر عاماً ، وفي العراق سمع من أحمد وأبا بكر بن أبي شيبة وأبا ثور

وآخرين ، ورجع إلى الاندلس فملاها علماً وألفَ مسنداً. وروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه وأبواب الاحكام ، وبين الإستنباط – فهو مسند للمحدثين كمسند أحمد ، وكتاب فقه كموطأ مالك ، وموسوعة شرح كالتآليف العصرية. وهذا لم يسبقه إليه أحد ، وألف كتاباً في فتوى الصحابة والتابعين – وفسَّر القرآن تفسيراً فأخر به ابن حزم ، وكان زاهداً عابداً ... حمل «بقي» مذهب الإمام احمد إلى الاندلس ودرسه في جامع قرطبة فثار عليه علماء المالكية فأغروا به العامة ، فمنعوه من التدريس ، ورفع الإمر إلى الأمير محمد بن عبدالرحمن – حاكم الاندلس – فاستحضر «بقياً» ومنازعيه وتصفح كتاباً كان يحمله ، وهو مصنَّف أبي بكر بن أبي شيبة ثم قال لخازن كتبه «هذا لا تستغني عنه خزائننا فانظر في نسخه لنا» ثم قال لبقي: أنشر علمك وأرو ما عندك ، ونهى خصومه عن التعرض له» (ص ٣٠٧)

تلاميذه من أهل بيته (ذكر الجندي ، ٣٩٠هـ)

ومن تلقى العلم على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من أهل بيته إبنه صالح ، وابنه عبدالله ، ابن عمه حنبل بن اسحق ، وعمه إسحق.

تلاميذه من النساء

تلقى العلم عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من النساء.

العباسة بنت الفضل ، وريحانة بنت أحمد.

كما أخذ العلم عن الإمام احمد بن حنبل من غير أهل بيته ، أم عمر بنت حسان بن زيد الثقفي وخديجة ، أم محمد: تروي عن أحمد ، وعن يزيد بن هارون ، ويروي عنها عبدالله بن احمد أنها حدثته ستاً وعشرين ومائتين عن احمد ، أي في حياة أبيه» ومخة أخت بشر الحافي حدثت عن الإمام احمد بن حنبل وميمونة بنت الاقرع وزوجات تلاميذه.

آراء العلماء فيه.

ذكر كثير من مشايخ الإمام احمد بن حنبل صفات الإمام احمد واخلاقه وسعة علمه منهم :

١) **محمد بن إدريس الشافعي** : (ذكر بان الجوزي ، ١٤٠٢هـ) قال : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أورع ولا أتقى ولا أفقه - وأظنه قال - ولا أعلم من أحمد بن حنبل وقال : أعجب من ثلاثة .... وذكر منهم «صغير كلما قال شيئاً صدقه الكبار ، وهو أحمد بن حنبل» (١٠٦)

وقال (سيد الأهل ١٣٩٢هـ) «كان الشافعي على سعة علمه يقول للإمام أحمد : يا أبا عبدالله ، أنت أعلم بالحديث مني ، فإذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب إليه ، شاميا كان أو كوفياً أو بصرياً » (ص ١٤٢)

٢) **وقال وكيع ابن الجراح** (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) ما قدم الكوفة مثل هذا الفتى - يعني أحمد بن حنبل - وعندما سئل عن «خارجة بن مصعب» « هل يحدث عنه فقال : لست أحدث عنه ، نهاني أحمد بن حنبل ، أن أحدث عنه » ، (ص ٧١) .

٣) **وقال سعيد القطان:** ما قدم عليّ من بغداد أحب من أحمد بن حنبل، (ص ٧٤).

٤) **يحيى بن معين** : (ذكر ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) قال ما رأيت أحداً يحدث لله إلاّ ثلاثة : يعلى بن عبيد ، القعنبي ، وأحمد بن حنبل . وقال : أراد الناس أن أكون مثل احمد بن حنبل لا والله ! لا أكون مثل أحمد بن حنبل أبداً - يقصد أيام المحنة بخلق القرآن - » (ص ١١٤) . وسئل يحيى بن معين عن مسألة فقال : ليس هذا بابتنا هذا بابة احمد بن حنبل ،

٥) **وقال عبدالرزاق بن همام** : (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) إن يعش هذا الرجل يكن خلفاً من العلماء » يعني أبا عبدالله - الإمام أحمد بن حنبل » وقال عبدالرزاق : رحل الينا من العراق أربعة : من رؤساء الحديث ، »الشاذكوني » وكان أحفظهم للحديث ، «وابن المزيني » وكان أعرفهم باختلافه ، ويحيى بن معين وكان أعلمهم بالرجال ، وأحمد بن حنبل وكان أجمعهم لذلك كله » (ص ٦٨ - ٧٠).

٦) **وقال بشر الحافي**: (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) وسئل عن أحمد بن حنبل فقال: أنا أسأل عن أحمد ، إن إبن حنبل دخل الكير فخرج ذهباً - يقصد أيام محنة القول بخلق القرآن - وقال لما ضَرِبَ أحمد بن حنبل يوم المحنة: إن هذا الرجل - يعني الإمام أحمد بن حنبل - قام اليوم بأمر تعجزعنه الخلق ، وأرجو أن يكون ممن نفعه الله بالعلم ، وقال عنه: إمام من أئمة المسلمين وقيل لبشر حين ضرب أبا عبدالله ، يا أبا نصر: لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد ابن حنبل. فقال بشر: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ؟ إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء » (١١٦ - ١١٧,، ١١٨)

٧) **وقال أبو زرعة**: : «قال ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم ، وما قام أحد بمثل ما قام أحمد به ،. وقال ما رأت عيني مثل أحمد بن حنبل : فقيل في العلم ؟ فقال: في العلم والزهد ، والفقه والمعرفة وكل خير ، ما رأت عيناي مثله » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٢٢)

٨) **إبراهيم الحربي** (ذكر الجوزي ، ١٤٠٢هـ) أنه قال يقول الناس أحمد بن حنبل بالتوهم ، والله ما أجد لأحد من التابعين عليه مزية ، ولا أعرف أحداً يقدره قدره ، ولا يعرف لأحد من الإسلام محله ، ولقد صحبته عشرين سنة صيفاً وشتاءاً ، وحراً وبرداً ، وليلاً ونهاراً ، فما لقيته لقاة في يوم إلاّ وهو زائد عليه بالأمس ، ولقد كان يقدم أئمة العلماء من كل بلد وإمام كل مصر ، منهم بجلالتهم ما دام الرجل منهم خارجاً من المسجد ، فإذا دخل المسجد صار غلاماً متعلماً ، وقال: قد رأيت رجالات الدين لم أر مثل ثلاثة: أحمد بن حنبل ، وتعجز النساء أن تلد مثله ....، وقال: ما رأيت أحداً أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل » (ص ١٤٠ - ١٤٣).

٩) **مهني بن يحيى الشامي** : قال: « فما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، في علمه وفقه وزهده ، وورعه » (يقول ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٣).

١٠) **أبو عبيدالله القاسم بن سلام** (ذكر ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) « قال انتهى العلم إلى أربعة : إلى أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه ، وإلى ابن أبي شيبة وهو أحفظهم له ، وإلى علي بن المديني: وهو أعلمهم به ، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له. وقال:

أتيت أحمد بن حنبل في مسألة: فقال: أئت أبا عبيدالله فإن له بياناً لا تسمعه من

غيره ، فأتيت أبا عبيد فسألته فشفاني جوابه ، وأخبرته بقول أحمد . فقال : يا ابن أخي ، ذاك رجل من عمال الله ، نشر الله رداء علمه في الدنيا ، وذخر له عنده الزلفي ، أما تراه محبباً ألوفاً ، ما رأت عيناي بأرض العراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه ، فبارك الله فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم. » (ص ١١٤)

(وذكر ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) : « عن ابي عاصم وذكر الفقه فقال : ليس ثمة - ببغداد إلاّ ذلك الرجل - يعني الإمام احمد بن حنبل - ما جاءنا من ثم أحد مثله يحسن الفقه ، .... قال الخلال : وكان أحمد قد انتقد العلوم ، فتكلم عن معرفة.

وقال ابو الوفاء ، علي بن عقيل : ومن عجيب ما تسمعه من هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون : أحمد ليس بفقيه لكنه محدّث ، وهذا غاية الجهل ، لأنه قد خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث ، بناء لا يعرفه أكثرهم ، وخرج عنه من دقيق الفقه ما ليس نراه لأحد منهم ، وانفرد بما سلموه له من الحفظ ، وشاركهم وربما زاد على كبارهم ، ومن دقيق ما خرج عنه ، أنه اختلفت الرواية عنه في قسمة الدّين إذا كان في ذمة اثنين ، ولم تختلف في نفي صحة القسمة إذا كان في ذمة واحد ، وليس لمن له الدين من الشريكين إلاّ حق المطالبة له بحقه مع الإشتراك ، ولا يكون له ذلك فكيف يتأتى الإنقسام ؟ وليس كذلك إذا كان في ذمة واحد ، وكان المعنى فيه أنه إذا كان في مذة لا تتأتى قسمته لأن الملتزم له واحدوليس لمن له الدين من الشريكين إلا حق المطالبة بحقه مع الإشتراك وليس كذك إذا كان على إثنين لأنه يمكن أن ينفرد أحد الشريكين المستحقين للدين في ذمة أحد الاثنين المستحق عليهما الدين فتصح القسمة ، لامتياز أحد المحلين عن الآخر » (ص ٦٣ ، ٦٤).

١١) **وقال أحمد بن سعيد الرازي** : (ذكر ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) « ما رأيت أسود رأس ، أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبدالله - أحمد بن حنبل » ص ٦٣

١٢) **علي بن المديني** : (ذكر ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) أنه قال : « اتخذت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني وبين الله ، ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبدالله. وقال : إنّ الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث - أبو بكر الصديق رضي الله عنه- - يوم الردة - وأحمد بن حنبل يوم المحنة (ص ١١٠).

محنة الإمام أحمد بن حنبل

قال (الجندي ، ١٣٩٠هـ) « أول ما نبتت فكرة خلق القرآن من الجعد بن درهم ، وكان معلماً لمروان بن محمد - آخر خلقاء بني أمية - وقد إنتهت حياته بسبب مقالته هذه على يد أمير العراق خالد بن عبدالله القسري ، حيث نزل بعد انتهائه من الخطبة يوم عيد الأضحى فذبحه. ثم جاء تلميذه الجهم بن صفوان ، فروّج هذه الفكرة وعمل على نشرها ، ولكنه لاقى نفس مصير «الجعد» حيث قتل على يد سالم بن أحرز » (ص ٣٥٦).

ومن الذين قالوا بخلق القرآن بعد ذلك ، «بشر بن غياث» الملقب (المريسي» وهكذا كَثُرَ الذين قالوا بهذه البدعة ، إلى أن أصبح القول بخلق القرآن أصلاً من أصول الطائفة الضالة، وهي «المعتزلة» لأن من أصول المعتزلة ، التوحيد ، ومن لوازم التوحيد عندهم نفي الصفات ومن نفي الصفات هذا ، نفوا أن الله تعالى متكلم ، مما دعاهم إلى القول بخلق القرآن الكريم ، ونفي أن يكون كلام الله ، قال ابن كثير ١٣٥٨هـ « وبذلك توارث المعتزلة هذه المقولة ، وروّجوا لها ، ولكنهم لم يستطيعوا إظهارها في عهد الخلفاء الذين سبقوا المأمون ، لأنهم جميعاً كانوا على مذهب السلف الصالح »، (ص: ١٠٩) . «وحتى جاء عصر المأمون فأحاط به المعتزلة ، من كل جانب ، حتى استحوذوا عليه ، وكان على رأسهم أحمد بن دؤاد ، فأزاغوه عن طريق الحق ، وما زالوا يزينون له تلك الفكرة - فكرة القول بخلق القرآن - حتى أعلن ذلك على الملأ وكان ذلك سنة ٢١٢هـ ، ولكنه لم يلزم أحداً من الناس بذلك حتى جاءت سنة ٢١٨هـ ، فأعلن حمل علماء الأمة على القول بذلك »(ابن التركي ، ١٣٩٧هـ:ص ٤٨) وبذلك بدأت محنة الإمام أحمد بن حنبل في القول بخلق القرآن أول ما بدأت على يد المأمون بن الرشيد)

(ذكر الدومي ، ١٣٩٢هـ) «جاء في كتاب المقفى للمقريزي أن الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو في مصر ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأخبره «أن المحنة ستكون ، وأن الإمام أحمد ابن حنبل سيمتحن» ، قال الربيع بن سليمان - أحد تلاميذ الشافعي بمصر - فكتب الشافعي كتاباً وختمه ، ثم قال لي: يا أبا سليمان إنحدر بكتابي هذا الى العراق ، واذهب به إلى الإمام أحمد بن حنبل ، وأعطه له ولا تقرأه ،

فحملت الكتاب إلى العراق ، ووجدت الإمام أحمد يصلي سنة الفجر ، فلما انتهى من الصلاة قدمت اليه الكتاب فعرفني وقرأه ، فلما جاء عند موضع فيه بكى ، قلت له: ما يبكيك يا أبا عبدالله ؟ قال: قال لي: الشافعي يذكر لي أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشّره أني سأمتحن !! وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق ذلك قريباً ، قال الربيع: فقلت للإمام : هذه بشرى فأين جائزتي ؟ فخلع الإمام أحمد ثوبه الذي يلي جلده وأعطاه لي: فلما رجعت إلى مصر ، رويت ما حدث للإمام الشافعي فوجدت الشافعي يتمنى لو ظفر بثوب الإمام أحمد » (ص ٩٢) وقد كانت هذه الرؤيا قبل أن تقع المحنة بسنوات..

استمر (الدومي ، ١٣٩٢هـ) في سرد قصة محنة الإمام أحمد بن حنبل فأورد «كان الخليفة المأمون أول من تبنى فكرة المعتزلة في القول بخلق القرآن ، وقد عزم أن يحمل الناس على رأيه الذي أرتآه ، بقوة السلطان ! ولكنه رأى من الأقوم أن يمهد للحملة بكتب دورية يشرح فيها «نظريته» على الطبيعة ، وفلسفته بإسهاب ووضوح ، فأرسل عدة كتب إلى عامله ببغداد وولاة الأمصار.

كان الكتاب الأول: لشرح الفكرة وبسط الرأي ، والكتاب الثاني لإشخاص المحدثين السبعة – في بغداد – إليه في طرسوس ، لمحاجتهم ومناقشتهم وهم: محمد بن سعد ، كاتب الواقدي ، وابو مسلم مستملي يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب ، وابو خثيمة ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي – وقد حملهم والي بغداد في عنف ، وأرسلهم في صورة لا تليق بكرامة العلماء ، ولا بهيبة المحدّثين ، كان المقصود من هذه الطريقة في إرسالهم ، أن تكون نوعاً من الرهب ، ومقدمة لما سيلقونه من بلاء.

يبدو أن هؤلاء العلماء قد تأثروا من مقابلة السلطان لهم تأثراً كبيراً ، ولم يتحملوا تهديده ووعيده ، فأجابوه ، بخلق القرآن ، ووافقوا على رأيه ولا ندري أكانت إجابتهم تقية أم غير تقية ، وكانت هذه الإجابة من الأسباب التي جعلت الإمام أحمد يجهر بمخالفته السلطان ويعمل على عصيان أمره ، بعدم القول بخلق القرآن ». كما كان رده – الإمام أحمد رحمه الله – بعد زفرة حارّة ، أسفاً على هؤلاء – لو كانوا

صبروا وقاموا لله لكان انقطع الأمر ، وحذرهم الرجل - أي المأمون- . وكان كثيراً ما يقول عنهم «هم أول من ثملوا هذه الثملة» .(ص ١٠٢)

ثم أرسل المأمون كتابه الثالث: والذي يؤكد فيه نصح الخليفة للرعية ، واجتهاده في الرأي ، وإصراره في حمل الناس عليه» (ص ٩٦ .) وبعد وصول هذا الكتاب إلى والي بغداد ، جمع كثيراً من العلماء ، ومنهم الإمام احمد بن حنبل ، وكان هؤلاء العلماء يتفاوتون في الإجابات ، حسب تفاوتهم في الإفهام والإيمان ، وكان أكثرهم يحرص على أن يجيب إجابات مجملة ، أو غامضة ، كما كان يحرص بعضهم على أن يشير بالعبارات الحرفية الواردة في القرآن الكريم. أما بطلنا الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقد أعلن رأيه أمام والي بغداد - إسحاق بن ابراهيم - إعلاناً صريحاً بنفس الجرأة التي عَرفت عنه في كل مكان» (الدومي ، ١٣٩٢: ص ١٠٦).

الكتاب الرابع: وفيه ينكر المأمون علي من أجابوا تقية ، وفند فيه الرد على كل واحد من المحدثين ، بما فيهم الإمام أحمد بن حنبل ، وقد عنَف المأمون كثيراً في لهجة هذا الكتاب ، وحاول أن يجرح كل عالم لم يوافق هواه .. ولكن الإمام أحمد لم يرهبه وعيد المأمون وتهديده ، فاستمر في إصراره ، والمجاهرة برأيه. ووافقه على ذلك بعض العلماء ، وأعلنوا عدم خوفهم وهم: سَجادة ، والقواريري ، ومحمد بن نوح. ولكنهم عندما عَرِضوا على التهديد مرة أخرى لم يثبت منهم إلاّ الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح. ولما استعصى على المأمون أن يؤثر على الإمام أحمد بن حنبل في ميدان الحجة والإقناع ، لجأ إلى أساليب الإرهاب المكشوف ، والضغط الصريح فأمر بإشخاصه هو ومحمد بن نوح إلى طرسوس ، لعل المأمون يلقي في قلوبهم الرعب ، أو يزلزل كيان عقائدهم ، ولكن الإمام أحمد ومحمد بن نوح ، توكلا على الله ، وشدا الرحال إلى المأمون غير هيابين ولا وجلين ، ونُقلا من بغداد محمولين على بعيرين مقيدين بالقيد الثقيل ، محاطين بشيء من العنف والإرهاب ، ولعل هذا الطور من حياة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - كان من الاطوار الشديدة عليه ، لانها مبدأ المحنة. وكان الإمام أحمد بن حنبل وهو في طريقه الى طرسوس ، هو وزميله محمد بن نوح ، ! كان يدعو ربه في سره وجهره أن لا يريه وجه المأمون ، فاستجاب الله دعاءه ، فبينما هما في

الطريق وعندما وصلا إلى مكان يسمى «أذنة» قابلهم رجل وقال لهم: البشرى ، قد مات الرجل – يعني المأمون – ثم رَد الإمام أحمد ومحمد بن نوح في قيودهما إلى الرقة ، وأخرجا من الرقة في سفينة مع قوم محبوسين وفي الطريق مرض محمد بن نوح مرضاً شديداً ، فتولى تمريضه الإمام أحمد بن حنبل ، حتى وصلا إلى مكان يسمى «عانات» لفظ ابن نوح آخر أنفاسه ، وعاد الإمام أحمد بن حنبل وحيداً بعد أن صلى على محمد بن نوح ودفنه ، ثم ساروا به إلى بغداد وهو مقيد ، فمكث «بالياسريه» أياماً ثم صُيّر إلى الحبس في دار أكتريت له ، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب «الموصلية».

كان المأمون قبل وفاته قد أوصى المعتصم بالإستمرار في المحنة والاهتمام بابن دؤاد –زعيم المعتزلة في ذلك الوقت – لذلك أصدر المعتصم أمره بسجن الإمام أحمد بن حنبل ، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : «السجن كره ، والقيد كره ، والضرب كره ، والوعيد كره».

لكن هذا الكَرْه كله كان محبباً لدى الإمام أحمد بن حنبل لانه كان لله وفي الله. قال الإمام أحمد – رحمه الله – : «دخل عليَ حاكم بغداد في سجني فقال لي: أتعبتنا يا أحمد وأتعبناك ، أجبنا إلى القول بخلق القرآن ، فلم يجبه. وكان سجن الإمام أحمد بن حنبل في دار أكتريت له بجوار دار عمارة ببغداد ، وكان مقيداً ، فحبس في ذلك الحبس قليلاً ، ثم حَوِلَ إلى سجن العامة فمكث في السجن نيفاً وثلاثين شهراً». وقد حدث للإمام أحمد بن حنبل وهو في السجن ، مناظرة هامة ، حضرها المعتصم وكبار المعتزلة وعلى رأسهم ابن أبي دؤاد يقول الإمام أحمد: لما أصبحت جاءني رسول فأخذ بيدي ، فأدخلني الدار ، وإذا هو – الخليفة المعتصم – وابن أبي دؤاد حاضر ، وقد جمع أصحابه والدار غاصة بأهلها ، فلما دنوت منه سلمت، فقال لي: أدنه ، أدنه ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ، ثم قال لي: أجلس فجلست وقد أثقلتني الأقياد ، فلما مكثت هنيهة قلت: تأذن لي في الكلام. فقال: تكلم ، فقلت: إلام دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال الخليفة: إلى شهادة أن لا إله إلا الله. فقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله ،. ثم قلت: إن جدك إبن عباس يحكي أن وفد عبدالقيس لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرهم بالإيمان بالله ، فقال: أتدرون ما الإيمان ؟ فقالوا الله

ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم.

قال الخليفة: لولا أنني وجدتك في يد من قبلي ما تعرضت لك ، ثم التفت إلى عبدالرحمن بن إسحق فقال له: يا عبدالرحمن ، ألم آمرك أن ترفع المحنة ؟ فقال الإمام في نفسه: الله أكبر ، إن في هذا لفرجاً للمسلمين. ولكن يبدو أن المعتصم لم يكن مقتنعاً كل الإقتناع بما أعلنه ، أو أنه كان مقتنعاً في داخل نفسه ولم يجهر به خوفاً من ثورة ابن أبي دؤاد وغيره من قضاة المعتزلة ، ثم التفت – المعتصم – إلى عبدالرحمن بن إسحق وقال: ناظره ، فسأل عبدالرحمن بن إسحق : ما تقول في القران ؟ قال الإمام أحمد: وما تقول أنت في علم الله ؟ فسكت. قال الإمام أحمد: فجعل يكلمني هذا وهذا من قضاة المعتزلة ، فأرد عليه ، ثم أقول يا أمير المؤمنين: إعطني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . وهنا زمجر ابن أبي دؤاد ، ولكن الإمام أحمد لم يعره إهتماماً ..... وأخذ يحاجهم ويعزهم – يغلبهم – . قال الإمام أحمد: فكان إذا انقطع الواحد منهم اعترض ابن أبي دؤاد فتكلم. فلما قرب الزوال ، قال الخليفة ، قوموا. وخلا الخليفة بعبد الرحمن بن إسحق وبالإمام أحمد وأخذ الخليفة يخوّف الإمام أحمد ويهدده ، فقال له: هل تعرف صالحاً الرشيدي ؟ لقد كان مؤدبي ، وكان في هذا الموضع جالساً ، وخالفني ، فأمرت به فسحب ووطيء ... ولكن الإمام احمد لم يهتم. وأعجب الخليفة بثبات الإمام وطلب شيئاً أي شيء مما يدل على إذعان الإمام ، فلا يغير الإمام هذا الجواب: اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما طال المجلس ، ضجر وقام، وهكذا إستمرت المناظرة ». (الدومي ، ١٣٩٢، ص ٩٦ – ١٢٥)

ذكر (الندوي ، ١٣٨٩هـ) ما ذكره الإمام احمد عن محنته وما جرى بينه وبين علماء البلاط من الكلام والمناظرة: ثم يقول: وجعل ابن أبي دؤاد يقول: يا أمير المؤمنين ! لئن أجابك لهو أحب إليّ من مائة الف دينار ومائة ألف دينار، فيعد من ذلك ما شاء الله أن يعد، فقال المعتصم والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي ولأركبن اليه بجندي ، ولأطأن عقبه.

ثم قال: يا أحمد ! والله اني عليك شفيق ، واني لاشفق عليك كشفقتي على هارون ابني ، ما تقول ؟ فأقول أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله.

فلما طال المجلس ضجر وقال: قوموا ! وحبسني - يعني عنده - وعبدالرحمن بن اسحق يكلمني ، فقال المعتصم: ويحك أجبني ! فقال: ما أعرفك ، الم تكن تأتينا ؟ فقال له عبدالرحمن بن اسحق: ياأمير المؤمنين ! أعرفه منذ ثلاثين سنة ، يرى طاعتك والجهاد والحج معك ، قال: فيقول: والله إنه لعالم ، وانه لفقيه وما يسوؤني أن يكون معي يرد عني أهل الملل...... ثم قال يا أحمد! أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، قلت: اعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله ! فطال المجلس وقام ورددت إلى الموضع الذي كنت فيه.

فلما كان بعد المغرب ، وجه إليّ رجلين من أصحاب ابن ابي دؤاد ، يبيتان عندي ويتناظران ويقيمان معي ، حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام ، ويجتهدان بي ان أفطر فلا أفعل ، ووجه إليّ المعتصم ابن أبي دؤاد من بعض الليل ، فقال: يقول لك أمير المؤمنين ما تقول ؟ فأرد عليه نحوا مما كنت أرد ، فقال ابن ابي دؤاد: والله لقد كتب اسمك في السبعة ، يحيى بن معين وغيره ، فمحوته ، ولقد ساءنى أخذهم اياك ، ثم يقول: إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضر بك ضرباً بعد ضرب ، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس ، ويقول: إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي ، وانصرف».

فلما كان الليلة الثالثة: قلت: خليق ان يحدث غداً من أمري شيء ، فقلت لبعض من كان معي الموكل بي: إرتد لي خيطاً ! فجاءني بخيط فشددت به الاقياد ورددت التكة الى سراويلي مخافة أن يحدث من أمري شيء فاتعرى ، فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجه الي ، فأدخلت فإذا الدار غاصة ، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع ، وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السياط وغير ذلك: ولم يكن في اليومين الماضيين كبير عدد من هؤلاء ، فلما انتهيت اليه ، قال : اقعد ! ثم قال: ناظروه ! كلموه ! فجعلوا يناظرونني ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، وجعل صوتي يعلوا أصواتهم ، فجعل بعض من على رأسه قائم يومي إلي بيده ، فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم ، ثم نحاني وردني إلى عنده ، فقال : ويحك يا أحمد أجبني حتى

أطلق عنك بيدي ! فرددت عليه نحوا مما كنت أرد ، فقال لي: عليك ! – وذكر اللعن – وقال خذوه واسحبوه واخلعوه ! قال: فسحبت ثم خلعت.

قال: وقد كان صار إليَّ شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في كم قميصي ، فوجه إلى إسحق ابن ابراهيم: ما هذا المغروز في كم قميصك ؟ قلت: شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: وسعى بعض القوم إلى القميص يخرقوه علي فقال لهم – يعني المعتصم – لا تخرقوه ! فنزع القميص عني قال: فظننت أنه إنما درأ عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه ، قال: وجلس المعتصم على كرسي ، ثم قال: العقابين والسياط ! فجيء بالعقابين ، فمدت يداي ، فقال بعض من حضر خلفي: خذ نأي الخشبتين بيديك وشد عليهما ! فلم أفهم ما قال: فتخلعت يداي. ولما جيء بالسياط نظر اليهم المعتصم وقال: ائتوني بغيرها ! ثم قال للجلادين ، تقدموا ! فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم فيضربني سوطين ، فيقول له شد! قطع الله يدك ، فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إلي – يعني المعتصم – وقال: يا أحمد ! علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق ، قال: فجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال أتريد ان تغلب هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك ! الخليفة على رأسك قائم ! وقال بعضهم يا أمير المؤمنين ! دمه في عنقي ، اقتله ! وجعلوا يقولون يا أمير المؤمنين ! أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم ، فقال لي : ويحك يا أحمد ! ما تقول ؟ فأقول اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول به ، فرجع وجلس ، وقال للجلاد: تقدم وأوجع ! قطع الله يدك ! ثم قام الثانية فجعل يقول: ويحك يا أحمد ! أجبني ! فجعلوا يقبلون علي ويقولون: يا أحمد ! إمامك على رأسك قائم ، وجعل عبدالرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول: ويحك أجبني إلى شيء لك فيه أدنى مخرج حتى أطلق عنك بيدي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؟ اعطوني شيئاً من كتاب الله فيرجع ، وقال للجلادين تقدموا ؟ فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحي ، وهو في خلال ذلك يقول: شد ! قطع الله يدك ! قال الإمام أحمد: فذهب عقلي ، فافقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني ، فقال لي رجل ممن حضر: إنا كبيناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك باريه ودسناك ؟ فقال الإمام أحمد: فما شعرت بذلك ، وأتوني بسويق ، فقالوا لي : اشرب وتقيأ ؟

فقلت : لا أفطر ، ثم جيء بي إلى دار اسحق بن ابراهيم ، فحضرت صلاة الظهر ، فتقدم ابن سماعه فصلى ، فلما انتفل من الصلاة قال لي : صليت والدم يسيل من ثوبك ؟ فقلت : قد صلى عمر وجرحه يثعب دماً . ويقول ابنه صالح : « ثم خلي عنه فصار إلى منزله ، وكان مكثه في السجن منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهراً. وخرج أحمد بن حنبل من هذه المحنة خروج السيف من الجلاد والبدر من الظلماء ، وكان كما قال بعض معاصريه «أدخل الكير فخرج ذهباً أحمر » (ص ١٣٩ - ١٤٣هـ).

قال (الذهبي ، ١٤٠٩هـ) قال : « وقال المازني : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلي يوم صفين ، بمعنى أن كل واحد منهم حمى الإسلام في يومه أو نحو ذلك ». (٢٠١/١١).

ومن خلال محنة الإمام بن حنبل - رحمه الله - يمكن للباحث أن يستنتج بعض الأمور التربوية منها :

١- النية في طلب النية. قال ص « إنما الأعمال بالنيات ... » (البخاري ٢/٩).

ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله ، والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه ، وإحياء الدين ، وإبقاء الإسلام ، فإن بقاء الإسلام بالعلم.

٢- الصبر والثبات على الحق ، فينبغي لطالب العلم أن يصبر علي ما يلاقيه في علمه من محن وشدائد ، ويجعل ذلك لله حتى يثيبه الله ويعوضه خيراً ، وألاّ يجامل في أمور دينه فقد قيل لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

زهد الإمام أحمد

أورد الفيروز آبادي (د.ت) « الزهد لغة: زَهداً أو زهادة: أوْ هَي في الدنيا والزهد في الدين » (١/ ٣٠٩).

اصطلاحاً: ذكر (الدقر ، ١٤٠٨هـ) «الزهد الإعراض عن الدنيا ، وهو رأس كل طاعة ، فيه فراغ القلب من مشاغل الدنيا والإستعزاز بالله وحده ، والإستغناء عن جميع المخلوقات ، والتلذذ بالمناجاة ، والسلامة من التبعات »

والزهد نوعان :

أ - زهد في الحرام وهو واجب

ب - زهد في الحلال وهو فضيلة ولا يكون زهد بلا ورع ، قال الإمام أحمد - رحمه الله في الزهد : « عدم فرحه بإقبالها - أي الدنيا . ولا حزنه على إدبارها ».

والإمام أحمد بن حنبل سبق بزهده المشروع كثيراً من الزهاد ، وقد صنف في الزهد كتاباً ، حافلاً عظيماً لم يَسْبَق إلى مثله ، ولم يلحقه أحد فيه ، والمظنون بل المقطوع به أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه » (ص ٢١٥) كما يقول (ابن كثير: ١٣٩٨هـ) : قال ابو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة ، لا يَذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط » (١٠ / ٣٢٩)

ذكر (البغدادي ، ١٣٧٢هـ) « قال اسحق بن هاني : بكرت يوماً لأعارض أحمد بالزهد ، فبسطت له حصيراً ومخدة ، فنظر إلى الحصيرة والمخدة ، فقال: ما هذا ؟ قلت لتجلس عليه ، فقال: ارفعه ، الزهد لا يحسن إلا بالزهد فرفعته ، وجلس على التراب » (١٠١ / ٧٠)

قال (الدقر ١٤٠٨هـ) «نقلاً من كتاب إبن عساكر ٧٣٠ » : أقول: ما كان الإمام أحمد ليتكلف الزهد ، ولكنه هنا شعر أن اسحق يريد معارضته بالزهد فجاراه في ميدانه ، وأربى عليه » : وقال صالح بن احمد بن حنبل: وقال لي يوماً - يعني أباه - :

أنا إذا لم يكن عندي قطعة - من النقود - أفرح » (ص ٢١٥) وقال أيضا (الدقر ، ١٤٠٨هـ) من كتاب الحلية « وقال علي بن المديني: دخلت منزل أحمد بن حنبل ، فما بيته إلاّ بما وَصِفَ به بيت سويد بن غفلة من زهده وتواضعه »

وقال نصر بن علي: « أحمد بن حنبل أمره بالآخره كان أفضل ، لانه أتته الدنيا فدفعها عنه » (ص ٢١٦) - يقصد بذلك أيام الخليفة العباس «المتوكل» الذي أغدق عليه العطايا والهدايا فأبى الإمام أحمد رحمه الله أن يقبل منها شيئاً وعندما ذكر له مرة رسول الخليفة المتوكل خوفه عليه من غضب الخليفة إذا رد أعطتيه ، أخذ هذه الأعطية ووزعها على المحتاجين وطلبة العلم ، ولم يبقى لنفسه منها شيئاً ». وكثيراً ما كان المتوكل يرسل العطايا لأبناء الإمام أحمد بن حنبل وعمه وابن عمه خَفية دون علم الإمام أحمد ، وكان إذا علم بذلك اقفل الباب الذي كان بينه وبين ولده وغضب على عمه ولم يعد يصلي في مسجد عمه. كل ذلك بسبب إهمال الدنيا وإنشغاله بالآخرة.

ذكر (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) « وقال إبراهيم بن مته السمرقندي: سألت أبا محمد عبدالله بن عبدالرحمن عن أحمد بن حنبل ، قلت: هو إمام ؟؟ قال: إي والله ، قال: أحمد بن حنبل صبر على الفقر سبعين سنة.

قال ابو بكر المروزي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعدل بالفقر شيئاً ، أتدري الصبر على الفقر أي شيء هو ؟ قد رأيت قوماً صالحين: لقد رأيت عبدالله بن إدريس وعليه جبة لبود، وقد أتى عليه السنون والدهور ، ولقد رأيت أبا داود الجعفي ، وعليه جبة ممزقة ، قد خرج القطن منها ، يصلي بين المغرب والعشاء ، وهو يترجح من الجوع ، ورأيت أيوب بن النجار بمكة قد خرج مما كان فيه ، ومعه رشاء يستقي به بمكة وقد خرج من كل ما يملكه ، وكان من العابدين ، وكان في دنيا فتركها في يدي يحيى القطان ، وقد رأيت ابن بجالة العابد ، وكنت أسمع صوت خفه في الطواف بالليل ، ولقد كان في المسجد رجل يقال له العرفي يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي ، قال: فاشتهيت النظر اليه ، فإذا هو شاب مصغر ، ولقد رأيت حسيناً الجعفي ، وكان يشبه الراهب ، ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي وسعيد بن عامر بالبصرة » (ص ٥٦ ، ٢٤٤)

ذكر (إبن كثير ١٣٥٨هـ) « قول أبو عمرو بن النحاس: - وذكر احمد يوماً

– فقال رحمه الله في الدين ما كان أبصره ، وعن الدنيا ما كان أصبره ، وفي الزهد ما كان أخبره ، وبالصالحين ما كان الحقه ، بالماضين ما كان أشبهه ، عَرضت عليه الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها.

ومن عظيم زهده – الإمام أحمد رحمه الله – وورعه إعراضه الشديد عن تولي القضاء – مع مسيس حاجته – فقد روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي أنه قال للرشيد: إن اليمن يحتاج إلى قاضٍ ، فقال له : إختر رجلاً نوله إياها ، فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه: ألا تقبل قضاء اليمن ؟ فامتنع من ذلك إمتناعاً شديداً وقال: للشافعي: إني إنما أختلف اليك لأجل العلم والزهد في الدنيا ، فتأمرني أن ألي القضاء ولولا العلم لم أكلمك بعد اليوم ، فاستحى الشافعي منه » (ص ٣٢٨ ، ٣٣٦).

وفاة الإمام أحمد بن حنبل

ذكر (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ) « قال عبدالله بن أحمد : لقد سمعت أبي يقول : استكملت سبعاً وسبعين سنة ، ودخلت في ثمان وسبعين ، فحم من ليله ومات يوم العاشر سنة ٢٤١هـ».

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : لما كان في يوم من شهر ربيع الأول سنة ٢٤١هـ ، حمّ أبي ليلة الأربعاء فدخلت عليه يوم الأربعاء وهو محموم يتنفس نفساً شديداً ، وكنت قد عرفت علته ، وكنت أمرّضه إذا أعتل ، فقلت له : يا أبه على ما أفطرت البارحة ؟ فقال : على ماء باقلاء ، ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي ، فأخذت بيده فلما صار إلى الخلاء ، ضعفت رجلاه حتى توكأ عليّ ، وكان يختلف اليه غير متطبّب كلهم مسلمون ، فوصف له متطبب يقال له عبدالرحمن قرعة تشوي ، ويسقي ماءها ، وهذا يوم الثلاثاء وتوفي يوم الجمعة ، فقال : يا صالح قلت لبيك ، قال : لا تشوي في منزلك ولا في منزل عبدالله أخيك – لأنهما كانا يأخذان من اعطيات الخليفة المتوكل – وقد كثر الناس لعيادته فقلت يا أبه : قد كثر الناس ، فقال : فأي شيء ترى ؟ قلت تأذن لهم فيدعون لك ، قال إستخر الله ، فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً ، حتى تمتلي الدار ، فيسألونه ، ويدعون له ثم يخرجون ، ويدخل فوج آخر ، وكَثُر الناس ، وامتلأ الشارع ، وأغلق باب الزقاق . وسمع السلطان بكثرة الناس ، فوكل السلطان ببابه ، وبباب الزقاق ، وقال أبو عبدالله : جاءني صاحب ابن أبي طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك قال : فقلت له هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره. وقد توفي الإمام أحمد رحمه الله – يوم الجمعة ضحوة ، ودفن بعد العصر. وبلغ من حضر جنازة الإمام أحمد بن حنبل أعداداً كبيرة لم ير مثلها قط.

وقال عبدالوهاب الوراق : ما بلغنا أن جمعاً كان في الجاهلية والإسلام مثله ، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر على التصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف ، وحزرنا النساء فبلغن نحواً من ستين ألف امرأة ، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ينادون من أراد الوضوء ، وكَثُرَ ما اشترى الناس من الماء فسقوه » (ص ٤٠٢ ، ٤١٥).

مصنفات الإمام أحمد بن حنبل

اهتم الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – بالعلم وألف كتباً كثيرة تتضمن كثيراً من الأفكار التربوية وتعتبر من المراجع الهامة في الفقه الإسلامي والحديث.

ذكر (التركي عام ١٣٩٧هـ) ، كان يقال في الإمام أحمد رحمه الله – : كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف» (ص ٥٠) .

وقال (ابن الجوزي عام ١٤٠٢هـ) « **كان الإمام أحمد** بن حنبل رضي الله عنه لا يرى وضع الكتب ، وينهي أن يكتب عنه كلامه ومسائله ، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة ومن الكتب التي إهتم بها وكتبها هي:

١) المسند في الحديث: ويحتوي على ثلاثين الف حديثاً وكان يقول الإمام أحمد رحمه الله لابنه عبدالله: احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً وهو مطبوع.
٢) التفسير: ويحتوي على مائة وعشرون الف حديث.
٣) الناسخ والمنسوخ
٤) المقدم والمؤخر في القرآن
٥) جوابات القرآن
٦) المناسك الكبير والصغير ص ١٩١ .
٧) الورع (وهو مطبوع)
٨) الزهد (وهو مطبوع)
٩) المسائل جمعها ولديه صالح وعبدالله (موجود بمكتبة الحرم بمكة)
١٠) الأشربة (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم)
١١) الصلاة وما يلزم فيها (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم بمكة)
١٢) العلل ومعرفة الرجال (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم بمكة) (ص ١٩١).

وذكر في كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل ، ١٤٠٣هـ.

ذكر ابن النديم بعض كتب الإمام أحمد ومنها :

١٣) فضائل الصحابة (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم بمكة)

١٤) الفرائض.

١٥) الإيمان

١٦) طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

١٧) الرد على الجهمية والزنادقة (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم بمكة)

١٨) إحكام النساء (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم بمكة)

١٩) التاريخ

٢٠) حديث شعبة

٢١) شرح حديث الشيوخ

٢٢) كتاب السنة (مطبوع وموجود بمكتبة الحرم بمكة)

٢٣) قصيدة في الموت والآخرة

٢٤) جزء في أصول السنة

٢٥) كتاب الوقف والوصايا

٢٦) كتاب الترجل

٢٧) كتاب أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض

٢٨) جوابات الإمام أحمد في خلق القرآن

٢٩) كتاب الإرجاء

٣٠) العقيدة «تنقيح ورواية عدد من تلاميذه

٣١) كتاب الفتن (توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق)

٣٢) كتاب فضائل أهل البيت

٣٣) جزء من أحاديث رواها الإمام أحمد عن الشافعي

٣٥) مسند أهل البيت

٣٦) كتاب الأسماء والكنى «ص٢٥.»

هذه بعض مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله خير عن ما قدمه للإسلام والمسلمين.

الفصل الثالث

الأفكار التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل

من خلال بعض كتبه وبعض الكتب التي كتبت عنه

- فلسفة التربية.
- أهداف التربية.
- آداب المعلم.
- آداب المتعلم. (طالب العلم)
- طريقة التدريس.
- تعليم المرأة.
- الأساليب التربوية.
- المنهاج عند الإمام أحمد.
- إلزامية التعليم.

فلسفة التربية عند الإمام أحمد

الفلسفة هي: استخراج المعاني من منطقو مفهوم الكلمات. أو كما قال (دكتور/محروس ، ١٣٨٨هـ) (الفلسفة: هي رحلة الفكر الدائمة عبر الأزمنة والأمكنة من أجل الوصول للحقيقة ، والتربية والفلسلفة وجهان لحقيقة واحدة قوامها الإنسان) (ص ٢١).

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ينظر إلى العلم والتعليم على أنه عبادة ، وأنه الطريق الصحيح الذي يُوْصِل إلى الله سبحانه وتعالى ، وكان يعظم أهل الحديث ويحترمهم ويجلهم ويعتبر أن العلماء هم من بقايا الرسل حيث يقول «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل ، بقايا من أهل العلم» (ابن حنبل ، ١٣٩٣هـ: ص٦)

وهو بذلك يعطي العلم وطلبه ما يستحق من التكريم والإجلال والتقدير يجعلهم خلفاء للانبياء في الأرض ، يعلمون الناس الحق ويرشدونهم اليه ، ويحذرونهم من الباطل والوقوع فيه ، وهذا تكريم يتشرف به كل من سلك سبيل التعليم وعمل فيه من أساتذة ومعلمين نظراً لِعظم دورهم وأهميته في تكوين جيل مؤمن بالله ورسوله ، يتبع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكما أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحترم العلماء ويوقرهم ويجعلهم خلفاء الأنبياء في الأرض مسترشداً بحديث رسول الله ﷺ حيث يقول: « العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (رواه أبو داود) فإنه يحمّلهم مسئولية عظيمة مسئولية الدعوة إلى الهدى والحق وتوضيحه للناس ، والصبر علي ما يصادفهم من الإيذاء في سبيل ذلك ، احتساباً للاجر والثواب من الله حيث يقول: « على أهل العلم أن يدعوا إلى الهدى ، ويصبروا على الأذى » (ابن حنبل ، ١٣٩٣هـ: ص٦.) (الرد على الزنادقة والجهمية).

وهو يشبه دعوتهم إلى الحق وتوضيحهم له بمن ينير الطريق في الظلماء ، أو من يعيد النظر إلى فاقده ، أو من يحيي الميت ، بقوله: في تحديد دور العلماء وبيان الواجب الذي يجب عليهم القيام به والمسئولية الملقاة على كواهلهم «يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصّرون بنور الله العَمْي» (ابن حنبل ، ١٣٩٣هـ: ص٦)

فالسالكون طريق الضلال والمبتعدون عن الحق يشبههم تارة بالموتى ، وهو كناية عن موت قلوبهم يبعدهم عن الحق وسبيل الرشاد ، وعدم ذكرهم لربهم ، وتسبيحه وتحميده ، والبعد عن طاعته كما قال تعالى « الا بذكر الله تطمئن القاول »(سورة الرعد آية «٢٨ ») وإرشادهم للحق بمثابة إحياء الموتى وذلك لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى » (سورة الرعد آية «٢٨ ») ويشبههم تارة أخرى بالعميان الذين فقدوا نعمة الإبصار ، ويصف دعوتهم إلى الحق وإرشادهم اليه كمن يعيد لهؤلاء العَمي إبصارهم فيتمتعون بما حَرموا منه من الاستمتاع بجمال الطبيعة والتمتع بهذه النعمة التي أنعم الله بها على عباده. مستدلاً بقوله تعالى « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » (سورة الحج آية «٤٦ »)

وفي فضل ما قام به العلماء يقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله «فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه » (ابن حنبل ، ١٣٩٣هـ ص٦)

فبفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه على العلماء المخلصين في علمهم وبما يقومون به من واجبات تجاه المجتمع من تعليم أبنائه ، وإرشادهم إلى طريق الحق ، وتعليمهم ما فرضه الله عليهم ، وبيان الطريق الصحيح لعبادة الله سبحانه وتعالى ، نالوا الثواب العظيم من الله ، وحصلوا على هذه المنزلة المهمة ، والمكانة العالية ، بقيامهم بدور رسل الله في أرض الله.

ورجال العلم ومنهم المعلمون ، لا يعطون حقهم من الاحترام والتقدير من المجتمع ، برغم دورهم العظيم في صلاح المجتمع وأجياله ، وما يتكبدون من مشقة وجهود في سبيل تعليم أبناء هذه المجتمع ، فالمجتمع ينظر إليهم بعدم اهتمام ، وعدم تقدير لجهودهم. ويقول الإمام أحمد في ذلك: « فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم » (إبن حنبل ، ١٣٩٣هـ: ص٦)

وقال الإمام أحمد رحمه الله في العلماء وأصحاب الحديث «من عظّم أصحاب الحديث تعظّم في عين الله ورسوله ، ومن حقرهم سقط من عين الله ورسوله » ويقول فيهم أيضاً «هذه سرج الله » (٠الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٤٩)

ومن المهام الجسام على أهل العلم ، ما يقومون به من جهد في تعليم أبناء المجتمع

وما يعانونه في ذلك من مشقة ، وعليهم أيضاً مسئولية تجاه كبار المجتمع ورجاله حيث أن عليهم إرشادهم للحق وإقامة المحاضرات لتوضيح الحق لهم ودعوتهم إليه ، وتوضيح الطريقة الصحيحة لعبادة الله ، ببيان طرق العبادة الصحيحة التي ينبغي اتباعها في أداء العبادة حتى تكون صحيحة ومقبولة إن شاء الله والتحذير من ترك عبادة الله أو تحريف كتابه ، فيقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في ذلك: عن واجب العلماء ومهامهم « أن ينفوا عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » (ابن حنبل ، ١٣٩٣هـ: ص٦)

ويصف الجاهلين بقوله: « الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون في كتاب الله ، مخالفون لكتاب الله ، مجمعون على مفارقةالكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله ، وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالتشابه من الكلام ، ويخدعون جهّال الناس ، بما يشبهون عليهم » (ابن حنبل ١٣٩٣هـ: ص٦) إذا كان هذا القول في الفرق الضالة في عهد الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فإن بعض الناس الآن قد يقع في بعض هذه الصفات بدون علم أو قصد ، لذا فالامام احمد بن حنبل يرى أن المعلمين لا يقتصر دورهم على تعليم الأبناء فقط أمور دينهم والقراءة والكتابة ، وانما عليهم واجب أيضاً تجاه رجال المجتمع بإقامة دروس لتعليمهم تلاوة كتاب الله تلاوة صحيحة مجوّدة كما علّم النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ، وكما تعلّم التابعون من الصحابة وهكذا ... ، وتعليم تلاوة القرآن لا تكون إلا بالسماع عن الشيخ ، وعلى يد شيخ ، كما أن على المعلمين بإقامة الندوات والمحاضرات ، لإرشاد الناس إلى الطريق الصحيح للعبادة ، وتوضح ما قديقع فيه أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه من مخالفات.

ويمكن للباحث استنتاج الجوانب التربية التالية :

- على طالب العلم احترام العلم والعلماء ، وطالب العلم لا ينال العلم ، ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله ، وتعظيم الأستاذ وتوقيره.

- قال على بن أبي طالب: « أنا عبد من علمني حرفاً واحداً ، إن شاء باع ، وإن شاء استرق ، وإن شاء أعتق ». (الزرنوجي ، ١٤٠٦هـ . ص٤٧).

أهداف التربية

يرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن من أهداف التربية زيادة العلم ، والتعرف على الجديد المفيد ، وخصوصاً في أمر الدين حيث قال: « ومن لم يكن له علم يسأل يتعلم » (ابن حنبل ١٣٤٩هـ: ص٣٧) فالسؤال باب من أبواب العلم ، يستطيع به المتعلم الحصول على العلم الذي يريده، فإذاً الفائدة من السؤال هي: تحديد العلم أو المجال الذي يرغب السائل الاستفادة منه ، فالمحاضرة مثلاً أو الوعظ قد تشتمل أنواعاً من العلم وصنوفاً من المعرفة لا يحتاجها المتعلم ، أو لا يرغب في تعلمها ، ومن أهداف التربية أيضاً ، أن يكون لدى المتعلم القدرة على التمييز بين أنواع العلوم ، ومعرفة صحيحها من صحيحها من ضعيفها ، ومفيدها من غيره ، وخصوصاً في مجال الحديث ، حيث يستطيع المتعلم – بعد حصوله على قدر كافٍ من العلم – أن يفرّق بين الأحاديث ويعرف الصحيح من غيره ، وكما فعل الإمام احمد يقول ابنه عبدالله « رأيت أبي يصحح الأحاديث التي تُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤية ، ويذهب اليها ، وجَمَعَها في كتاب واحد » (ابن حنبل ، ١٣٤٩هـ: ص٣٧).

تهدف التربية الإسلامية إلى « تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه ، وعواطفه ، على أساس الدين الإسلامي » (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ: ص٩٨)

فهدف التربية الإسلامية إذن هدف عظيم ، وغايتها إيجاد الفرد المسلم الصالح لدينه ، ووطنه ، وتهتم التربية الإسلامية ببناء شخصية الإنسان من جميع الجوانب.

ومن ذلك فإن أهداف التربية عند الإمام احمد بن حنبل رحمه الله تشمل جوانب مهمة من شخصية الطالب وتعمل علي تنميتها. فالاهتمام بتربية الأولاد تربية إسلامية ، والمحافظة عليهم وحثهم على مكارم الأخلاق واتباع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، من أهداف التربية عند الإمام أحمد ويرى أن يكون ذلك بأسلوب فيه عطف وشفقة وحسن توجيه ولطف ، ومشاركتهم في أفراحهم وخصوصاً أيام الأعياد « وذلك ما كان الإمام احمد يفعله مع أبنائه » (الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص٢٦٩).

وتربية الأولاد على الآداب الإسلامية والتي منها حَسْن إستقبال الزائر وإكرامه لأن ذلك من أخلاق الإسلام ، وقد حثنا عليه ديننا الإسلامي ، وأمرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ». (البخاري ٣٧٣/١).

فما أحوجنا لإحياء ما اندثر من تعاليم ديننا الإسلامي ، والاهتمام برعاية أبنائنا ، والاهتمام بتربيتهم تربية اسلامية ، هذه التربية التي تحث على مكارم الاخلاق ، وجميل الصفات ، ومنها حَسْن استقبال الزائر ، والإمام احمد بن حنبل رحمه الله كان يعتني بضيفه ويكرمه. قال أبو القاسم بن سلام: زرت أحمد بن حنبل في بيته ، فأجلسني في صدر داره ، وجلس دوني. فقلت يا أبا عبدالله أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته ، فقال: نعم! يقعد من يريد. ثم قلت له: يا أبا عبدالله لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لآتيتك كل يوم فقال: لا تقل ، إن لي إخواناً لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة ، وأنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم ، فلما أردت القيام قام معي فقلت: لا تفعل يا أبا عبدالله. فقال: قال الشعبي في تمام زيارة الزائر ، أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه. قال: فمشى معي إلى باب الدار ، وأخذ بركابي » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ ، ص١١٣).

فالإسلام يحث على إكرام الزائر وحَسْن استقباله ، وحَسْن توديعه ، كما أن كثرة الزيارة لا تدل على المحبة ، لأن في ذلك إرهاقاً للزائر ، واشغالاً له ، وتضييعاً لوقته ، وقد تؤدي تلك الزيارة وخصوصاً بدون موعد سابق إلى تعطيل صاحب الدار عن أعمال مهمة قد يكون مرتبطاً بها ، لذلك يجب علينا تعليم أولادنا آداب الزيارة ، والأوقات المناسبة للزيارة ، وأن نختار الوقت المناسب ، وعدم الإطالة في الزيارة ، وأن تكون بموعد مسبق ».

كما أن الدين الاسلامي يحث على تربية أولادنا وتعليمهم فضائل الصفات وجميلها ، ومنها: الحياء ، والحلم ، والأدب ، والعلم ، والورع ، والمحافظة على الصلوات ، وصلة الرحم ، وبذل المعروف ، وحفظ الجار ، وترك التكبُّر ، وغض الطرف عن المحارم ، احترام المعلم والعلماء ، وصدق الحديث ، وكتمان السر ، وستر العيوب ،

وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، والصمت في المجالس من غير إفراط ، والتواضع ، وإجلال الكبير ، والرفق بالصغير ، والرأفة والرحمة للمسلمين ، والصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، وهذه الصفات يجب على المعلمين وأولياء أمور الطلاب غرسها في نفوسهم ، وتلك بعض الصفات التي كان الأمام احمد بن حنبل رحمه الله يتحلى بها » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ ، ص١٢٠)

فما أحوج أبناءنا للتحلي بهذ الاخلاق الفاضلة التي يدلنا عليها ديننا الإسلامي الحنيف ، التي ربى الصحابة والتابعون ومن بعدهم أبناءهم عليها.

ومن أهداف التربية أيضاً: الاقتداء بالصالحين ، في أخلاقهم وعباداتهم وسلوكهم ، فهذا الامام احمد بن حنبل رحمه الله عندما ذكر أخلاق الصالحين قال: « أسأل الله ألا يمقتنا ، أين نحن من هؤلاء » فالاقتداء بالصالحين والسير على طريقهم ، يؤدي إلى بلوغ الغاية ، والهدف من الحياة ، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى ، كما ينبغي وكما أرشدنا الله إليه في كتابه العزيز وكما أرشدنا إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما علمنا إياه من أمور ديننا وطرق عبادتنا وكيفية أدائها الأداء الصحيح.

آداب المعلم

١- النمو العلمي للمعلم

على المعلم أن يبتعد عن التكلّم في الدين بغير علم ، وألاّ يستخدم أسلوب الفلاسفة في تعامله مع طلابه وأن يتجنب تعاطي الكلام ، والخوض في الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ، وألاّ يحاول تفسيرها ، أو إبداء رأيه فيها ، لأن ذلك قد يؤدي به إلى طريق غير مرغوب فيه. وقد يمسّ دينه ، قال المروزي: سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل يقول: « لا يفلح من تعاطى الكلام ، ولا يخلو من أن يتجهم » (ابن حنبل ، ١٣٤٧هـ: ص٧٥)

التدريب العملي مطلوب ، ومرغوب فيه ، وهو أكثر فائدة ، واكثر تأثيراً من العلم النظري ، لذا على المعلم الإهتمام به ، ومحاولة الإكثار منه ما أمكن ذلك ، يدرب طلابه على ما يلزمهم وخصوصاً أمور العبادات مثل كيفية الوضوء ، وكيفية أداء الصلاة. فهذا أدعى لرسوخها في أذهانهم وحتى يتأكد من حسن تطبيقهم وآدائهم لها ويصحّح ما يقعون فيه من أخطاء.

لذا فعلى المعلمين عامة ومعلمي المواد الدينية بصفة خاصة الإهتمام بالتدريب العملي ، في دروسهم والأشراف المباشر على التلاميذ خلال ذلك ، وتصحيح ما يقع من أخطاء في حينها ، حتى يتأكد من إجادتهم لها ، لأنهم مسئولون عن ذلك ، ومحاسبون عليه إذا قصّروا في شيء منه أمام الله يوم لا ينفع مال ولا بنون » (ابن حنبل ، ١٣٤٧هـ: ص٢٠) وأن يهتم المعلم بأداء عمله على أفضل وجه ، وأن يواظب عليه ، ويتحمل ما يصادفه من عقبات ، وأن يبتعد عن التكاسل والإهمال والتقصير في أداء عمله ، لأن بالإخلاص يكون الأجر الذي يأخذه حلالاً ويطعم أولاده ، ويكسوهم من الحلال بخلاف ما إذا أهمل وقصّر وتقاعس في عمله ، فيكون كسبه حرام ، ويطعم أولاده وأسرته ويكسوهم من الحرام ، وقد كان ذلك ديدن العلماء فيما مضى وكانوا حريصين أشد الحرص على الكسب الحلال: يقول « بشر بن الحارث: سمعت المعافي بن عمران يقول: عشرة فيما مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد ، لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال ، وإلاّ استفوا من التراب ، وذكر منهم الامام

أحمد ابن حنبل رحمه الله » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٧)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (سورة آل عمران آية (١٠٣) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المعلم أوجب ، إذ يجب عليه أن يأمر تلاميذه بكل خير ، وينهاهم عن كل منكر ، لأن كلمته مستجابة ومسموعة عندهم ، وخاصة إذا كان يلتزم بعلمه ويعمل بما يقول ، فإنه قدوة حسنة لطلابه ، يقلدونه ويحاكونه في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته ، ويعتبرونه مثلهم الأعلى ، لذا على المعلم أن يكون عالماً وعاملاً بما يأمر به ، وما ينهى عنه ، وتكون دعوته تلك بأسلوب شيق وجذّاب لأبنائه ، خالياً من الشدة والغلظة ، ويقول في ذلك الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر إلاّ من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٩٢)

حيث إن المعلم قدوة لتلاميذه ، يقلدونه في كل شيء ، وحيث إن الثياب الشفافة لا تستر عورة الرجل وجسمه ، لذلك ينبغي على المعلم الابتعاد عن لبس مثل هذه الملابس ، كما ينبغي عليه إذا وجد من تلاميذه من يلبسها ، أن يرشده إلى الابتعاد عن ذلك ، لأن الهدف من لبس الثياب ستر الجسم ومنه العورة ، وستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة ، فامتناع المعلم عن لبس الملابس الشفافة ، يجعل نصحه وارشاده وتوجيهه لتلاميذه يلاقي إقبالاً منهم وصدى في نفوسهم فيستجيبون له ، ويبتعدون عن ذلك يقول الإمام احمد بن حنبل رحمه الله عندما أراد أحدهم أن يشتري ثياباً قال: « لا يكون رقيقاً ، أكره الرقيق للحي والميت » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص١٠٣).

إن العلم - كما يري الباحث - هو سلاح المعلم ، كما أن الأسلحة هي سلاح الجندي فكلما زاد المعلم من الاطلاع ومتابعة ما يتوصل اليه من فنون العلم الحديثة كلما زاد ذلك قدرته على أداء رسالته. وكما أن الجندي كلما استخدم الأسلحة الحديثة وتدرب على حُسْن استعمالها كانت قوته أكبر ، فعلى المعلم البحث والاستمرار دائماً في القراءة ومتابعة ما يستجد من أنواع المعارف ، وبخاصة ما يخدم تخصصه ويفيده فيه ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن على الإنسان المثقف بصفة عامة والمعلم بصفة خاصة أن لا يقف عن طلب العلم والاطلاع المستمر عند حد معين أو زمن معين .

والنمو المعرفي لا يتوقف عند حد معين أو سن معين ، لذلك فطلب العلم مستمر ، والراغب في العلم عليه أن يستمر في القراءة والاطلاع ، فالعلم يتطور والنظريات والحقائق تتغير وتتعدل في كل فترة ، لذا فعلى الانسان ألاّ يقف عند مستوى تعليمي معين فلا يطلع على شيء بعد ذلك وخصوصاً المعلم الذي ينبغي عليه أن يكون على اتصال مستمر بالمعرفة والاطلاع على النظريات والطرق التربوية الحديثة باستمرار حتى يكون قادراً على مواكبة التطور العلمي ، لذلك يرى الامام احمد بن حنبل أن على الشخص عامة والمعلم بخاصة أن لا يقف عن طلب العلم عند حد معين بل عليه الاستمرار في طلب العلم وتحصيله والقراءة والاطلاع فيما يفيده من أموره الدنيوية والأخروية ، قال الامام احمد بن حنبل «مع المحبرة الى المقبرة » (الدقر، ١٤٠٨هـ، ص٨٤).

كما يرى الباحث أن إلمام المعلم بجميع ما يكتب من المعارف صعب تحقيقه لذا على المعلم الاطلاع المستمر ما أمكن ذلك في جميع أنواع المعرفة بصفة عامة ، وسعة الاطلاع والمتابعة المستمرة لما يتوصل اليه العلم في مجال تخصصه بصفة خاصة.

اللغة العربية هي لغة القرآن وهي اللغة الخالدة ولأهميتها فمن الواجب علينا المحافظة عليها واستعمالها في حياتنا اليومية وعدم إهمالها واللجوء إلى اللهجات المحلية والمعلم من أوجب الواجبات عليه أن يكون على قدر كبير من التعمق في اللغة العربية ، وأساليبها ، ودقتها ونحوها وصرفها فقد كان الإمام أحمد كما وصفه الإمام الشافعي إمام في اللغة.

الشعر فن وذوق رفيع من فنون الأدب العربي ، وليس عيباً أن يكون المعلم شاعراً خاصة إذا ما وظّف هذه المَلَكة لما فيه الخير والنصح والارشاد والدعوة إلى الله ، وقد كان الامام احمد بن حنبل رغم ما وصل إليه من العلم وإمامته الأمة يقول الشعر، ولكن شعره اقتصر على بعض المواعظ والنصح لطلاب العلم يذكرهم بالله وأنه مطلع على الاعمال ، ما ظهر منها وما خفي ، ويحذرهم من الانشغال بالعلم الذي لا ينفع ، بل قد يسبب الضرر لصاحبه ويرشد طالب العلم الى الأسلوب الأمثل للتعلم والاستفادة منه ، ومن شعره في ذلك قوله:

يا طالب العلم صارم كل بطال ... وكل غاد الى الأهواء ميال
واعمل بعلمك سراً وعلانيةً ... ينفعك يوماً على حال من الحال
ولا تميلنّ يا هذا الى بدع ... يَظَلّ أصحابها بالقيل والقال

خذ ما أتاك به ما جاء من أثر   شبهاً بشبه وأمثالاً بأمثال
ألا وكن أثرياً خالصاً فهما   تعش حميداً ودع آراء ضلال

ويجب أن يُختار للتعليم من له كفاءة عالية في ذلك واطلاع واسع في مجالات العلم وليس في مجال واحد فقط ، والامام احمد بن حنبل يفرض على من يتصدروا للتعليم والإفتاء أن يكونوا أكفاء لأداء رسالتهم ، وأول من طلب منهم ذلك بنوه حيث يقول لولده صالح : « ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بوجوه القرآن عالماً بالسنن ، وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها » . ويقول لولده عبدالله : « إذا كان عند الرجل الكتب المصنّفة فيها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، فلا يجوز له أن يعمل بما شاء او يتخير ، فيقضي به ، حتى يسأل أهل العلم ما يؤخذ به ، فيعمل على أمر صحيح » (الجندي ، ١٣٩٠هـ : ص٢٤٤).

القرآن كلام الله المنزل على أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم مُعْجز ببلاغته وفصاحته ، وكل ما فيه مَعْجِزْ ، وهو دستورنا ومنهجنا وهو كتابنا المتعبد بتلاوته وأساس عقيدتنا الإسلامية ، لذا يجب على المعلم عدم إهمال القرآن الكريم بل عليه الاهتمام المستمر بتلاوته وحفظه وأن يخصص له ورداً يومياً من القرآن الكريم وهذا واجب أيضاً على كل مسلم وليس على المعلم فقط «وكان الامام احمد بن حنبل رحمه الله لا ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم ويخصص له في كل يوم ورداً لا يدعه في كل ليلة.» (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ : ص٦٠).

عدم جلوس المعلم للعلم أو الشيخ للحديث ، إلاّ بعد حصوله على أكبر قدر ممكن من العلم وتوفرت لديه القدرة والتدريب المناسب وهذان الشرطان يؤهلان المعلم أو الشيخ للجلوس للعلم أو الفتيا ويجعل منه أهلاً للاحترام والتقدير. «فالإمام احمد بن حنبل رحمه الله لم يجلس للعلم والفتيا إلاّ بعد بلوغ الأربعين من عمره ، ولعله في ذلك يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نزل عليه الوحي وكُلّف بالرسالة وهو في الأربعين من عمره » (ابن سعد ، ١٣٧٧ : ١٤٨/١).

وأن تكون مخافة الله ومراقبته ديدن طالب العلم أو لا يحيد عن طريق الحق في القول والعمل والصواب يتبعد عن طريق الزيغ والظلال . (سيد الأهل ١٣٩٢ : ص١٥٨).

أن يهتم المعلمون وأساتذة الجامعات بالجانب البحثي والإقلال من الأسلوب الإتكالي وذلك بتكليف الطلاب خاصة في المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية وما فوقها بشكل أخص بالبحث العلمي والبحث والتنقيب في المكتبات. وهذا الجانب قد إهتم به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكان يفضل هذا النوع من التعليم فقد كان يحث عليه ويوصي طلابه بالرجوع إلى كتب العلم في مصادرها وعدم الركون الى المكتوب (سيد الأهل - ٣٩٢ : ص١٦٧).

وعلى المعلم تشجيع طلابه وحثهم على الرجوع الى المصادر الاساسية والمراجع الهامة في تعليمهم وإعطائهم من التشجيع والاهتمام ما يدفعهم للرجوع لهذه المصادر وعدم الاكتفاء بما يلقيه عليهم في موعد الدرس ، لأن في ذلك تعويدهم وتشجيعهم على الكسل وعدم البحث واكتساب العلم فقد كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يكره أن يكتب فقهه ، كما يكره أن يكتب فقه غيره واجتهاده ، لأنه كان يخشى أشد الخشية أن ينصرف العلماء والناس عن النصوص الحقيقية ، من الكتاب والسنة ، الى أقوال واجتهادات لم تصدر عن معصوم » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٥٩).

والمعلم ليس دوره اعطاء المعلومات لتلاميذه فقط ، إنما عليه النصح لمن يحتاج ذلك ، وإرشاده لما يفيده ، فهذا الامام احمد بن حنبل رحمه الله عندما طلب منه تلميذه يحيى بن معين الوصية قال له. « لا تحدث المسند الآ من كتاب » (ابو الفلاح الحنبلي ، شذرات الذهب : ص٩٧) وعلى المعلم إرشاد طلابه إلى الكتب المفيدة لهم والتي تحقق لهم العلم النافع. كما أن على المعلم أن يحث طلابه ويشجعهم على الكتابة ويطلب منهم تدوين ما يقوله ، أو ما يريدون الاستفادة منه لأن التدوين أحفظ للعلم من الحفظ في الذاكرة الذي سوف يكون مصيره النسيان مع مرور الوقت ، بينما المدّون في الأوراق لا يوثر عليه مر السنين ، وقد كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يفضل التدوين على الحفظ وكان يأمر أولاده وسائر أهله ليكتبوا عن الفقهاء والمحدثين وأصحاب الأخبار ، « وحين كان الامام احمد يفضّل الحفظ على التدوين كان مشفقاً على الأمة ، وقد علمته التجارب فضل الكتابة ، وكانت عظة ذلك عند عبدالرزاق ، فانقلب الامام احمد كاتباً كل ما سمعه ، حاثاً على الكتابة والتدوين ، مرسلاً بأولاده وسائر أهله ليكتبوا عن الفقهاء والمحدثين وأصحاب الأخبار .. » (سيد الاهل ، ١٣٩٢هـ : ص١٧٦)

وعلى المعلم أن يحث تلاميذه على التدوين دائماً لما يلقي عليهم من العلم ويَعّود عليهم بالفائدة ويشجعهم على ذلك لأن في التدوين حفظاً للعلم ، وقد كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يهش ويبش للذين يكتبون الحديث عنه ويقول عن محابرهم « هذه سرج الاسلام » كما يجب على المعلم أن يحذر تلاميذه من كتابة ما لا فائدة لهم به وما يسبب أضرار للآخرين وتشويهاً لمدنهم مثل الكتابة على الجدران وغيرها. لأن لذلك أضراراً كثيرة ، وكذلك عدم الانشغال بالكتابة التي لا تحقق فائدة لهم وتشغلهم عن التعليم ، وقد كان الامام احمد بن حنبل «يكره كتابة فتواه لكي لا يشغل التلاميذ عن الحديث» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص ٣٠١).

وإرشاد التلاميذ من قبل معلمهم إلى نوع الخط المناسب الذي يساعدهم في قراءته إذا أرادوا الرجوع اليه فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو يتعلم أدرك أن الكتابة بالخط الدقيق ربما خانت صاحبها وقت الحاجة اليها فلا يستطيع قراءة ما كتبه ، فأتعظ بتجربته وكتب بأحرف كبيرة واضحة طوال حياته وجعل ينهى عن الكتابة بالأحرف الدقيقة وينفر منها لئلا يضيع من العلم شيء » الحنبلي ، : ص٣١.

وقد يصادف المعلم سؤالاً من أحد تلاميذه ، وهو غير مستعد ذهنياً للإجابة عليه الجواب الصحيح الكامل ، لذا يرى الباحث أنه من الأفضل للمعلم في هذه الحالة أن يعتذر عن الاجابة على هذا السؤال بلباقة ، ويقنع الطالب بأنه سوف يعود للمراجع التي تفيده في إعطاء الإجابة الواضحة الكاملة على أن يخبره به في أقرب فرصة ، ثم يعود المعلم فعلاً إلي ما يراه مناسباً من المصادر للحصول على الإجابة المطلوبة ، لأن هذا هو الأسلوب الأمثل كما يراه الباحث ، وعلى المعلم عدم التسرع في إعطاء جواب قد يكون خاطئاً أو غير دقيق ، لأن الطالب ربما وجد الإجابة الصحيحة من أحد أقاربه ، وعند ذلك يفقد المعلم مصداقيته أمام تلاميذه ، ويفقده بالتالي ثقة واحترام طلابه له.

قد تعرض الإمام احمد بن حنبل رحمه الله لموقف أشبه بهذا « حيث جاءه رجل من أهل «مرو» يكنى أبا يعقوب فسأله عن حديث ، فطلب الامام احمد بن حنبل من ابنه إخراج أحد الكتب التي يتوقع الجواب به ، فأخرجه ، فجعل الامام أحمد ، يبحث عن هذا الحديث فلم يجده ، فقام بنفسه ، ودخل منزله فلم يلبث حتي عاد وعلي يده

عدة أجزاء من الكتب ، فأخذ يبحث فيها عن الحديث ، فطال عليه ، فقال له السائل: قد تعبت يا أبا عبدالله فدعه ، فقال: لا الحاجة لنا » (ابن الجوزي ، ١٠٤٢هـ: ص١٨٩).

المعلم هو المرجع الأول لتلاميذه داخل الفصل ؛ لذا يجب عليه أن يهتم بالاعداد لمادته إعداداً جيداً يجنبه الحرج أمام تلاميذه ولربما تعرض لسؤال من أحد تلاميذه عن الموضوع الذي يتحدث عنه يوقعه ذلك السؤال في حرج أمام تلاميذه وتهتز شخصيته ويفقد ثقتهم. لذلك على المعلم ألاّ يعتمد في إلقاء دروسه على ذاكرته فقط واطلاعه السابق بل من الافضل أن يكون مسجلاً نقاط الموضوع على أوراق للرجوع اليها والاستعانه بها حتي يكون درسه أشمل وأكثر فائدة ، فقد ينسى نقاطاً هامة في الموضوع إذا لم يستعين بتسجيل نقاط الدرس وقد كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يحض كبار الرجال على ألاّ يحدثوا إلاّ من كتاب ، ثم صار التحديث من الكتاب سنة متبعة ، ومذهباً للناس جميعاً ، وهي الطريقة التي دعا اليها الامام احمد بن حنبل رحمه الله وحض عليها وعمل بها ، وقد أخبر عن ذلك عبدالله – ابن الامام احمد – قال -: ما رأيت أبي يحدث من حفظه من غير كتاب » مع ما وصل إليه من سعة العلم وقوة الحفظ. (الأصبهاني ، ١٣٥٧هـ: ص ٩/١٦٥) .

قد يقابل المعلم بعض التلاميذ قليلي الاسئلة اما حياءً من المعلم واحتراماً له ، واما لعدم قدرتهم على طرح الاسئلة الملائمة وعدم القدرة على المناقشة ، بسبب عدم تعودهم على مثل ذلك ، لذا يرى الباحث أن على المعلم مهمة عظيمة ومسئولية كبيرة تجاه هؤلاء التلاميذ ، بإعطائهم فرصة كبيرة لإشراكهم معه في المناقشة والحوار بأسلوب غير مباشر حتي يبعث في نفوسهم الطمأنينة والثقة في أنفسهم ، وعلى المعلم أن يطلب من تلاميذه عامة الاستفسار عما يريدون اما بسؤاله عن النقاط أو العبارات التي لم يستطيعوا فهمها ، أو أن يطلب منهم بطريقة غير مباشرة إعادة بعض الأفكار الرئيسة في الدرس مع تشجيعهم وقبول إجاباتهم مهما كانت ناقصة ، لأن ذلك كما يرى الباحث يزيد من ثقتهم بأنفسهم واندماجهم مع زملائهم في المناقشة ، وكذلك فعل الإمام احمد بن حنبل رحمه الله ، عندما جاءه في المسجد رجل غريب ودخل الحلقة ولم يسأل ، فالتفت إليه وقال له: «ألك حاجة ؟ قال الرجل الغريب: تعلمني مما علمك الله ، فقام الامام احمد بن حنبل ودخل داره واخرج كتباً وقال له: أدن فجعل يملي

يملي عليه ثم يقول للرجل: إقرأ ما كتبت» (الدقر ، ١٤٠٨هـ ص٥٩).

من الصفات التي ينبغي أن تتوفر في المعلم «أن يكون دقيق النظر ، عظيم الحيطة ، كبير الورع ، غزير المادة من علمي الكتاب والسنة» (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٥٩.)

وهذه الصفات من الصفات الأساسية التي ينبغي توفرها في المعلم لأهميتها ، ولحساسية عمل المعلم والدور الذي يقوم به يحتاج اليها ، والكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان لشريعتنا الإسلامية ، وحيث أن مهمة المعلم هي إعداد أجيال صالحة تعبد ربها وتخافه ، وتدعو إلى دينه وتكون قدوة حسنة فيه ، فينبغي الإلمام بقدر كبير من كتاب الله حفظاً والعناية به تلاوة وأن يكون على صلة دائمة به وكذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها المصدر الثاني للشريعة الاسلامية ، وهي شارحة للقرآن ومكملة له فعلى المعلمين العناية والاهتمام بها والاطلاع الدائم عليها للاستفادة منها في حياتهم ، لأن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرته فيهما من المواعظ والدروس والعبر ما لا يحصى ، وكيف لا يكون ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم قد ربى أمة من المسلمين كانت خير أمة أخرجت للناس كما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

المعلم أشبه ما يكون بعين الماء التي يرتوي منها الإنسان ويسقي منها أشجاره وبهائمه ، زو كمثل الشجرة المثمرة وارفة الظلال ، لا ينقطع ظلها ، فهذا كما يرى الباحث دور المعلم ، لا ينتهي عند مدة زمنية محددة ، بل يبقى ما دامت لديه القدرة على البذل والعطاء ، «القدرة الجسمية ، العقلية» ويبدأ المعلم في التدريس متى ما توفرت لديه المؤهلات لذلك العمل ، وتوفرت لديه أيضاً القدرة والتدريب على القيام به خير قيام ، ويقرر هو وحده الوقت الملائم لراحته وابتعاده عن العمل والتدريس . وكما هو معروف فالتدريس يحتاج الى جهد مضاعف ، كما يحتاج الى قوة تحمل ، وصبر ، وهو من المهمات الشاقة ، ولا ينقطع عمل المعلم كغيره من الموظفين بخروجه من المكتب وإنما يستمر خارج مقر العمل في المنزل يتابع واجبات تلاميذه ويصححها ويضع ما يحتاجه طلابه للمراجعة وغير ذلك مما يحتاجه الطالب ، وفي المكتبة: يطلع على ما استجد من معلومات في مجال تخصصه ويتوسع في الاطلاع على المواضيع التي سوف

يلقيها على طلابه ... لكل هذا يحتاج الى جهد غير عادي من المعلم ، وهذا الجهد وهذه المشقة تزول إذا حقق تلاميذه قدراً كبيراً أو مرضياً من العلم الذي كان يطمح في تحقيقه ، والمعلم هو الشخص الوحيد الذي يستطيع تحديد استمراره في العمل أو تركه متى ما توفرت لديه الأسباب التي يراها مناسبة لترك العمل ، أو لعدم قدرته الجسمية على تحمل أعبائه.

والإمام احمد بن حنبل رحمه الله ، بدأ مجلسه للعلم وعمره أربعين سنة تقريباً ، ولم ينقطع عن دروسه إلاّ عندما حبسه المأمون ، ثم بعد إطلاق سراحه عاد لمجلسه لإلقاء دروسه ، حتى أمره الخليفة الواثق ، وخلفه المتوكل بعدم الجلوس للعلم في المسجد ، ولكنه استمر في القاء دروسه لاسرته (زوجاته ، وأبنائه ، وخادمه وبعض تلاميذه» وقد كان له قبل ذلك مجلسان أحدهما في المسجد لعامة الناس ، وآخر خاص ينعقد بداره لأسرته» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص ٢٩٨).

وبما أن المعلم أثره عظيم ، ودوره كبير ، ومهمته شاقة ، ينير الله به القلوب ، ويهدي به إلى الحق والمعلمون ورثة الأنبياء ، ولما كان المعلم يحتاج إلى المأكل والمشرب والملبس ، لإعالة أسرته فلا بد له من مورد للرزق ، يستطيع به قضاء حاجاته ، وشراء متطلباته ، لذا فإن تعليم الأطفال مقابل أجر جائز ولا شيء عليه فيه ، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن ذلك فقيل له عن المعلم يعلم الصبيان ويشترط قال: لا بأس بذلك) (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٤٩).

٢ - أخلاق المعلم.

على المعلم أن يرشد من يريد الاستفادة من العلم في غير مجاله ، أو يرغب في الاستزادة من نفس العلم ، ينبغي أن يرشده الى أصحاب العلم الذين يمكن الاستفادة من علمهم ، خاصة إذا كان هذا العالم له مكانة علمية كبيرة ، وحضرته الوفاة ، فينبغي له أن يرشد إلى من يرجع إليه الناس بعده ، حتى يستمر نهر الخير ، ويبقى مصباح الحق مضيئاً. والإمام احمد بن حنبل رحمه الله عندما سئل في مرضه الذي مات فيه عمن يمكن الاستفادة منه بعده ، والرجوع اليه في طلب العلم ، والأخذ عنه فقيل له

« من نسأل بعدك ؟ فقال: سل عبدالوهاب ، وأخبر السائل بعض من كان حاضراً أنه ليس له اتساعٌ في العلم ، فقال أبو عبدالله: إنه رجل صالح ، مثله يوفق لإصابة الحق » ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٣)

على المعلم ألا يجعل جل همه وحرصه كسب المال وجمعه ، وإنما ينبغي أن يكون جَلّ اهتمامه وحرصه على العلم وطلبه ، وتعليمه لأبناء المسلمين يقول الامام احمد بن حنبل « ما أعدل بالفقر شيئاً ، أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٤)

وهذه صفة من صفة الذين زهدوا في الدنيا ، وحرصوا على كسب الآخرة ، باعوا الدنيا واشتروا الآخرة.

كما أن على المعلم أن يرشد طلابه بالتمسك بالآداب العامة مثل نظافة ثيابهم وأجسامهم ، ومنازلهم وكذلك المحافظة على نظافة الطريق ، وإزالة الأذى منها ، لما في ذلك من الأجر والثواب العظيم لأن ذلك من الإيمان.

لذلك يجب الحرص على سلامة طرق المسلمين والعمل على نظافتها وإزالة ما يعيق حركة السير فيها ، فقد كان بعض العلماء الفاضلين في عهد الإمام احمد بن حنبل ، قد امتنعوا عن الصلاة في المسجد الذي بني درجه في طريق المسلمين وقال الإمام احمد « لا وضعت رجلي عليها حتى تهدم » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ. ص٤).

وأن يتحلى المعلم بالحلم والعفو والتواضع لمن أخطأ في حقه وكان قادراً على المجازاة

بالمثل وهذا الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « قد اغتابه رجل فجاءه يطلب منه العفو فعفا عنه » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٢٢٩).

كما أن على المعلم أن يكون حليماً وعليه أيضاً أن يتحلى بالتواضع فقد كانت هذه الصفات من الصفات التي كان الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يتحلى بها مع طلابه ومع غيرهم من أصحابه فهذا يحيى بن معين – أحد طلاب الإمام احمد بن حنبل – يقول: « ما رأيت مثل أحمد بن حنبل صحبناه خمسين سنة ما أفتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير » (الدقر ، ١٤٠٨: ص٢٣٠.

على المعلم ألاّ يتعالى على طلابه بما حصل عليه من علم لأن ذلك صفة من صفة التكبر وقد يؤدي هذا الى نفور الطلاب منه ، ونفورهم منه يعني عدم استفادتهم مما يلقيه عليهم ، بل عليه أن يسخر سعة علمه ومقدرته في ايجاد الطرق والوسائل التربوية التي تحقق اكبر قدر من الفائدة لطلابه «لذا فقد يكون من الأسباب التي تمنع حصول الفائدة من المعلم لطلابه شعوره بالتميز عنهم » (ابن بدران: ١٤٠١هـ: ص٤٥٦).

وعلى المعلم أن لا يصيبه بعلمه الغرور يقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله « ويوم يتخلى العالم عن التواضع يفقد جاذبيته للعلم ، وهي الاقبال عليه ، ويوم يحسب العالم نفسه مكانة أعلى من العلم لا تبقى له مكانة ولا علم ، وبقيت لديه وسائل وصول أو مزاعم علم » (الجندي: ١٣٩٠: ص٥٧).

كما أن على المعلم أن يضع خشية الله نصب عينيه دائماً في سائر عمله لأن الله يعلم سره وجهره ولا يغفل عن ذلك. يقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله – « إذا كان التواضع طريق العلم فخشية الله فحواه » ومن ذلك قول يحيى بن كثير « العالم من خشي الله » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٥٧).

أن يلتزم المعلم بالصدق دائماً في جميع أقواله وأفعاله ، وأن لا يميل إلى الكذب ولو مازحاً لأن لذلك أثره السيء على سلوك طلابه فهو قدوة لهم ، بل يجب عليه أن يحث طلابه على الصدق ، والالتزام به في جميع الاحوال ومهما كانت النتائج ، وهذا الإمام احمد بن حنبل رحمه الله لم يؤثر على الصدق شيئاً ، فكان يتعلمه ويعلمه ، اما حين

يتعلمه فقد أرسل إلى أبي جعفر الحذاء الصوفي « بالثغر » يقول له: أوصني ، فقال الحذاء: عليك بالصدق فإنه إن قتلك الصدق قتلت شهيداً ، وان عشت عشت سعيداً » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ . ص٢٧).

كما أن على المعلم أن يوجه تلاميذه إلى كمال الصفات ، وجميل الأخلاق ، التي يمتاز بها المسلم ؛ لأن ديننا الإسلامي يحثنا على الالتزام بذلك في شأننا كله ، ومن هذه الصفات: العقل ، الحياء الحلم ، الادب ، المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها بالمساجد ، بر الوالدين ، صلة الرحم بذل المعروف ، حفظ الجار ، ترك التكبر ، ولزوم الجماعة ، والوقار ، وغض البصر عن الحرام ، وبذل السلام ، وبر طلاب العلم ، واحترام العلماء وتقديرهم ، وصدق الحديث ، وحسن استقبال الانسان لأخيه المسلم في طلاقة الوجه ، وإكرام الجليس ، الأنصات للحديث ، وكتمان السر ، وآداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، واجلال الكبير ، والرفق بالصغير ، والرأفة والرحمة بالمسلمين ، والصبر عند البلاء والشكر على الرخاء ، ومن كمال الفتوة الخشية لله عز وجل ، فيحسن بطالب العلم أن يتحلي بهذه الأخلاق وغيرها من الأخلاق والآداب الاسلامية وهذه بعضها ، وقد كان سفيان الثوري شيخ الامام احمد بن حنبل – يعلمها طلابه ، وإذا سئل عن الفتوة «وقد كان الامام احمد بن حنبل كذلك قال ذلك: بشر الحافي» (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص١٢٠).

ان لا يؤثر المعلم نفسه علي تلاميذه في مجلسه ، ولا يكون مرتفعاً عنهم الا لحاجة ، من كثرة الطلاب وكبر الفصل حتى يستطيع مشاهدة جميع الطلاب ومنع الفوضى داخل الصف ، او القاعة وألا يجلس في ظل وتلاميذه في الشمس ، كما يجب التناصح بين المعلمين ، وأن تكون النصيحة بأسلوب مقبول ، وقد لاحظ الامام احمد بعض المشايخ في عهده وهو يحدث تلاميذه في الظل بينما تلاميذه في الشمس وأسدى اليه الإمام أحمد بن حنبل نصحاً بأن لا يجلس في الظل وطلابه في الشمس وطلب منه أن يجلس مع الناس ، فهذا هارون بن عبدالله الحمالي يحدث بذلك فيقول: « جاء لي أحمد بن حنبل بالليل ، فدق الباب عليّ ، فقلت من هذا فقال: أنا احمد ، فبادرت اليه وبعد التحية قلت له: حاجة يا أبا عبدالله ؟ قال نعم: شغلت اليوم قلبي ، قلت: بماذا

يا ابا عبدالله ؟ قال جزت عليك وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر ، لا تفعل مرة أخرى ، إذا قعدت فاقعد مع الناس » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢٢٠).

ومن الصفات المطلوبة في المعلم وهي مطلب أساسي ، أن يخاف الله في السر والعلانية ، وان يقوم بحقوق الله كاملة لانها من صفات المؤمنين ، وأخص تلك الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المعلم صفة الأمانة لعظمها وأهميتها ، وهي التي أبت حملها السموات والأرض والجبال ، على عظمها وكبر حجمها ، خوفاً منها ومن مسئوليتها ، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً ، ذلك الانسان الضعيف ، وما ذلك إلاّ لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالي ، وتكون صفة الأمانة في جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان المؤمن ، الظاهرة والباطنة ، والإمام احمد بن حنبل رحمه الله يحث المعلم على أن يلتزم بهذه الصفة مع طلابه ، من حَسن تعليمهم والعناية بهم ، واتباع ما يراه من طرق تربوية مناسبة لمستواهم العلمي والزمني ، وأن يَحسن أدبهم وتعليمهم ، لأنه راع لهم ومسئول عنهم أمام المسئولين عنه ، وأمام الله الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

يقول الإمام احمد « وأن يَحْسن أدبهم وتعليمهم لأنه راعٍ لهم وغداً مسئول عنهم يقصد المعلم » (ابن حنبل ، ١٣٤٧هـ: ص٨)

ويجب على المعلم ألاّ يكلّ ولا يمل عن التعليم بسبب ما يواجهه من طلابه وعدم تجاوبهم معه وما يواجهه من المسئولين عنه وعدم مراعاة الظروف المحيطة به ، وما يواجهه من المجتمع وعدم إهتمامهم به وتقدير العمل النبيل والرسالة العظمى التي يقوم بها ، لأن مهنة المعلم من أشرف المهن ، ولأن العلماء هم ورثة الأنبياء الذين بعثهم الله إلى أممهم لتعليمهم وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الانبياءَ لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ». رواه أبو داود ، ١٤٠٩هـ ، ص٦٩٤ ».

والرسول عليه الصلاة والسلام يحث على الأخلاص في العمل مهما كان ، فكيف بمهنة التعليم وهي التي تنير الطريق أمام طلاب العلم ، وتخرج للأمة أجيالاً هي عماد نهضتها

وتقدمها ورقيها ، فمع عظم ما يقومون به ، فإنهم مسئولون مسئولية عظمى أمام الله سبحانه وتعالى أولاً وأمام المسئولين عن إعداد هذه الأجيال إعداداً صالحاً سليماً ، لما فيه خير دينهم وأمتهم ، وحتى يكونوا شباباً صالحين نافعين لخدمة دينهم وبلادهم.

والإنسان ضعيف قد يشعر في بعض الأوقات بحال من الضيق والملل من عدم تقدير جهوده والإحساس به ممن حوله ، وهذا يؤدي به إلى الشعور بعدم استطاعته الاستمرار في عمله على الوجه المطلوب ، ولكن يجب عليه أن يصبر ويتحمل ذلك ويجعل عمله خالصاً لله لأن في ذلك أجر عظيم ومع عظم المشقة يكون الأجر الكبير بإذن الله ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في اليد التي تورمت من كثرة العمل « هذه يد يحبها الله ورسوله » (ابن حنبل ، ١٤٠٢هـ: ص٥٨)

أن يجعل المعلم درسه متسماً بالوقار والإحترام المتبادل بين المعلم وتلاميذه ، « وهذا ما كان عليه مجلس الإمام احمد بن حنبل رحمه الله ، فقد كان مجلسه يتسم بالإحترام والوقار » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص٤٠) وهذه الصفة تميز مجلس العلم عن غير ه من المجالس ، بحيث يحترم الطالب أستاذه ويقدره ويهابه كذلك المعلم يحترم تلاميذه ويقدرهم ويحترم آراءهم ومشاعرهم ، ولا يؤذيهم فيها ، « وقد كان الامام احمد خاشعاً في العلم خشوع تلاميذه ، وبخشوعه هذا يعطي مجلس العلم هيبة واحتراماً للعلم والمعلم » (الجندي ، ١٣٩٠هـ، ص٩٩).

٣)الجانب السلوكي للمعلم

المعلم قدوة لطلابه يفرض احترامه عليهم ، له شخصيته وهيبته ووقاره ، لذا عليه أن يغرس في نفوس تلاميذه حبه واحترامه وتقديره ، واحترام الإنسان الأكبر منهم سناً كما أن على المعلم أن يحترم طلابه ويكن لهم كل مودة وتقدير ، وهذه كانت من أخلاق الإمام احمد بن حنبل رحمه الله «فقد كان يحترم طلابه ويكرمهم» (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٨٤).

يتصف مجلس العلم بالخشوع والوقار والاحترام المتبادل بين المعلم وتلاميذ ، لأن للعلم مكانة عظيمة ولا تتم الفائدة من مجلس لا يتصف بالوقار والاحترام وفي ذلك إجلال للعلم وللعالم نفسه ، لذا على المعلم أن يجعل مجلسه مجلس وقار واحترام لأن ذلك من إجلال العلم قال الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « أول ما يَبدِه الناظر من اجلال العالم وقار مجلسه » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٥٨).

وعلى المعلم أن يكون ذا شخصية مميزة غير مقلد ومتابع لغيره. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سن سنناً متواترة بعمله وسجلها بقوله للناس « لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ».

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله « لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعي ولكن خذ الأحكام من حيث أخذوا » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٢٤٣)

المعلم هو المربي الأول للطالب بعد الله ثم أسرته ، لذلك يجب أن لا يتصف بالشدة والقسوة والا يتصف بالتساهل والاهمال بل يجب أن يستخدم الحكمة والحلم والشدة كل في وقته المناسب ، وعند توجيه نقد أو نصح لطالبه عليه أن يسوق ذلك النصح في أسلوب ليّن حكيم دقيق حتى لا يسبب لطالبه إحراجاً وهذا ما كان يتصف به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله » (سيد الأهل - ١٣٩٢هـ - ص١٢٦).

يحسن بالمعلم أن يتفقد تلاميذه ويسأل عنهم عند غيابهم ، ويطيب خواطرهم إذا كان هناك ما يستدعي ذلك مثل مرض طالب أو ولي أمره ... فقد كان الإمام احمد بن

حنبل –رحمه الله– يتفقد تلاميذه ، ويعودهم إذا مرضوا ومنهم أحد تلاميذه (بقي بن مخلد) وكان أبعد تلاميذه داراً ، مرض ذات يوم فعاده الإمام احمد بن حنبل ، في مكان إقامته ، وبشره بثواب الله ، حيث قال: «يا أبا عبدالرحمن أبشر بثواب الله ، أيام الصحة لا سقم فيها ، وأيام السقم لا صحة فيها ، أعلاك الله العافية ، ومسح عنك بيمينه الشافية» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٤٦).

من صفات المعلم الجيد كرم النفس ، وحسن المعاملة ، والتأدب مع من يخاطبهم ، والإعراض عن اللغو القبيح ، لا يسمع منه إلاّ خيراً ، كثير المذاكرة لطلابه ، يحثهم على تقوى الله وطاعته ، كثير الذكر لله ، يذكر الصالحين ليكون ذلك دافعاً لطلابه على الإقتداء بهم ، زاهداً في الدنيا ، وقوراً ، باشاً عند مقابلته لطلابه ، متواضعاً لطلاب العلم شديد التواضع لمشايخه « فقد كانت هذه بعض صفات الإمام احمد بن حنبل رحمه الله في مجالسه مع طلابه» (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢١١)

وأن يتصف المعلم بالحلم والحكمة ، وعدم التعجل أو الحقد ، وأن يكون عادلاً بين طلابه ، لا يؤثر بعضهم لأمر من أمور الدنيا ، وأن يكون متواضعاً ، يخاف الله في السر والعلن ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس فظاً ولا غليظاً ، يحب في الله ويبغض في الله وأن يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها ، وأن يأخذ على يد الظالم ويمنعه من الظلم ، حسن الحوار ، صبوراً على الأذى ، وان لا يكون سريع الغضب «وهذه بعض الصفات التي كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يتحلى بها» (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢١٨)

المعلم عليه مسئولية عظمى ، ودوره في بناء المجتمع وصلاحه عظيم ، فلصلاح المعلم دور كبير في صلاح المجتمع ، مهمته إنسانية نبيلة ، وهي مهمة عظيمة ، لا يقتصر عمله على تعليم تلاميذه وتدريسهم المواد الدراسية المقررة فقط ، وانما له دور هام آخر هو النصح والإرشاد ، لتلاميذه لكل ما فيه خير لهم ، دائم التفقد لأحوال تلاميذه يحثهم ويرشدهم لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة ، حريص عليهم ، أشد الحرص ، وتكون مسئوليته أعظم إذا كان ذلك فيما يختص بتعليمهم أمور دينهم وتوضيحها لهم ، وعليه عدم السكوت أو التهاون في النصح والإرشاد ، فقد كان الإمام

أحمد رحمه الله شديد الحرص على إرشاد الناس عامة وتلاميذه وأهل بيته خاصة. لما يهمهم من أمور الدين والدنيا ، فقد صلى الإمام احمد بن حنبل مع قوم ورأى من يسابق الإمام في الركوع والسجود ... وبعد نهاية الصلاة تكلم فيهم وحثهم على عدم تكرار ذلك «موضحاً لهم خطورة ذلك العمل ، ومرشدهم إلى الصواب ، والطريقة الصحيحة لأداء الصلاة وموضحاً لهم الأدلة اللازمة والبراهين من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم» (ابن حنبل ، ١٣٥٦هـ: ص٢)

قيام المعلم بتعليم تلاميذه أمور دينهم وتطبيقها عملياً أمامهم ما أمكن ذلك واجب عليه وليس من باب التطوع أو المعروف لأنه إن قصر في شيء من ذلك فهو محاسب أمام الله وهو مسئول مسئولية مباشرة عن الإهمال في ذلك ، أو التراخي فيه ، أو عدم تعليم تلاميذه تلك الأمور الدينية ، تعليماً صحيحاً ، والتأكد من فهمهم وحسن تطبيقهم لها ، وقد ذكر الامام احمد بن حنبل رحمه الله - في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه» «فلولا أن تعليم الجاهل واجب على الإمام والمعلم لازم له وفريضة عليه وليس بتطوع لما كان له الويل في السكوت عنه ، والله لا يؤاخذ من ترك التطوع عنه وترك تعليمه» (ابن حنبل - ١٣٥٦هـ: ص٣)

فعلى المعلمين أن يتقوا الله في تعليم تلاميذهم فإن تعليمهم فريضة وواجب لازم ، والتارك أو المتهاون في ذلك مخطيء وآثم . لأن المعلم إختار لنفسه هذه المهنة الشريفة وهذا العمل النبيل وهو عمل الأنبياء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فيجب على المعلم أن يؤدي عمله على أفضل وجه ، وأن لا يركن إلى الكسل والإهمال ، لأنه محاسب على تقصيره وإهماله ، أشد الحساب ، أمام الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما أن على المعلم أن يهتم بحسن مظهره ، ونظافة ملابسه ، والإهتمام بشعر وجهه (شاربه ولحيته) حتى تعطي شخصيته الاحترام والوقار والتقدير ، وان تكون ملابسه ساترة غير شفافة توضح جسمه من خلفها ، « وقد كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يلبس إزاراً غليظاً ، لكنه أبيض نظيف ، وكان يتعهد نفسه في شاربه وشعره» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٣٩٧).

وقال ابن أبي حاتم ، ذكر عبدالله بن عمر البكري قال: سمعت الميموني يقول: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ، ولا أشد تعاهداً لنفسه ، في شاربه ، وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً ، وشدة بياض من أحمد ابن حنبل» (ابن حنبل ، ١٣٦٥هـ: ص٧٤).

٤ - المعلم قدوة لطلابه

لكل هدف وغاية طريق توصل اليها ، وحيث إن التعليم من أشرف المهن مكانة ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، ولهم الدرجة الرفيعة ، والمنزلة العالية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتي النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلّون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي

وعن عائشة رضي الله عنها قالت « معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» رواه ابن عبد البر في كتابه «الجامع»

« وتزداد درجة المعلم رفعة ومنزلته سمواً وعلواً إذا هو تحلى بالآداب الرفيعة وتجمل بالخلال الحميدة ، بعد أن يكون قد تنزه عن كل ما يخل بمقامه الشريف ، ويحط من قدره العالي المنيف» (الجزائري ، ١٤٠٣هـ: ص٣٧)

« من الضروري لكل من يقوم بالتعليم من أن يلم بطرائق التدريس وأساليبه ، إذ أن المامه بهذه الطرق ، وإدراكه لهذه الأساليب يجعل تعليمه موثراً فعالاً » (د/ حسن عبدالعال ، ١٤٠٥هـ: ص٢٠٥)

للمعلم دور كبير في التأثير المباشر وغير المباشر على تلاميذه ، في تصرفاته ، وأقواله وكيفية تعامله معهم ، وأخلاقه ، لذا يجب على المعلم أن يكون له قدوة بالمعلمين المسلمين السابقين وبما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، متمسكاً بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وتصرفاته مقتدياً ، وبأساليب التعليم وطرقه التي اتبعها العلماء المسلمون متبعاً ، وبأخلاقهم وتعاملهم مع طلابهم مقلداً ، وأن يكون عاملاً بما يعلم ، يبتغي بعلمه وجه الله ، مطابقاً عمله ما تعلمه ، يتبع تعاليم الاسلام ويحث طلابه عليها ، ويجتنب نواهيه ويدعو طلابه إلي اجتنابها والابتعاد عنها ، وقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله عاملاً بما يتعلم ، متبعاً بذلك نهج الصحابة رضوان الله عليهم ، الذين كانوا يعملون بما يتعلمون يقول الإمام احمد « ما كتبت حديثاً إلاّ وقد عملت به » (ابن حنبل ، ١٣٤٧هـ، ص٧٣)

والمعلم أشبه ما يكون بالطبيب ، فالطبيب يعالج علل وأمراض الجسم ، ويصف لها

الدواء المناسب لها ، وبالقدر المناسب ، والمعلم يعالج الجانب الروحي في الإنسان تلاميذه يعلمهم بما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وما ورد من أحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك علاج وتلبية لحاجات التلميذ النفسية ، يحقق له بها الأمن والهدوء والاستقرار النفسي ، كما يحقق الطبيب لمريضه بعلاجه الراحة والاطمئنان على سلامة جسمه وشفائه من أمراضه ، فالقرآن والسنة علاج للقلوب . قال تعالى « الا بذكر الله تطمئن القلوب »(سورة الرعد ، آية ٢٨).

يتحقق العلاج النفسي ، وعلاج قلب التلميذ ، إذا سلك المعلم الطريق الصحيح ، والاسلوب الأمثل للعلاج ، وكان قدوة حسنة لتلاميذه ، في جميع ما يقول وما يفعل ، فالطالب يقلّد معلمه ، ويحاكيه في جميع تصرفاته ، ويعتبرها هي السلوك الصحيح ، فليحذر المعلمون ، ويخافوا الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، في تعاملهم وسلوكهم ، مع تلاميذهم. لأن السلوك الخاطيء قد يتأثر به التلاميذ ، ويسلكون نفس السلوك ، وإذا كان المعلم يسلك سلوكاً غير مناسب ، ويتعامل مع تلاميذه بأسلوب ينافي ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة السلف الصالح ، كان كالطبيب الذي يهيء نفسه للإصابة بالأمراض ، فيجب الاستغناء عن أمثال هؤلاء ، يقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله «إن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طبيب ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء لنفسه فأحذره» (ابن حنبل ، ١٤٠٢هـ ؛ ص٢١٠)

والمعلم الصالح هو الذي يعمل بعلمه ، ويكون عمله وتصرفاته وأخلاقه متجانسة مع ما تعلمه متمسكاً بدينه ، ومحافظاً عليه ، متبعاً لسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وله فيه أسوة حسنة ، كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن بعدهم ، مطبقاً لتعاليم الدين الاسلامي الحنيف فهو المعلم الجدير بالإحترام والتقدير ، وهو الانسان الذي يصح أن نطلق عليه اسم معلم ، وهو الذي يستحق من أبناء المجتمع جميعاً الاحترام والتقدير ، ومن تلاميذه السمع والطاعة والتقدير ، ويستحق من مرءوسيه التشجيع والمكافأة ليس المكافأة المادية وحدها ، وإنما المكافأة المعنوية – مثل التكريم بإقامة حفل في نهاية كل عام يتم فيه تكريم المعلمين المثاليين بخطابات شكر ، والإشادة بالسلوك الحسن الذي سلكوه حتى يكون ذلك دافعاً لغيرهم ، للسير في نفس الطريق ، والاستفادة من أعمالهم ، والإهتداء بالنور الذي أنار لهم الطريق.

وبذلك يوجد المعلم الصالح ، ويعمل كل من لديه نقص بكل جد وإخلاص للابتعاد عنه ، والاستزاده مما هو طيب ومفيد له في دينه ، ولمجتمعه في تربية أولاده تربية إسلامية صحيحة. يقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله « صاحب الحديث عندنا من يعمل به » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص١١١)

فقد يكون هناك عالم بارع لا يشق له غبار في مجالات الحياة ، ولكن في العلوم الشرعية وخصوصاً ما يتعلق بالعقيدة يحدث منه بعض النقص ، فالأولى ، الإهتمام أولاً بالعقيدة الإسلامية وتعلمها ، ثم تطبيقها ، لأنها الأساس ، ثم يتعلم المسلم بعد ذلك ما يشاء من العلوم ، بحيث يخدم دينه بتلك العلوم ، ويستعملها في طاعة الله سبحانه وتعالى.

آداب المتعلم

١) الصفات التحصيلية لطالب العلم

أن يكون هدف طالب العلم من العلم وجه الله ، وان يعرف أنه إذا قصد بتعليمه وجه الله كان له أجر وكان طلبه للعلم عبادة ، وأن يبذل في طلبه للعلم كل جهده ، لأن العلم لا يحصل عليه بالكسل والخمول والإهمال ، وإنما يتم الحصول على العلم بالجد والمثابرة والصبر « لأن العلم لا يعطيك بعضه إلا أن تعطيه كلك » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٥٦).

ألا يكون طلب العلم بهدف الحصول على مؤهل معين أو عمل معين ، وإنما يكون الهدف من العلم الاستفادة والتعرف على آدابه وفنونه ، وألاّ ينقطع عن القراءة والاطلاع بمجرد حصوله على المؤهل ، بل عليه الاستمرار ، والاستزادة من العلم ، ومما هو جديد في تخصصه خاصة ، ومجالات الحياة الاخرى عامة ، وقد كان الإمام احمد حريصاً أشد الحرص على طلب العلم والاستمرار فيه ، حتى بعد أن بلغ منزلة عظيمة وأصبح إماماً للمسلمين ، فقد قال كلمته المشهورة «مع المحبرة إلى المقبرة »(الدقر، ١٤٠٨ : ص٨٤).

وعلى طالب العلم الاهتمام بطلب العلم والسعي الحثيث في سبيل تحقيق ذلك الطلب ، وتحمّل المشاق والمصاعب لتحقيق ذلك فقد قال الشعر :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبِرا

كما أن عليه الرجوع الي المصادر والاستفادة منها حسب قدراته ومستوي تحصيله ، وقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله يحث على طلب الإسناد من علو وكان يرى أن ذلك من سنة السلف « وكان يقول : طلب علو الاسناد من السنة » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٤٩).

« وعلى طالب العلم عدم الانصراف عن النصوص الحقيقية والمصادر الأساسية للعلم من الكتاب والسنة إذا كان علمه من الشريعة الإسلامية – وعدم الانصراف الى اقوال واجتهادات لم تصدر عن معصوم » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٥٩).

اللغة العربية هي لغة القرآن ، وفهمها والتعمّق فيها يفيد طالب العلم في التعرف على الدين والتعمّق فيه وفهمه الفهم الصحيح ، لذا يري الباحث أن على طالب العلم مهما كان تخصصه أن يأخذ بقسط وافر من دروس اللغة العربية ، ما يساعده علي التحدث السليم بها ، ولفهم مصادر الشريعة الإسلامية ، وقد كان السلف الصالح يهتم باللغة العربية أشد الاهتمام ، كما كانت قريش قبل الاسلام تهتم باللغة العربية والفصاحة، فقد كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية بعد ولادتهم بقليل لتقويم السنتهم ولتعلّم اللغة العربية الفصحى من سكان البادية وممن أرسل للرضاعة في البادية ، سيد الثقلين وأفضل خلق الله نبينا محمد صلى الل عليه وسلم. وهذا مما يجعلنا معلمين وطلاباً نهتم باللغة العربية اهتماماً بالغاً . واللغة العربية من العلوم التي كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله يهتم بها ويوليها عنايته حتى أصبح إماماً فيها كما يقول الشافعي.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «أنا أطلب العلم الى أن أدخل القبر» (ابن الجوزي، ١٤٠٢هـ: ص٣١) وهذا يوضح مدى اهتمام الإمام احمد وحرصه على طلب العلم حتى بعد أن اصبح إماماً ومن الأئمة المشهورين في زمانه ، فلم ينقطع عن طلب العلم حتى وفاته ، وبذلك يوضح لنا قيمة العلم ، وأنه لا يقتصر الانسان عن طلبه للعلم بمجرد حصوله على مؤهل معين أو عمل معين مهما كانت قيمة ومكانة ذلك العمل.

وقد سئل الإمام احمد بن حنبل رحمه الله وهو إمام المسلمين عن أفضل الأعمال فقال «طلب العلم لمن صحت نيته ، فيسأل تلميذه ، وأين تصحيح النية ؟ فيجيبه : ينوي بتواضع فيه ، وينفي عنه الجهل» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص ٥٧).

والتدوين مما يساعد على حفظ العلم من الضياع والنسيان فعلى طالب العلم أن يهتم بتدوين ما يتعلمه أولاً بأول ، لأن في ذلك حفظاً للعلم من النسيان والضياع ، وهذا الامام احمد بن حنبل وهو يطلب العلم بعد أن صار إماماً للمسلمين عندما قيل له: وفي يده محبرة ، يا أبا عبدالله ، هذا وأنت إمام المسلمين ! فيقول «مع المحبرة إلى المقبرة» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٦١).

العلم لا غنى لأحد عنه ، ولا بد منه ، ولا تكون الحياة بدونه حياة سليمة ، صاحبها هانيء البال ، فالعلم في هذا العصر كالماء والطعام اللذين لا غنى للمرء عنهما ، ولا يستطيع الحياة بدونهما ويرى الإمام احمد بن حنبل رحمه الله أن العلم يتقدم في الأهمية على الماء والخبز فيقول: « الناس يحتاجون الى العلم مثل الخبز والماء ، ثم يضيف إن العلم يحتاج اليه في كل ساعة والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٢٩٧).

على طالب العلم أن يتمرن ويعود يده على الكتابة بخط مقروء ، وبسرعة مناسبة ، حتى يحصل علي علم كثير ، ولا يفوت عليه شيء من المعلومات التي يلقيها عليه أستاذه ، وقد أدّخر الإمام احمد بن حنبل رحمه الله من هذه التجربة نصحاً لتلاميذه وابنائه ، فقد قال لابنه عبدالله فيما بعد يوصيه قائلاً: « إذهب اكتب في المسجد عن هؤلاء الشيوخ ، حتى تخف يدك » (الحنبلي، : ص٣٢).

مشكلة البطء في الكتابة ورداءة الخط يعاني منها كثير من الطلاب في وقتنا الحاضر ، لعدم الاستفادة من نصائح العلماء والمعلمين - وخصوصاً ممن يجيدون الخط ويتقنونه - ولهذه النصيحة من الإمام احمد أهمية بالغة ، فإن كثيراً من العلم قد ضاع حين صعبت قراءته ، حتى على أصحابه الذين دونوه إذ لم يستطيعوا قراءتها عند الحاجة اليه ، فغابت عنهم معرفته ، وكأنهم لم يكتبوا شيئا.

أن يتصف طالب العلم بالإهتمام بحاجياته الشخصية والعناية بها ، والحرص أكثر على أدواته الدراسية من كتب وأوراق ، والمحافظة عليها ، وحفظها في أماكن تحميها من التلف أو الفقد أو اللعب بها ، في مكتبته أو دولابه الخاص به (خزائن كتبه). وهذا يعطي مؤشراً على مدى اهتمام الطالب بالعلم والحرص علي الاستفادة ، وعند الحاجة الى شيء من تلك الكتب والأوراق للإطلاع عليها يجب أن يعيدها الى مكانها للإستفادة منها عند الحاجة مرة أخرى ، كذلك الاهتمام بحفظ الكتب بعد نهاية العام الدراسي ، فقد يحتاج الطالب للرجوع اليها في أي وقت ، ويرى الباحث أن يخصص للطالب في المنزل مكتبة خاصة به يضع فيها كتبه التي يحتاجها في المراحل اللاحقة. وقد كان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - شديد الحرص على كتبه

وأوراقه والمحافظة عليها ، يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل: نزلنا بمكة داراً وكان فيها شيخ يكنى بأبي بكر بن سماعه – وكان من أهل مكة – قال: نزل علينا أبو عبدالله في هذه الدار وأنا غلام ، قال فقالت لي أمي: إلزم هذا الرجل ، واخدمه فإنه رجل صالح ، فكنت أخدمه وكان يخرج يطلب الحديث ، فسرقت متاعه وقماشه ، فجاء يوماً فقالت له أمي: دخل عليك السّراق فسرقوا قماشك ، فقال: ما فعلت الألواح ؟ فقالت له أمي: في الطاق ، وما سأل عن شيءٍ غيرها » (الدقر ، ١٤٠٨هـ. ص٤٨).

يرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن حياة العلم لا تكون إلا بالرحلة إليه ، ولا يطلب العلم بالقعود ، ولو طلب العلم بالقعود لمات ، بل ليست كل رحلة مطلوبة ، إلا إذا كانت الى العلم عند الأكابر – كبار العلماء – » (ابن سعد ، ١٣٧٧هـ: ١/١٩٨). وهذا واضح من الرحلات التي قام بها الامام احمد بن حنبل لطلب العلم داخل العراق ، وخارجه ، الى الحجاز واليمن ، وخراسان ، والشام وغيرها ، رغم ما كان يلاقيه في تلك الاسفار من المشقة والعناء ، حيث كان يسافر ماشياً على قدميه ، وكانت عندما تنقطع به المئونة يكري نفسه ، أو يعمل بالنسخ من أجل الحصول على نفقته ، وكان يرفض الصدقة ، أو القرضة.

قد يكفي طالب العلم ، الراغب فيه التلقي من علماء بلد واحد ، ولكن إذا كان من الذين قدّر الله لهم السعة ، والقدرة على الاستبحار في العلم ، فإنه لا يكفيه الا أن يطلبه عند كل معلم ، وفي كل بلد يستطيع الوصول اليه ، وعليه أن يتحمّل في ذلك كل ما يقابله من مصاعب ومشاق. وهذا ما فعله الإمام احمد بن حنبل رحمه الله ، فقد رحل عدة بلدان ومدن سيراً على الأقدام متكبداً مشاق السفر ومتاعبه في سبيل تحقيق رغبته لطلب العلم ، وقد تحقق له ما يريد وأصبح إماماً من كبار أئمة المسلمين . وقد لوحظ عليه بعد عودته من طلب العلم من اليمن أثر ذلك التعب والترحال ، من شحوب الوجه . فقال احمد بن إبراهيم الدورقي: « يا أبا عبدالله لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبدالرزاق – في اليمن – فقال الإمام احمد رحمه الله: ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبدالرزاق » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٣٢).

وأن يهتم طالب العلم بتقسيم وقته بين العلم ومتطلبات أسرته ، ومتطلباته الشخصية ، بحيث لا يطغى جانب على آخر ، حيث يخصص وقتاً لطلب العلم ، ومراجعته وتدوينه ، ويخصص آخر لقضاء متطلبات أسرته والعناية بهم وتوفير احتياجاتهم ، ويخصص وقتاً لقضاء متطلباته الشخصية، ولراحته ، « وقد كان الامام احمد بن حنبل رحمه الله ، ينظم وقته بين طلب العلم ومتطلبات أمه ، والجلوس معها ومؤانستها » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص١٠١).

الحفظ يكون مهماً في بعض فروع العلم ، إذ لا يكفي الطالب فهمها بل لا بد من حفظها ومن ذلك حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، والأحكام ... وهذا الحفظ يقوي ملكة الحفظ لدى الطالب لذا لا بد من حفظ العلوم . ويرى الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « أن ملكة الحفظ لها دور كبير في التعلم ، وتلك الملكة من الحفظ وضعت الإمام احمد بن حنبل في قمة أفذاذ الحفاظ في هذه الأمة ، فلم يجرؤ أحد أن يرتقي اليه فيه » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص١٠٢).

كما أن على طالب العلم الاهتمام به والتفرغ له ، تفرغاً تاماً ، وأن يوليه جل اهتمامه وعنايته الفائقة ، وقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله متأثراً بالقاضي أبي يوسف ، حيث كان يقول في تحصيل العلم « العلم شيء لا يعطيك بعضه ، حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرار » (سيد الأهل – ١٣٩٢هـ: ص ١٣٩). وقد تأثر الإمام احمد بن حنبل رحمه الله بهذه المقولة ، وطبّقها على نفسه ، فرئي يحمل محبرته ذاهباً وآيباً ، لا يضعها قط من يده حتى بعد أن اصبح إماماً « وقد عجب منه رجل لذلك فقال له: يا أبا عبدالله ، أنت وقد بلغت هذا المبلغ ، وأنت إمام المسلمين ! فقال له: مع المحبرة إلى المقبرة) (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٣٢).

على طالب العلم البحث عنه في كل مكان ، ولا يكتفي بطلبه في مكان محدد ،وعليه أن يطلب العلم ممن لديه القدرة على إفادته مهما كان ، وألا يتعالى على من عنده العلم ، ولو كان عبداً مملوكاً فقد كان الإمام احمد بن حنبل – رحمه الله – يذهب إلى العلم حيث شيئاً العلم ولم يتحرج أن يأخذ عن صغار العلماء وإن كان آثر العوالي –

الأخذ عن علو من كبار العلماء فقد كان زين العابدين بن علي بن الحسين حين لامه نافع بن جبير عن أخذه العلم من زيد بن أسلم - وكان عبداً فأعتق - فقال له زين العابدين: يا نافع إنه ينبغي للعلم أن يُذهب اليه حيث كان » (سيد الأهل،١٣٩٢هـ: ص٢٧٠).

من الاهتمام بطلب العلم الحضور الى مجلسه مبكراً وعدم التأخر لما يسببه التأخر من خسارة على الطالب بفقد أجزاء من المعلومات هو في أمس الحاجة إليها ، ولما يسببه للمعلم ولزملائه من انقطاع سلسلة الأفكار وانشغالهم بدخول زميلهم المتأخر . لذا على طالب العلم الحضور مبكراً وعدم التأخر عن طلب العلم ، وبداية الدرس ، ويتخذ من السابقين الذين كان لهم اهتمام عظيم ، وتقدير للعلم ، ومنهم على سبيل المثال ، الامام احمد بن حنبل رحمه الله فقد كان يحرص أشد الحرص على الحضور مبكراً إلى شيخه حيث يقول في ذلك : « كنت ربما أردت البكور - إلى الشيخ - فتأخذ أمي بثيابي ، وتقول حتى يصبح الناس ، أو حتى يؤذن » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢٦).

لا بد لطالب العلم من الجد والتعب والسهر حتى ينال ما يطلبه ، ويحقق ما يتمناه ، من حصوله على الدرجات العلمية العالية ، وطلب ما هو مفيد من العلم ، قال سليمان بن احمد ، سمعت عبدالله ابن احمد بن حنبل يقول: « كنت جالساً عند أبي - رحمه الله - يوماً فنظر الى رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق ، فقال لي: ما هذه الرجلان ، لم تمشِ حافياً حتى تصير رجلاك خشنتين » (الأصبهاني ، ١٣٥٧هـ: ص١٨٤).

قال سليمان بن احمد حدثنا عبدالله بن احمد حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي قال: لما قدم ابن حنبل مكة من عند عبدالرزاق ، رأيت شحوباً ، وقد تبين عليه أثر النصب والتعب ، فقلت: يا أبا عبدالله ، لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبدالرزاق، فقال: ما أهون المشقة فيما استفدناه من عبدالرزاق » (الأصبهاني ، ١٣٥٧هـ: ص١٨٤).

كما أن على طلاب العلم مهما كانت تخصصاتهم العلمية الاهتمام بعلوم الدين لأنها أساس عقيدتهم ، وعباداتهم السليمة ، وكذلك الاهتمام باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، كما أن عليهم مجالسة العلماء ،وأهل المعرفة ، والسؤال عما لا يستطيع الطالب فهمه « فقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله مع اهتمامه بالحديث،لا ينسى العلوم الأخرى ، وخصوصاً اللغة العربية، والنحو ، لان ذلك كان يحميه من اللحن في اللغة والتصحيف ، وكان يجلس الى أهل العلم والمعرفة بها » (سيد الأهل، ١٣٩٢هـ،ص٣٤).

أن يقتدي طالب العلم بالصالحين ، في أخلاقهم وعاداتهم ، وسلوكهم ، والعمل على محاكاتهم وتقليدهم ، مع الاشادة بهم والاعتراف بفضلهم ، وما وصلوا اليه من أخلاق فاضلة ، وصفات حميدة ، فهذا الإمام احمد بن حنبل رحمه الله عندما ذكر له أخلاق الصالحين قال: «أسأل الله أن لا يمقتنا ، أين نحن من هؤلاء » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٣)

احترام المعلم مطلب أساسي لطالب العلم ويدل علي حسن تربيته وكرم أخلاقه ، وحبه وإخلاصه في طلب العلم ، وقد كان أحب الناس الى الإمام احمد وأفضلهم عنده ، وأجدرهم بتعظيمه ، المحدثون قال رحمه الله « أصحاب الحديث أمراء العلم » وقال رحمه الله « من عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله » وقال لأصحاب الحديث: « هذه سرج الإسلام ، وحيث إن طلب العلم في ذلك العصر كان يتركز أكثر على العلوم الشرعية فقد كان العلم في الدين عند الإمام احمد هو جمع السنة وفهمها واستخراج الأحكام التفصيلية منها » (الدقر ، ١٤٠٨هـ : ص٤٩).

أن يعرف طالب العلم قيمة العلم الذي يطلبه كما يتعلم احترام المعلم وتقديره ، وأن يعترف بالفضل لأهله ، وهذا يتفق مع الأخلاق الإسلامية ، وبذلك يتأدب طالب العلم مع شيخه وأستاذه ، لأنه لا علم لمن لا يتواضع لمعلمه ويقدره ، وفي الأثر « تواضعوا لمن تتعلمون منه » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٨٤) وفي إجلال طالب العلم للمعلم إجلال للعلم ذاته يقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله « إجلال العالم وإجلال العلم صنوان » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٥٨)

ومن آداب احترام المعلم وتقديره ، عدم رفع الصوت عنده ، أو استخدام الألفاظ والعبارات التي لا تدل على الاحترام والتقدير والتأدب ، وهذا ينافي احترام العلم. وقد كان الامام احمد بن حنبل مثلاً أعلى في تأدبه مع مشايخه ، احتراماً لهم ولعلمهم قال عمرو الناقد: كنا عند وكيع بن الجراح ، وجاء احمد بن حنبل فجعل يصف من تواضعه بين يديه – وكيع بن الجراح – قال عمرو فقلت: يا أبا عبدالله ، إن الشيخ يكرمك

فـمـا لك لا تتكلم ؟ قـال: «إن كـان يكرمني فـينبـغي لي أن أجله» (ابن الجـوزي، ١٤٠٢هـ: ص٥٦). ومن تواضع طالب العلم للعالم « أن الإمام احمد بن حنبل رحمه الله جاء الى خلف بن هشام يسمع حديثاً ، فاجتهد «خلف» أن يرفعه فأبى وقال: « لا أجلس إلاّ بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نأخذ عنه العلم». وقال قتيبة بن سعيد : قدمت بغداد وما لي همة إلاّ أن ألقى احمد بن حنبل ، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين فتذاكرنا ، فقام وجلس بين يدي ، فقلت: يا أبا عبدالله اجلس مكانك «فقال لا تشتغل بي ، إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٥٦).

على طالب العلم احترام المعلم والعلم الذي يتعلمه ، وأن يكون مجلس العلم متسماً بالوقار والاحترام ، من التلميذ لمعلمه وتقديره ، «هذا ما كان يفعله الامام احمد بن حنبل رحمه الله» (سيد الأهل، ١٣٩٢هـ: ص٤٠).

كمـا أن على طالب العلم أن يكون الصدق دأبه في جميع أحواله ، وأن يلتزم به مهما كانت نتائجه ، وهذا ما يجب أن يزرعه المعلم في نفوس تلاميذه ويحببهم اليه ، فقد قال ابو جعفر الحذاء للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : « عليك بالصدق فإنه إن قتلك ، قُتلت شهيداً ، وان عشت عشت سعيداً» (سيد الأهل، ١٣٩٢هـ: ص٢٧٠).

وينبغي لطالب العلم أن يتحلي بالورع ، والتقوى ، والخوف من الله ، وأن يبتعد عن الصفات الذميمة ، والأخلاق السيئة ، والعادات القبيحة على اختلافها ومنها النفاق ، ونقل الكلام أو التجسس على غيره ، وهذا هو الإمام احمد بن حنبل رحمه الله وهو غلام « كان عمه قد كتب في جواب يرفع فيه الأخبار للسلطان ، فأعطى الكتاب لإبن أخيه احمد بن حنبل ، ليدفعه إلى رسول السلطان ، فما كان منه إلا أن رمى به في النهر من ورعه، وقد جعل ابن بسطام يسترجع ويقول عن الامام احمد بن حنبل: هذا غلام يتورع ، فكيف نحن» (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢٢)

أن يتحلى طالب العلم بآداب الإسلام ، وأخلاقه الفاضلة ، حيث إن الإسلام يحث علي مكارم الأخلاق ومنها « العقل والحياء ، الحلم والأدب ، المحافظة على الصلوات ، صلة الرحم ، بذل المعروف حفظ الجار ، عدم التكبُّر ، غض الطرف عن الحرام ، بذل السلام ، إحترام حملة العلم ، الصدق في الحديث ، اجتناب الحلف وكثرة الأيمان ،

إظهار المودة ، حَسن استقبال المرء لأخيه المسلم ، الإنصات للحديث ، احترام الكبير ، والرفق بالصغير ، الرأفة والرحمة بالمسلمين ، الصبر عند البلاء ، الشكر عند الرخاء ، وهذه بعض الخصائص التي كان يتحلى بها الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « يقول بشر الحافي: كان الإمام احمد بن حنبل فتى لأنه جمع هذه الخصال » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص١٢٠).

أن يكون لطالب العلم شخصيته المستقلة المميزة ولا يقلد أو يحاكي غيره ، ولا يكون صورة له في أعماله وأقواله وتصرفاته ، يتحلى بمكارم الأخلاق التي حث عليها ديننا الإسلامي ، ويبتعد عن الأخلاق التي لا يرضاها الإسلام ، كما أن عليه ان لا يقبل كل ما يلقى عليه أو يسمعه من العلم وخصوصاً من الذين ليس لهم صلة وثيقة أو إلماماً كاملاً بالعلم ، بل عليه الرجوع إلى المصادر والمراجع التي يمكن أن يستفيد منها ، ويتأكد من صحة ما يعطى من معلومات أو ما يسمعه - من غير أساتذته - وقد نبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى ذلك فقال لأحد تلاميذه: «لا تقلد دينك الرجال ، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا ، ومن ترك الحديث ، وأخذ بقول الرجال فقد ترك من لا يغلط الي من يغلط ، لأن في التقليد إبطال منفعة العقل ، لأنه خلق للتأمل والتدبر ، «وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها ، أن يطفئها ويمشي في الظلمة» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٢٤٤).

وعلى طالب العلم أن يتصف بالجد والصدق في طلب العلم ، والحرص عليه ، كما يتصف بالهدوء ، عند طلب العلم وأن لا يرفع صوته على معلميه وزملائه ، وهذا ما كان يتميز به الإمام احمد بن حنبل رحمه الله بين أقرانه ، يتصف بسمت وجد ، ونية صادقة ، من غير صخب ولا ترفع «وقد ورث صفات أبيه وجده من امتلاك النفس ، وغلبة الصمت على الكلام » (ابن العماد الحنبلي، د. ت . ص ٣٣).

على طالب العلم الإعتماد على نفسه بعد الله في كسب رزقه ، وألاّ يكون عالة على والديه ، خاصة عندما لا تكون لديهما القدرة على الإنفاق عليه ، يصف أحد العلماء الصالحين واسمه (أيوب النجار) يصف عمله عندما يأتي مكة ، كيف أنه يعتمد على نفسه في شرب ماء زمزم ، فيحضر معه رشاء (حبل) يستقي به من بئر زمزم ويتحدث الامام احمد بن حنبل عن ذلك العالم القدير فيقول: « قد رأيته بمكة ومعه رشاء (حبل) يستقي به من بئر زمزم – قد خرج من ماله » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٣)

وكان (يزيد بن زريع أحد العلماء الصالحين في عهد الإمام احمد بن حنبل ، لا يأكل الا من عمل يده ، وقدقال الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « إن يزيد بن زريع تنزه عن خمسمائة الف من إرث كان له ، وكان يعمل الخوص » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٤).

كما أن على طالب العلم طاعة والديه – وهي واجبة على المسلم – وقد أمر الله بطاعتهما ، والبر بهما والإحسان إليهما ، وقرن ذلك بعبادته سبحانه قال تعالى « وقضى ربك ألاّ تعبدو إلاّ إياه وبالوالدين احسانا » (سورة الاسراء آية ٢٢)

وقد وضّح الإمام احمد بن حنبل لطالب العلم ما يجب أن يعمله تجاه طلب العلم ، وكيف يوفق بين طلبه العلم وطاعة والديه فقال: « إن كان طالب العلم جاهلاً لا يدري كيف يصلي فطلب العلم أوجب ، وإن كان قد عرف ، فالمقام عليها – يعني الام – أحب إليّ ، قال السائل: فإن كان يرى المنكر ولا يقدر أن يغيره ، قال: يستأذنها فإن أذنت له خرج » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ:ص٣١).

أن يكون لمجلس العلم من الهيبة والوقار والإحترام ميزة خاصة ، يحترم فيها طالب العلم معلمه وأستاذه ، ويقدره ويوقره ، كما يحترم زملائه ويراعي مشاعرهم وأن تتسم قاعة العلم بالسكينة والوقار ، لا يكثر الطالب من المناقشات الغير مفيدة ، ولا يقاطع أو يعارض استاذه أو أحد زملائه ، بل يحترم أراءهم ويناقشهم فيها بموضوعية ، وتعقل واحترام ، ولا يجرح مشاعرهم ، أو يزعجهم ويشغلهم عن الدرس أو يضيع

الوقت فيما لا فائدة منه « وقد كان تلاميذ الإمام احمد بن حنبل رحمه الله خشع بين يديه ، يهابون أن يردوه أو يحاجّوه ، وغيرهم له أهيب » (الجندي ، ١٣٩٠ : ص٩٩).

وأن يجالس طالب العلم من هو في مستواه العقلي وعمره الزمني ، أو من هو أفهم منه علماً وأفضل، لأن في ذلك تشجيعاً له على التفوق ، – وخصوصاً ممن يتصفون بالفهم السريع ، والبديهة الحاضرة ، والأكثر حفظاً للعلم – خاصة ممن يتصفون بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ، فهؤلاء لا غنى لطالب العلم ، لان في مجالسة هؤلاء ومناقشتهم فائدة عظيمة له ، وقد قسم الإمام احمد بن حنبل رحمه الله الشيوخ وطلاب العلم إلى قسمين :

« قسم هم في علية القوم ، وهم أقلهم – فهؤلاء أولى بأن يسمع منهم ويتخذ الأصحاب من بينهم ، ولا غنى لأحد عنهم ، وقسم يتساوون في العلم والقدر ، وهم أكثر فرأى الامام احمد ، أن يجلس إلى أكبر عدد من هولاء ، فيأخذ ما يثق به ويترك ما لا يثق به » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص٣٤) ويقصد بعلية القوم في العلم وليس المكانة الإجتماعية.

وأن يحترم طالب العلم أدوات الآخرين وممتلكاتهم – من زملائه – وأن يتأدب معهم إذا احتاج إلى شيء منها ، وهو بذلك يحترم ملكية الغير ، ولا يأخذ منها شيئا إلا بإذنهم ، وللإمام احمد بن حنبل رحمه الله رأي في ذلك « فهو لم يجز لأحد من الطلاب أن يلتقط أوراقاً سقطت من صاحبها وأوجب أن يعرّف عنها كاللقطة ، فيأخذها صاحبها بعد ردها اليه ، كما لم يجز لأحد أن يكتب من محبرة آخر إلا بإذنه ، ثم يكون ذلك ديناً يجب قضاؤه » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص٣٤).

وعلى طلاب العلم أولاً وأخيراً طاعتهم الله عز وجل والبر بوالديهم ، وعدم إغضابهم ، لأن في رضاهما طاعة لله سبحانه وتعالى ، ويتحقق لطالب العلم بدعواتهما الخير الكثير والتوفيق بإذن الله فهذا الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « كان لا يطيق السفر كراهة أن تغضب أمه » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص٣٥).

طلب العلم يحتاج إلى نوع من الصبر والمثابرة والجد والاجتهاد ، لذا يجب على طالب العلم أن يتصف بتلك الصفات ، وأن يتصف بالرجولة والخشونة ، وعليه الابتعاد عن التواكل

والكسل ، والنعومة ويرى الإمام احمد بن حنبل رحمه الله « أن الخشونة لطالب العلم من وسائل التربية الضرورية ، حيث أنه جعل يحث أولاده على تخشين أقدامهم فلا تبقى على لينها » (سيد الأهل: ١٣٩٢هـ: ص١٠٧) وذلك استعداد للسير في طلب العلم والسفر له.

وأن يتصف طالب العلم بالأدب والحياء ،واحترام العلم الذي يحمله ، وصيانة يده وقلمه عن كتابة ما يشين ، أو النظر إلى الحرام ، فقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله ، متأدباً حيث كان النساء يطلبنه من معلمه – لما عُرف عنه من الأدب والحياء ، فيبعثن إلى المعلم ، أن بعث الينا ، احمد بن حنبل ، ليكتب جوابات كتب أزواجهن ، الذين كانوا يرابطون على حدود بلاد المسلمين ، فكان إذا دخل اليهن لا يرفع رأسه للنظر اليهن ، فربما أملين عليه الشيء المنكر فلا يكتبه لهن » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢١)

ينبغي لطالب العلم الإلتزام بطاعة الله سبحانه وتعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما ينبغي عليه طاعة ولي الأمر ، وطاعة والديه ، تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالي ، وقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله يحرص على طاعة والدته بعد طاعة الله ورسوله فحين قدم جابر بن عبدالحميد – وكان من العلماء المشهورين في ذلك العصر وممن أخذ عنهم الإمام احمد بن حنبل العلم بعد ذلك – قدم جابر بن عبد الحميد بغداد ونزل بالجانب الشرقي من المدينة – وكانت أمواج نهر دجلة عالية في ذلك الوقت ، وقد منع أمير بغداد الناس من العبور إلى الجانب الشرقي خوفاً عليهم ، فركب بعض طلاب العلم النهر الى الشيخ جابر بن عبدالحميد ، ولم يفعل ذلك الامام احمد بن حنبل طاعة لوالدته ، وطاعة لولي الأمر وعندما قال له صاحبه ابراهيم بن هاشم: تعبر ؟ فقال: « لا ، أمي لا تدعني » ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ:ص٢٨) فتأخر بذلك عن طلب العلم وحضور مجلس الشيخ جابر بن عبدالحميد ، طاعة لأمه وكسباً لرضاها.

طريقة التدريس

لا بد لمن أراد القيام بعملية التعليم أن تكون له دراية ، وإلماماً بما سوف يستخدمه من طرق لتعليم تلاميذه وهي ما يسمى الآن (طرق التدريس) لأن إلمامه بهذه الطرق، ومعرفته لها تجعل تعليمه مفيداً وموثراً في تلاميذه ، وقد اهتم كثير من الباحثين والعلماء في عصرنا الحاضر بهذا الجانب وأولوه عناية عظيمة ، لدوره الهام في عملية التربية والتعليم ، لأن هذه الطرق تساعد في تسيير عملية التعليم في الطريق الصحيح ، وتساعد في الوصول إلى الهدف من التعليم وتحقيقه ، كما تساعد المعلمين على سرعة إيصال المعلومات إلى تلاميذهم بالشكل الذي يناسبهم ويدفعهم للاستزادة من العلم ، والاستفادة مما درسوه ، كما أنها تساعد في تنمية القدرات والاستعدادات لديهم «وأساليب التدريس وطرائقه ليست واحدة في كل عصر ، وفي كل مجتمع ، بل هي وليدة ظروف وحاجات ومطالب اجتماعية معينة ، ومن ثم فهي تتغير كلما تغيرت الأهداف التعليمية ، والاهتمامات التربوية » (د/ عبدالعال ، ١٤٠٥ :ص٢٠٥)

قد تتغير طرق التدريس والأساليب التي يستخدمها المعلم من بلد لبلد ، حسب خطط وأهداف كل مجتمع وحاجاته ، ولكن تبقى الحاجة ملحة ، لايجاد طريقة يستطيع بها المعلم توصيل ما لديه من معلومات إلى تلاميذه ، بأبسط شكل يسهل عليهم فهمه وتختصر الوقت لدى المعلم والمتعلم ، فاختلاف الشكل والأسلوب لهذه الطرق لا يفقدها أهميتها ، وحتمية وجودها ، فبدون طريقة معينة يستخدمها المعلم لافهام تلاميذه ، لا تتم الفائدة المرجوة ، ولا يحصل تعلّم ، ونجاح التعليم في أي بلد وتحقيقه لأهدافه ، يبرهن على صحة الأساليب والطرق التي استخدمت في ذلك التعليم ، ونجاح المعلمين في استخدامها الاستخدام الأمثل ، ولكل معلم أو شيخ طريقة كما يقولون ، لكنها لا تخرج عن إطار ما هو موجود في مجتمعه وبيئته ، يتأثر بها ، ويؤثر فيها أحياناً .
«والمفكر ابن بيئته ونتاج عصره ، قد تسمح له قدراته ومواهبه بأن يسبق بفكره عصره ، وأن يتجاوز ببصره آماده وحدوده ، ولكنه مع ذلك يظل مشدوداً إلى ذلك العصر ، مرتبطاً بثقافته على نحو ما ، رغم ومضات التجديد والإبداع التي تنبض بها أفكاره وآراؤه» (د/ عبدالعال ، ١٤٠٥هـ:ص٢٠٥).

والإمام احمد بن حنبل رحمه الله كان أحد العلماء الأفاضل ، اشتهر بحبه للعلم وتكبد ما تكبد من مصاعب في الحصول على أكبر قدر من العلم ، جعله عَلَماً من أعلام العلماء المسلمين المتمسكين بعقيدتهم الإسلامية متبعين ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه ، وقد نجح في عملية التعليم واشتهر ، حتى حضر درسه طلاب العلم من شتى أقطار الدنيا من الشرق والغرب ، للاستفادة من علمه حيث بلغ عدد طلابه الذين يحضرون درسه في مسجده ببغداد «زهاء خمسة الاف ، كان منهم قرابة خمسمائة يكتبون » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢١٠)

فالطريقة التي كان الامام احمد يستخدمها مع طلابه كانت ناجحة ، ولذلك حضر درسه تلك الأعداد الغفيرة من طلاب العلم.

وقد كان الإمام أحمد يستخدم عدة أساليب لتعليم طلابه وحواره مع مخاصميه والرد عليهم ، منها أسلوب التقريب ، لتوضيح ما يريد توضحيه لطلابه أو لمَنَاظَريه . حيث استخدم هذه الأسلوب للجهمية من خلال الرد عليهم في إنكارهم صفات الله ، وفي قولهم « لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا كان الله ولا شيء »، فقال لهم الامام احمد رحمه الله « نحن نقول كان الله ولا شيء .... ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف الهاً واحداً بجميع صفاته ؟.

– وضرب لهم مثلاً – فقال: « اخبرونا عن هذه النخلة ، اليس لها جذع ، وكرب وليف وسعف وخوص ؟ واسمها شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله . وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد » (ابن حنبل ، ١٣٤٧هـ:ص٣٧).

وعلى المعلم أن يهتم ويبحث عن الطرق التربوية الأكثر فائدة لإكساب طلابه المهارات العلمية التي يرغب في تكوينها ، ولا يكون همه وغايته أن يحفظ طلابه ما يلقيه عليهم أو ما يقرؤه لهم دون فهم ، وإنما يكون هدفه وغايته أن يتعلم طلابه التفقه في الدين أولاً ، وأن يعلمهم كيف يستخرجون الأحكام ، ويستنبطون المسائل ، بحسب أحوالهم ، ومستوياتهم العمرية والعقلية ، وهكذا كان نهج الإمام أحمد بن حنبل وأسلوبه مع تلاميذه حيث يقول : « لا تكون غاية –الشيخ والمعلم– أن يحفظ طلابه ويجمعون ، وإنما تكون غايته أن يعلمهم كيف يستخرجون الأحكام ، ويستنبطون

المسائل ، وأن يعلمهم التفقه في دين الله قبل ذلك» (الدفر ، ١٤٠٨هـ : ص١٤)

توجد طرق عديدة للتدريس ، وقد يستخدم المعلم أكثر من طريقة في درس واحد بحسب حال طلابه وما يراه يعود بالفائدة عليهم ، لأن التعليم أمانة عظمى ، القيت على كاهل المعلم ، وعليه أن يؤدي تلك الأمانة على أكمل وجه ، إذا كان يريد خير الدنيا والآخرة لأنه مسئول عن هذه الأمانة أمام مرؤسيه. وقبل ذلك وبعده امام الله سبحانه وتعالى ، وسوف يحاسبه ويجازيه ، بحسب ما بذله من جهد وإخلاص لتحقيق الفائدة لطلابه ، لذا فعلى المعلم أن يختار من طرق التعليم بحسب ما يراه موافقاً لاستعدادات تلاميذه ، وأن يحرص على فائدتهم وإكسابهم اكبر قدر من المهارات المعرفية ، وعدم إهمال الوقت ، وتضييعه فيما لا يعود عليهم بالفائدة ، فالوقت ثمين ، وفي ضياعه بدون فائدة ، ضياع لطلابه ، . « وطرق التعليم أمر ذو قية ، وأمانة مودعة عند المعلم ، فمن أداها أثيب على أدائها ، ومن جحدها كان مطالباً بها » (ابن بدران ، ١٤٠١هـ: ص٢٠).

تعليم المرأة

تعتبر الأم المدرسة الأولى لتربية الأبناء ، وعلى صلاحها يقوم صلاح الأسرة والمجتمع ، وهي نصف المجتمع ، يقول حافظ ابراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وقد اهتم الإمام احمد بن حنبل رحمه الله بالمرأة وأفرد كتاباً خاصاً بأحكام النساء .

كما أن الإمام احمد رحمه الله « قد روى عن كثير من النساء في المسند بلغ عددهن مائة ونيفا » (الدقر ، ١٤٠١هـ: ص٣٦)

ويرى الإمام احمد بن حنبل ان عمل المرأة لمساعدة زوجها في متطلبات الحياة ، أو للمساعدة في قضاء حوائجها إن لم يكن لها زوج أمر لا بأس فيه ، فقد عملت إحدى زوجاته -رحمه الله - في الغزل لمساعدته في توفير متطلبات أسرته. أخبر عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو جعفر القطان ، قال: كان أيام الغلاء يجيئني أبو عبدالله بغزل أبيعه ، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف ، ربما بعته بدرهمين ، فتخلف يوماً فلما جاء قلت: يا أبا عبدالله لم تجيء أمس ، فقال: أم صالح اعتلت ، ودفع إليّ غزلاً فبعته بأربعة دراهم » وحدث صالح بن احمد بن حنبل قال: قال أبي: كانت والدتك في الغلاء تغزل غزلاً دقيقاً فتبيع الأستار بدرهمين أقل وأكثر فكان ذلك قوتنا » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢٤٥).

وهو بذلك يرى الإمام احمد ، أن عمل المرأة باليد لا بأس به ، وبروايته عن كثير من النساء - في الحديث ، يدل على جواز تعليم المرأة ، لتستفيد من ذلك في تربية أولادها تربية صحيحة أولاً ولمساعدة زوجها في متطلبات الحياة ثانياً ، وخصوصاً في وقتنا الحاضر حيث أصبح تعليم المرأة ضرورة ملحة ، لتعليم بنات المسلمين ، وكذلك لعلاج النساء بدلاً من الرجال وقد قي : طلب العلم فريضة على كل مسلم » والنساء من المسلمين - كما أنه قد روى الحديث عن الامام احمد بعض نسائه وبعض نساء طلابه.

ويمكن للباحث أن يستنتج مما تقدم أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يرى أن تعليم المرأة لأمور دينها ، ولتربية أبنائها ، ولمساعدة زوجها لا بأس منه ، ولكن بشرط أن لا يؤدي هذا التعليم إلى اختلاط النساء بالرجال ، وألا يخرج هذا التعليم عن طبيعة المرأة ، وما يحتاجه أبناء جنسها مثل التعليم أو الطب ، وغيرها. بعد تعلمها أمور دينها.

أما التعليم الذي يؤدي إلى اختلاطها بالرجال ، ومزاحمتهم في العمل أو لا يتفق مع طبيعة المرأة فإن ذلك محرمٌ ، لأنه يؤدي إلى الفتنة كما يؤدي إلى اهمالها لتربية أبنائها وبيتها ، وما ينتج عن ذلك من أضرار بالغة.

«وقد كان للإمام احمد رحمه الله مجلسان للعلم أحدهما للعامة (الرجال) في المسجد ، والآخر لأسرته وزوجاته في المنزل» (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص٢٩٨).

الأساليب التعليمية

اهتم الإمام احمد بن حنبل رحمه الله بالعلم منذ صغره ، وكان شغوفاً به ، وكان شغله الشاغل فهو لا يكل ولا يمل من طلب العلم ، وهو صاحب الكلمة المشهورة « مع المحبرة إلى المقبرة » وهذا يفيد في معرفة مدى تعلق الإمام احمد رحمه الله بالعلم . طلب العلم في بغداد ، ثم رحل داخل العراق عدة رحلات لتلقي العلم على أشهر مشايخها وعلمائها ، ثم بعد ذلك رحل إلى الحجاز ، ثم اليمن وغيرها بقصد طلب العلم ، وكان حينما تنقطع مئونته يكري نفسه للحمالين مقابل الحصول على نفقات السفر .

وبعد بلوغه شأواً عظيماً من العلم ، والإلمام بجميع جوانبه - تقريباً - وبعد بلوغه الاربعين من عمره ، جلس في مسجد بغداد لإعطاء الدروس لطلاب العلم ، وقد اشتهر بغزارة علمه وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكثر طلابه في جامع بغداد حتى بلغ عددهم ما يقارب خمسة الاف طالب منهم خمسمائة يكتبون (كما ذكر ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ:ص٢١٠).

رغم أن الإمام احمد كان يكره أن يكتب عنه مسائله ، خوفاً من أن يراجعها ثم يجد فيها خطأ ، فينشر هذا الخطأ ، ومع ذلك فكان كثير من طلابه يكتبون عنه.

وقد استخدم الإمام احمد رحمه الله عدداً من الأساليب التربوية سواء من خلال دروسه في المسجد ، أو من خلال المناظرات التي كانت تقوم بينه وبين الجهمية - وبخاصة ما كان يحضره الخليفة العباسي «المعتصم».

ويمكن للباحث أن يوجز بعض الأساليب التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل فيما يلي :

أ) المناظرة:

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، بطبعه ، ودينه ، وورعه أبعد الناس عن الجدل ، ولكنه كان يتحرى البحث عن الحق ، فإن اعتقد أنه وصل إليه التزمه ، ودافع عنه النافين له ، والمتشككين فيه ، ولكنه يعتمد في أدلته على ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد تعرض الإمام أحمد للمناظرة في كثير من المواقف منها : مناظرته مع الجهمية التي تنفي بعض الصفات لله ، والذين يقولون ان القرآن مخلوق ، فقامت بين الإمام احمد وهؤلاء المناظرات ، والتي كانت تحت اشراف بعض الخلفاء العباسيين مثل « المعتصم ، والمتوكل ...» حيث كان ينفي الإمام احمد ما يدعيه هولاء من أباطيل حول نفي الأسماء والصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما يقولونه في القرآن الكريم بأنه مخلوق ، وقد تعرض الإمام احمد بن حنبل في سبيل الدفاع عن القرآن كثير من الأذى والتعذب ، والسجن والضرب والاضطهاد ، ومع ذلك لم يخضع لهؤلاء المنحرفين ، والذين كانت قوة السلطان تزيد من قوتهم.

كما استعمل الإمام احمد بن حنبل رحمه الله اسلوب المناظرة في الرد على الزنادقة ، وفنّد آراءهم الباطله ، وما يدعونه في القرآن من أنه يناقض بعضه بعضاً ، حيث يورد الآيات التي يدّعون أنها متناقضة ثم يفسرها ، ويوضح ما فيها من التباس لديهم ، ويبين لهم بذلك أن القرآن الكريم لا ينقض بعضه بعضاً ، كما يدعيه هؤلاء الزنادقة ، وأنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد ألف الإمام احمد بن حنبل رحمه الله كتاباً خاصاً (بالرد على الجهمية والزنادقة).

وقد نَدب الإمام احمد رحمه الله لمناظرات كثيراً ، في اختياراته الفقهية التي خالف فيها في بعض الأمور الأئمة الثلاثة - أبي حنيفة والشافعي ومالك - ، وفي التزامه لعقائد في أصول الدين ومنها : أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٩٠).

«وقد تحددت قواعد هذا الاسلوب طبقاً للأسس التي قامت عليها مذاهب العصر ومناهج التفكير وطبقاً لأصول القرآن الكريم وقواعد الفقه والمعرفة » (البغدادي ، ١٣٨٩هـ: ص٤١)

ب) المذاكرة:

يستخدم الإمام احمد بن حنبل أسلوب المذاكرة ، مع بعض العلماء والمشايخ في عهده ، « وهي كثيرة في عهده ، ولا بد لكل محدث كبير أن يَذاكر ، ويَذاكَر ، وهذه المذاكرة تنبىء ، في النتيجة عمن عنده زيادات في نص بعض الاحاديث ، أو في الطرق التي تروى بها الاحاديث ، ولا بد أن يفيد كل منهم الآخر ما ليس عنده ، ومن أمثلة

المذاكرة تلك المذاكرة التي حدثت بين محدّث مصر – في ذلك العصر– احمد بن صالح وبين الإمام احمد بن حنبل » (الدقر ، ١٤٠٨هـ: ص٩١).

وكان محدث مصر قد وفد إلى الامام احمد بن حنبل ، وكان عنده من حديث عبدالله بن وهب تلميذ مالك – خمسون الف حديث فكان يجلس إلى الإمام احمد بن حنبل فيفيده ويفيد هو منه ، ويتذاكرون حتى يفرغا (الدقر ، ١٤٠٨هـ، ص ٩١).

وكان للمذاكرة أشكال فقد يجلس الطلبة ليتذاكروا فيما بينهم ، أو يجلس المحدّث ليحدث بقصد المذاكرة » (ابن عبدالبر ، ١٣٨٨هـ جـ١/١٢٢).

جـ) القراءة:

تعتبر القراءة احدى الأساليب التربوية المعروفة ، وتكون القراءة إما من الشيخ لطلابه أو من أحد الطلاب على الشيخ ، ثم يقوم المعلم بالشرح والتعليق عليها ، وقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله ، يستخدم هذا الأسلوب مع طلابه حيث يقوم بقراءة كتبه عليهم ، ثم يبدأ بشرح ما تتضمنه هذه الكتب.

والقراءة من أدوات العلم أو هي إحدى الوسائل التي يتم بها التعلم ، ولا يمكن لأي إنسان لا يستطيع القراءة أن يتعلم العلم ، ولأهميتها فقد كان أول ما نزل من القرآن الكريم هو ما يحث على القراءة قال تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (سورة العلق آية ١) وهذا يعطينا مؤشراً على أهمية القراءة ، ومدى مساهمتها في نشر العلم ، وكثيراً ما يستخدم أسلوب القراءة ، لبيان مدى تعلُّم المتعلم تكون في القرآن الكريم ، سواء كانت قراءة نظرية من المصحف ، أو قراءة غيبية وكذلك في الحديث النبوي الشريف ، لمعرفة مدى ما استطاع طالب العلم أن يلم به من هذا الفن من فنون العلم.

د) الكتابة :

تعتبر الكتابة أهم وسائل العلم ، فبدونها ، يضيع العلم ، وبها يحفظ العلم وينتشر بين الناس ، وهي الطريقة التي يعتمد عليها التعليم في جميع مراحله ، وفي كل عصر من العصور ، ولأهمية الكتابة فقد اشترط الرسول على أسرى بدر لمن يعرف القراءة والكتابة أن تكون فديته تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، يحث أبناءه على كتابة ما يتعلمونه ، وتكون الكتابة بخط واضح حتى يسهل الإنتفاع بها عند الحاجة فقد كان يقول « مع المحبرة إلى المقبرة » وكان يقول لابنه عبدالله: «اذهب اكتب في المسجد عن هولاء الشيوخ حتى تخف يدك » (ابن عماد والحنبلي ، ص٣٢).

كما كان الاهتمام بحسن الخط وجماله من الوسائل التي تسهل على طالب العلم الافادة مما كتبه ، وتحفظ العلم من الضياع فقد رأى الامام احمد بن حنبل رحمه الله احد تلاميذه – حنبل بن اسحاق – وهو يكتب بخط دقيق فقال له: « لا تفعل احوج ما تكون اليه يخونك» (إبن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢٠٤).

ولا يتصور أن يكون علم بدون تدوين ، ولأهمية التدوين والكتابة أقسم الله بأداة من أدواتها وهي: القلم بقوله تعالى « ن ، والقلم وما يسطرون » سورة القلم ، آية (١)

والكتابة هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع أن نتعرف بها على مدى ما بذله علماء المسلمين من جهود في مجال العلم ، وهي التي حفظت لنا جهودهم ، واستطعنا الاستفادة منها ، فبدون الكتابة يضيع العلم ، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة يقومون بكتابة القرآن الكريم ، كما أن الذي حافظ على سلامة القرآن وخلوه من التعديل والتحريف – بعد حفظ الله له – هو الكتابة ، كذلك الحديث الشريف الذي ساعد على بقائه وخلوه من كثير من الاحاديث الموضوعة هو الكتابة.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما رأى أن حفظ القرآن الكريم في الصدور ، لا يفي بالغرض الذي أنزل له القرآن ، ولما قد يسببه ذلك من ضياعه ، خصوصاً بعد الحروب التي قامت بها الدولة الإسلامية في ذلك العصر مثل حروب الروم عن طريق

جيش أسامة بن زيد بن حارثة ، أو حروب المرتدين وغيرها وما استشهد في هذه الحروب من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم ، أمر الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد طلب بعض الصحابة بتدوين القرآن الكريم. وكذلك ما فعله عثمان بن عفان عندما انتشر الاسلام في بلاد فارس وغيرها ، واصبح كل قوم يقرأون القرآن بلهجتهم ، فكتب القرآن الكريم وجمعه من الرقاع التي كتب فيها أبو بكر القرآن وجعله بلغة واحدة ثم وزعه على البلدان الإسلامية ، فالكتابة مهمة جداً في حياتنا ولا يستمر العلم ويبقى ما أبدعه الأولون من علم إلا عن طريق الكتابة.

هـ) المراسلة.

المراسلة هي إحدي الأساليب العلمية ، وهي معروفة منذ القدم وقد استعمل هذا الأسلوب نبي الله سليمان عليه السلام ، عندما أرسل الهدهد إلى ملكة سبأ باليمن يدعوها إلى الإسلام ، والدخول في دين الله ، والتخلص من الشرك ، وقد وردت تلك القصة كاملة في القرآن الكريم في سورة «النمل» (من آية ١٩ – ٤٤).

يدلنا هذا على قِدَم استخدام هذا النوع من الأساليب التربوية سواء للدعوة إلى الله أو للإجابة على مسألة ، بين عالمين واختلفت وجهات نظرهما حيالها ، أو استفسار طالب علم من شيخ.

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استخدم هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله ، حيث أرسل رسله إلى الملوك والحكام بكتبه يدعوهم فيها إلى الدخول في دين الله ، وترك ما هم عليه من شرك ووثنية « ومنهم ، كسرى ملك الفرس ، وقيصر ملك الروم ، وغيرهم » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص٢٠٧).

وقد استعمل الإمام احمد بن حنبل رحمه الله هذا الأسلوب من خلال الرسائل التي بعث بها ، سواء إلى الخلفاء العباسيين في ذلك الوقت مثل « الخليفة المتوكل » حينما أرسل إلى الإمام احمد بن حنبل يسأله عن القرآن أمخلوق هو ؟ فرد إليه الإمام احمد بما يراه وما يعتقده حول القرآن ، وأنه كلام الله وليس مخلوقا ، مستشهداً بالآيات ، والأحاديث ، وأقوال المشاهير من العلماء » (ابن حنبل ، ١٣٤٩هـ: ص١٩).

وقد يختلف أسلوب المراسلة بحسب حال المرسل اليهم فعند مخاطبة الخلفاء والعلماء الأجلاء ، تشمل هذه الرسائل على الدعاء لهم كما فعل الإمام احمد بن حنبل حينما ارسل الى (المتوكل) الخليفة العباسي حيث شملها ببعض الدعاء قال فيه: « وإني أسأل الله أن يطيل بقاء أمير المؤمنين ، وأن يثبّته وأن يمده بمعونة منه ، إنه على كل شيء قدير » (ابن حنبل ، ١٣٤٩هـ: ص١٩).

أما إذا كانت الرسالة موجهة إلي من هم في مستوى المرسل أو أقل منه فغالباً ما تشمل النصح والإرشاد والمواعظ مثل الرسالة التي أرسلها الإمام احمد بن حنبل إلى سعيد بن يعقوب « يقول أبو غياث الطالقاني سمعت سعيد بن يعقوب يقول: كتب إليّ احمد بن حنبل « بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن محمد إلى يعقوب أما بعد: فإن الدنيا داء والسلطان داء ، والعالم طبيب ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلي نفسه فاحذره والسلام عليك » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ ٢٠٧).

وقد استعمل الإمام أحمد بن حنبل أسلوباً مختلفاً في الرسائل حيث كان يكتب عنوان الكتاب إلى ابي فلان خلافاً لمن كان قبله الذين كانوا يكتبون لأبي فلان وحينما سئل عن ذلك قال « النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر ، كما كتب عمر بن الخطاب – يشير الى أنهما كانا يتبعان نفس الاسلوب إلى فلان من فلان » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص ٢٠٧).

وقد تكون الرسالة للاستفادة من علم الشيخ بسؤاله عن مسألة أو حكم لا يعرفه السائل أو يرغب في التأكد من صحته.

و) التقريب وضرب الأمثلة:

يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب التربوية التي يستخدمها المعلم لتقريب وتوضيح ما يريد تعليمه لطالبه ، ويستخدم الأمثلة التوضيحية لذلك ، وقد استخدم الإمام احمد بن حنبل رحمه الله هذا الاسلوب في الرد على الجهمية ، في إنكارهم صفات الله سبحانه وتعالى وفي قولهم « لا تكونوا موحدين ابداً حتى تقولوا كان الله ولا شيء » فاستخدم معهم أسلوب التقريب لتوضيح مدى الخطأ الكبير الذي وقعوا فيه بإنكارهم صفات الله ، التي وصف بها نفسه في كتبه وعلى ألسنة رسله ، حيث قال لهم: « نحن نقول قد

كان الله ولا شيء .... ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلاً ، فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع ، وكرب وليف وسعف وخوص ؟ واسمها شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله ، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد » (ابن حنبل ، ١٤٠٢هـ، ص٣٧)

ز) الرحلة:

لقد كان للرحلة عند الإمام احمد بن حنبل رحمه الله في طلب العلم أثر كبير ، وفوائد عديدة ، في حصوله على العلم من مصادره الأساسية ، مشافهة من العلماء الذين اشتهروا به فقد قام بعدة رحلات داخلية في العراق حيث رحل إلى الري ثم إلى واسط ، وإلى البصرة خمس مرات ، كما خرج إلى الكوفة ورحل إلى مكة عدة رحلات تقابل في إحداها مع الإمام الشافعي ودرس عليه ، ثم قابله للمرة الثانية عندما سافر الشافعي إلى بغداد . كما قام برحلة إلى اليمن للأخذ عن عالمها « عبدالرزاق بن همام » وكان قد قابله في مكة ولكنه فضل أن يرحل إلى اليمن ، ليقابله هناك ، وقد انقطعت به مئونته خلال تلك الرحلة فاكرى نفسه للحمالين ، حتى يحصل على مصروفه حتى وصل إلى اليمن وأخذ عن عالمها . يقول سليمان بن أحمد حدثنا عبدالله بن احمد حدثني ابراهيم الدورقي قال: « لما قدم ابن حنبل مكة من عند عبدالرزاق ، رأيت به شحوباً ، وقد تبين عليه أثر النصب والتعب ، فقلت .. يا أبا عبدالله ، لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبدالرزاق. فقال « ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبدالرزاق » (الأصبهاني ، ١٣٥٧هـ: ص١٨٤)

«والرحلة أسلوب تربوي قديم ، فقد اتخذ المحدثون في آواخر القرن الهجري الأول ، وفي القرن الهجري الثاني – من الرحلة أسلوباً أساسياً في طلب العلم واشترطوا أن يرحل الطالب إلى المعلم وأن يأخذ عنه العلم مشافهة » (الكيلاني ، ١٤٠٥هـ: ص٩٩).

وقد جعل العلماء المسلمون يتخذون من الرحلة وسيلة للحصول على المعرفة رغبة منهم في الحصول على الثواب من الله بالإضافة إلى الحصول على المعرفة من مصادرها وفي فضل الرحلة في طلب العلم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وإن طالب العلم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بخط وافر » (رواه ابو داود ، ١٣٩٣هـ: ٤/٥٨).

ح - أسلوب الأسئلة:

وفي هذا الأسلوب يقوم طالب العلم بتوجيه سؤال أو أكثر للعالم – المعلم – ثم يتولى العالم الإجابة عليها بتوضيح ما تشتمله هذه الأسئلة من أحكام ، أو بيان هذه الأحكام ، أو توضيح ما خفي على السائل من معلومات ، فيجيبه عليها بأسلوب علمي واضح معتمداً على أسس علمية ، فإذا كانت الأسئلة عن العقيدة الإسلامية ، وآدابها وأحكامها ، كان على العالم ، أن يجيب عليها مستنداً إلى ما جاء في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة ، إذ هما الأساس لعقيدتنا الإسلامية ، مع توضيح الدليل الذي اعتمد عليه في إجابته ، وأما إذا كانت الأسئلة عن بعض المعلومات الحديثة ، مثل الرياضيات مثلاً ، فعلى المعلم أن يعتمد في إجابته علي قوانين واضحة ، ويقدم شرحها بأسلوب يناسب حالة السائل ، ويوضح الخطوات التي يتبعها حتى يصل إلى الجواب الصحيح.. في الرياضيات . أما غيرها من العلوم ، فيعتمد على ما ذكر في المرجع الأفضل لهذا النوع من العلم ، مع تحديد هذا المرجع للسائل ، ليتمكن من الرجوع اليه في حالة طلبه الاستزادة من المعرفة.

أما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقد إهتم كثيراً بهذا النوع من الأساليب التربوية . قال أبو حاتم الرازي ، سمعت أبي يقول «أتيت أحمد بن حنبل في أول ما التقيت به سنة ثلاث عشرة ومائتين ، فإذا قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب الأشربة وكتاب الإيمان فصلى فلم يسأله أحد ، فرده إلى بيته » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ: ص١٩٠)

وهذا يدلنا على أن الإمام احمد بن حنبل يبدأ درسه –عادة– بسؤال يوجه اليه ، فعندئذٍ يبدأ في الحديث أو الفتيا . وقد سئل الإمام احمد بن حنبل عن مسائل كثيرة ، أجاب فيها حتى إن ابنه «عبدالله » الف كتاباً في مسائل الإمام احمد بن حنبل شمل عدداً كبيراً من المسائل. وقال عبدالوهاب الوراق «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، قيل له ، وإيش الذي بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة ، فأجاب فيها بأن قال «حدثنا » و «أخبرنا » (ابن ابي يعلى،١٣٧١هـ. ١/١٩٩).

المنهاج عند الإمام أحمد

يمكن أن يحدد المنهاج عند المفكر الغايات والأهداف التربوية التي يراها ، ويعمل على تحقيقها ، ويوضح الأسس والقواعد التي ينطلق منها ذلك المفكر ، كما يحدد اتجاهاته وما يطمح في تحقيقه ، والإمام احمد بن حنبل رحمه الله أحد أولئك العلماء الأفذاذ في زمانه وقد اكتسب بغزارة علمه ، وسعة أفقه ، وإخلاصه لدينه ، اكتسب شهرة واسعة ، جعلته أحد الأئمة المشهورين ورابعهم ، وقد اعتمد في منهجه على ما جاء به القرآن الكريم ، وعلي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، وتعد هذه الأسس هي الأصول التي ينبغي للمتعلم أو المعلم ، أن يعتمد عليها وأن يسعى لتحقيقها ، وإن هذا هو الأجدر تعلمه ، لا سيما وأنه اتسعت آفاق العلم وعلومه في تلك الفترة التي عاشها الإمام احمد بن حنبل ، وترجمت فيه كثير من الكتب غير العربية إلى اللغة العربية ، واشتهرت الفلسفة والمنطق في عهده ولكنه يرى أن الاعتماد في التعليم يجب أن يكون على ما جاء به القرآن الكريم ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم حيث يقول: « لا أرى الكلام إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن الصحابة ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود » (ابن حنبل ، ١٣٤٩هـ: ص١٩).

وكان من مظاهر اهتمام الإمام احمد رحمه الله بالقرآن والسنة ، أنه قد أجاب في ستين ألف مسألة ، بقال الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم » (الدقر ، ١٤٠٨هـ:ص٥١)

ويرى الإمام احمد في المنهج أن يراعي السن للطالب ، ومستواه العقلي ، حيث يراعي المنهج التدرج من السهل إلى الصعب ، « حيث تتناسب هذه المناهج مع سن الطالب ، وتتدرج مع سنه (ابن بدران ، ١٤٠١هـ: ص٤٨٥)

وأول ما يبدأ به الطالب طلبه للعلم علوم الدين: أولاً: القرآن الكريم لأنه اساس عقيدتنا وهو المنهج الذي ربى به الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته ، ولم يكن اعتماد تربيته لأصحابه علي القرآن الكريم وحده « لقصور او لعجز في الثقافة أو

الأدبيات التي يمكن أن يستعين بها في تربية أصحابه ، حيث كان هناك الحضارات المختلفة مثل: الرومانية ، الفارسية ، المصرية ، وغيرها ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نظر فيها وفي حالها ونتائجها ، ورأى أنها لا تصلح لتربية الرجال كما يصلح القرآن الكريم ، لذا اقتصر في تربيته لأصحابه على القرآن الكريم .

كما كان مصدر تربية الصحابة رضوان الله عليهم السنة ، التي سنها الرسول الكريم ، والسنة هي قبس من القرآن الكريم ، ومفسرة له. وهذا المنهج هو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسنتي ».

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يرى أن يبدأ طالب العلم بالقرآن أولاً ثم الفرائض والحديث .... فقد قال حين صار له أن يفتي ، وسئل ايما أحب اليك ، أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث : قال: بالقرآن ، فقيل أعلمه كله ؟ قال: الا أن يعسر عليه فتعلمه منه إذا قرأ تعود القراءة ولزمها » (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ: ص٥٨).

فالامام احمد بن حنبل رحمه الله يرى أن يبدأ طالب العلم بتعلم القرآن الكريم ، ثم الحديث الشريف ، وبعدها يمكن له تعلّم ما يشاء من العلوم الإسلامية ، ولم ير الإمام احمد بَدأ حين يعسر القرآن كله على الحفظ ، من أن يتعلم المسلم من القرآن الكريم والعلم النافع ما لا غنى له عنه في صلاته.

إن طلب العلم يشمل فنوناً كثيرة يتعلمها طالب العلم ، ثم يتسع في فنه الذي يريد أن يكون أحد العلماء البارزين فيه ، وهو ما نسميه في عصرنا الحاضر (التخصص الدقيق) وهذا التخصص لا يأتي إلاّ بعد زمن طويل من الجمع والتحصيل والتثقيف

« ويبدو أن الذين امتازوا في تلك الأزمنة على غيرهم جمعوا أكثر من فن ، ولم يرضوا لأنفسهم بما هو دون الغوص إلى كل قرار يمكن البلوغ إليه ، حتى لقد صار طابعاً لكل من يطلب أن يكون له قدر بين العلماء » (شذرات الذهب ١٥/٢).

والإمام احمد بن حنبل رحمه الله حينما جعل المنهج الذي يسير عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، إنما كان ذلك هو ما كان لتلك التربية النبوية للصحابة

رضوان الله عليهم من أثر في حياتهم ، وتعديل سلوكهم ، وتغير حالتهم من حالة البداوة ، إلى أن اصبحوا ، سادة الدنيا ، في شتى المجالات ، في القيادة العسكرية وفنها ، وهم لم يتخرجوا من مدارس أو كليات عسكرية ، فقد تفوقوا على أعدائهم رغم قلة عدد جنودهم وقلة سلاحهم مقابل ما عند أعدائهم. ولكنهم صدقوا الله فصدقهم.

كما تغلبوا في مجال السياسة وإدارة شئون الدولة الإسلامية منذ تأسيسها وهم لم يتخرجوا من كليات سياسية أو غيرها.

كما تفوقوا في مجال التعليم مع أنهم لم يتخرجوا من الجامعات ولم ينالوا الدرجات العلمية والشهادات العالية ونجحوا في الزراعة ونشر حضارتهم الاسلامية في البلاد التي فتحوها وهم لم يتخرجوا من مدارس زراعية أو صناعية أو غيرها.

انما تحقق لهم كل ذلك بفضل الله أولاً ، ثم بفضل المنهج التربوي الذي استخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام في تربيتهم. على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ثم أين كانوا يتلقون تعليمهم من أستاذهم رسول الله عليه الصلاة والسلام - هل كانوا يتلقونه في الجامعات الفخمة والمدارس المؤثثة بأنواع المقاعد الفارهة - والطرق التربوية الحديثة - وتوفر جميع الوسائل المفيدة في التعليم من وسائل ايضاح بصرية ، وسميعة ، وغيرها..؟

إنهم كانوا يتلقون تعليمهم في المسجد على بساطةٍ في بنائه وتأثيثه، ذلك المكان الذي تخرج منه قادة الدنيا ، وكبار العلماء والمربين يجلسون معه على الحصر ، ويتعلمون القرآن الكريم من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم كانوا يطبقون ما يتعلمون من القرآن تطبيقاً عملياً في كل شئون حياتهم. ثم تبعهم التابعون وتابع التابعين - وتخرج من هذه المساجد كبار علماء الأمة المشهورين بعد الصحابة والتابعين أمثال: أحمد بن حنبل، مالك بن أنس ، ابن تيمية ... وغيرهم. وفي هذا رد على بعض الناس « الذين يعتقدون ويتصورون أن التربية هي توفير ما يحتاج اليه الطالب من مأكل ومشرب ووسائل تسلية وترفيه وخلاف ذلك من ماديات الحياة التي لا يستفيد منها في المقام الأول إلا الجسد، لذا نجدهم يبذلون الكثير من الأوقات والجهد والمال في

توفير ماديات الحياة ظناً منهم أن هذا يودي إلى تحقيق التربية الصحيحة ، وهم مقصرون في تزويد الروح والعقل بغذائهما ، ان الطريق الصحيح للتربية يبدأ بتربية الروح والعقل ، لأن الأصل في الإنسان الروح لا الجسد ، وغذاء الروح موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإن نجاحنا في تربية الأجيال مرهون بسلامة المنهج وهو كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ووجود القدوة ، والقدوة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله.

الزامية التعليم

العلم نور ، وبه يهدي الله الناس إلى الحق ، والجهل ظلام ، ويعتبر التعليم الوسيلة التي تنير بها العقول ، وتصقل المواهب ، وقد مدح الله المتعلمين بقوله تعالى « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » سورة الزمر ، آية (٢٩) وقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (سورة فاطر ، آية ٢٨)وقوله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات » سورة المجادلة آية (١٠) وقوله تعالى « وقل رب زدني علماً » سورة طه آية (١١٣)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم. وقوله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقه في الدين » رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم: « مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلا والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها انما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » رواه البخاري ومسلم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: إن الله ليرفع بهذا الكتاب قوماً ، ويضع به آخرين ، فلينظر كيف رفع العلم مولى من موالي العرب إلى مقام عليتهم وأشرافهم ، وجعله والياً عليهم وحاكماً فيهم ، يدينون له بالطاعة ، ويعترفون له بالفضل والولاء » (الجزائري ، ١٤٠٣هـ:ص١٧)

إن فضل العلم عظيم ، وإن شرفه لعال رفيع ، فكم من وضيع رفعه العلم الى مصاف الشرفاء » (الجزائري ، ١٤٠٣هـ: ص١٧)

« لذلك يرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن التعليم إلزامي على الجميع وخصوصاً ما يتعلق بتعليم كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة الواجبات والفرائض ، وكيفية ادائها يقول الامام احمد بن حنبل في ذلك « فتعليم الجاهل واجب على العالم ، لازم له ، لا بدل له منه ، لأنه لا يكون الويل للعالم من الجاهل ، حيث لا يعلمه تطوعاً

لأن الله لا يؤاخذ على ترك التطوع ، وانما يؤاخذ على ترك الفرائض » (ابن حنبل ، ١٣٤٧هـ: ص٢٠).

ويقول الامام احمد بن حنبل رحمه الله « فاتقوا الله في تعليم الجاهل ، فإن تعليمه فريضة ، واجب لازم ، والتارك لذلك مخطيء وآثم » (ابن حنبل ، ١٣٥٦هـ: ص٢).

ولذى فالتعليم اللازم هو ما يستطيع الانسان به معرفة دينه ، وكيف يؤدي عباداته ، بشكل يوافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما أخبر به عن ربه.

وبالعلم يرفع الله أقواماً ، ويضع به آخرين ، فكم من شخص عادي رفعه علمه إلى مصاف كبار العلماء والرجال المرموقين في المجتمع ، وكم من سليل أسرة عريقة أهمل العلم وأعرض عنه أصبح لاقيمة له بين الناس :

يقول الشاعر :

العلم يرفع بيتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف.

وديننا الاسلامي يحثنا على طلب العلم والإستزاده منه ، وكما يقال: أطلب العلم من المهد إلى اللحد »

وعن فضله وأهميته « أخرج مالك في الموطأ بلاغاً فقال: إن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : يا بني جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك فإن الله ينير القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء » السيوطي ، د.ت. ٣/١٦١) .

فها هو لقمان الحكيم يوصي ولده بالخير ويحثه عليه ، ويأمره بطلب العلم ، ومجالسة العلماء لما لهم من الفضل ، وما يكسبه من علمهم ، كما أمره بمزاحمة الناس على طلب العلم ، والمزاحمة للناس ، تكون غير مرغوب فيها ، ولا يريدها الإنسان ، ولكن عند طلب العلم إذا لم يكن منها بد ، فهي محمودة ومرغوبة ، وقد شبه العلم لاحيائه القلوب ، وشرح الصدور ، وإنارة طريق الحق لطالبه وحامله ، شبهة بالمطر الذي يحي الله به الأرض بعد موتها.

لذا فالواجب على طلاب العلم الحرص على طلبه ، والسهر على ذلك وخصوصاً في

مستقبل أعمارهم ، قبل انشغالهم بمشاغل الحياة ، الفرصة أمامهم مواتية ، وأبواب العلم لهم مفتوحة ووسبله لهم ميسرة ، ولم يبق إلا شحذ الهمم والتشمير عن السواعد ، والمسارعة في طلب العلم ، ليحصل لهم شرف الدنيا والآخرة إذا قصدوا بعلمهم وجه الله وثوابه.

وحيث أن العلم نور كما قيل يخرج صاحبه من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة ، وهو الذي ينير الطريق الحق لسالكيه ويعرف به ما أحل الله له وما حرمه وهو ملزم لكل مسلم ومسلمة ، لما له من أثر في حياة الفرد والمجتمع فقد أوصى به الإمام احمد بن حنبل فقال « عليك بالفقه » (ابن حنبل ، ١٣٤٠هـ: ص٤٧).

الفصل الرابع

جوانب الإستفادة من الأفكار التربوية عند الإمـــام أحـــمـــد بن حنبل

- فلسفة التربية.
- أهداف التربية.
- آداب المعلم.
- آداب المتعلم. (طالب العلم)
- طريقة التدريس.
- تعليم المرأة.
- الأساليب التربوية.
- المنهاج عند الإمام أحمد.
- إلزامية التعليم.
- واجب المجتمع. تجاه المعلمين وطلاب العلم.

(سبق تعريف الفلسلفة عند د/محروس مرسي ، ص٩١). حيث ذكر أن التربية والفلسلة وجهان لحقيقة واحدة قوامها الإنسان.

«وتستعمل التربية في توصيل ونقل الأفكار للأجيال الناشئة في المجتمعات الناهضة» (د/ناصر ابراهيم ،١٤٠٦هـ:ص١٨). ويعرف آخر التربية فيقول: «إن التربية عملية التكيف أو التفاعل بين المتعلم وبيئته التي يعيش فيها» (د/ابراهيم ناصر ، ١٤٠٦هـ: ص١٥).

وقد أورد النحلاوي ، ١٣٩٩هـ) عدة تعاريف للتربية منها «عن الراغب الاصفهاني «التربية هو إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حد التمام» و «التربية تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً» (ص١٧).

يعرّف (فينكس ، ١٩٨٢م) الفلسفة «بأنها طريقة من طرق النظر إلى المعرفة التي لدينا ، وهي تتضمن تنظيم وتفسير وتوضيح ونقد ما هو موجود بالفعل في ميدان المعرفة والخبرة» (ص٢٤).

من ذلك يتبين أهمية التربية وفلسفتها «بأنها إحدى الطرق التي تستخدم لنقل المعرفة ، من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة ، باستخدام ما يناسب هذه الأجيال من وسائل وطرق» ، وتهدف بذلك إلى مساعدة الأجيال اللاحقة على زيادة وبناء ثقافتهم وشخصياتهم والعمل على تحقيق الأهداف التي وضعها المسئولون عن التربية في بلد ما.

والتربية ضرورية للفرد منذ ولادته ، حيث تهتم به أسرته وتقدم كل ما يساعد على نموه النمو الصحيح ، ثم تتولى المدرسة عملية التربية والتعليم بعد ذلك.

ونظراً لأهمية التربية في الإسلام فقد إهتم الرسول ﷺ بتربية أبناء المسلمين التربية الصالحة ، من مصادرها الأصلية وأول مصدر لها وأعظم مصدر هو القرآن الكريم فقد إهتم القرآن بتربية الإنسان في الجانب الروحي وفي الجانب الجسمي ، فاهتمت التربية الإسلامية بالجانبين معاً ، ولم تهتم بجانب على حساب الجانب الآخر ، وقد كانت تربية الرسول ﷺ لأصحابه خير دليل على ذلك. وقد اقتصر الرسول ﷺ في تربية أصحابه على القرآن الكريم لعلمه أنه الأنسب لهم والصالح لهم ، ولأن الرسول

عليه الصلاة والسلام كان يريد أن يصنع جيلاً خالصاً في التصور والشعور والتكوين من غير مؤثر آخر غير القرآن الكريم ، لذا نجح عليه الصلاة والسلام وكانت النتيجة أن استطاع أن يضع جيلاً كل منهم قرآن يمشي بين الناس ، رغم قلة الإمكانيات المادية الموجودة في ذلك العصر ، وكان المسجد -ببساطته- هو المدرسة التي تخرج منها صحابة رسول الله ﷺ ، فتخرج منها العلماء ، والمحدثين ، والفقهاء ، وتخرج منها كبار الساسة ، وكبار القادة في ذلك العصر ، كما تخرج من المسجد أولئك الجنود الذين بذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ولنشر دينه ، وكانوا مخلصين في ذلك فنصرهم الله على أعدائهم ، رغم قلة عددهم ، وعتادهم ، إذن فالأمور المادية ليست أساساً في التربية ولا تقوم التربية إلاّ بها ، «بعض الكتاب يركز على الماديات ، ويقول إنها ضرورية وملحة ، ولن تنجح التربية إلاّ إذا توفرت الأسباب المادية ، ويغضون الطرف عن المبدأ التربوي والمنهج» ، وكان الرسول ﷺ يربي أصحابه في المسجد ، ذلك المسجد المتواضع البنيان في عهد الرسول ﷺ ، وكان جامعة عظيمة تخرج منها خير أجيال البشرية - غير الأنبياء والمرسلين أمثال: ابو بكر وعمر ، خالد بن الوليد ... الذين كانوا خير البشر والذين زكاهم الله ، وزكاهم رسول الله ﷺ بقوله: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ... الحديث» وقوله ﷺ «لا تسبوا أصحابي فوا الله لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه» (البخاري ، ٥/٧)

كما تخرج من المسجد علماء الأمة وفقها ؤها فيما بعده أمثال: الإمام أحمد بن حنبل ، مالك بن أنس وابن تيمية وابن القيم ... وغيرهم.

فقد كانت التربية في عهد الرسول ﷺ تهتم بالجانبين الروحي والعقلي.

أما التربية الحديثة فقد إهتمت بالماديات وتوفير جمع الوسائل المعينة لنشر العلم من مباني مدرسيه فاخرة وتأثيث جيد ، وملاعب مختلفة ، إضاءة جيده وتهوية ممتازة ... وتوفير الوسائل التعليمية والمختبرات ... ولكن هذه التربية لم تنجح كما نجحت التربية في عهد رسول الله ﷺ - كما يرى الباحث -.

والنتيجة واضحة كيف كان جيل الصحابة والتابعين الذين تربوا في مدرسة الرسول ﷺوعلى منهجه «القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة» كيف كانت حياتهم ، وأخلاقهم وتعاملهم مع بعضهم ومع أعدائهم ، واليوم ننظر في طلاب العلم ، كيف أخلاقهم ؟ كيف تعاملهم مع أساتذتهم ومعلميهم ؟ كيف تعاملهم مع كبار السن ؟

والنتيجة العامة ما أصاب المسلمين ويصيبهم في كل يوم من اضطهاد على يد اعدائهم ، واعتداء على حرماتهم ، وأموالهم ، وأرواحهم في كل بلد من البلاد التي يعيشون فيها غير البلاد الإسلامية ، انتهكت مقدساتهم وحرماتهم ، وأصبحوا أذلة بعد أن كانوا أعزة وإن خلاص المسلمين مما هم فيه يعود أولاً واخيراً إلى التربية والمنهج التربوي الذي يربون عليه - كما يرى الباحث وهو - ذلك المنهج الذي ربى عليه الرسول ﷺ صحابته عليه ، وأن يتمسكوا بدينهم - ففيه عزّهم ونصرهم.

من هذا نتعرف على فلسلة التربية التي كانت عند الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وفلسفتها في العصر الحديث ويمكن الإستفادة من ذلك في :

النظرة للعلم في عصر الإمام أحمد بن حنبل على أنه عبادة ، وأهمية العلماء واحترامهم ، وأن فلسفة التربية في عهد الإمام أحمد بن حنبل هي امتداد للتربية الإسلامية التي كان الرسول ﷺ يربي عليها أصحابه، وهكذا تبعه الخلفاء الراشدون والصحابة وتابعوهم.

أما النظرة للعلم اليوم فهي تختلف عن نظرة المسلمين الأوائل ، ولذا نجد أن نتاج هذه التربية يختلف عن نتاج التربية الإسلامية السابقة - كما يرى الباحث - من حيث احترام العلم ، وتوقير العلماء ، والاهتمام بالعلم طلباً للأجر والمثوبة من الله.

أ- أهداف التربية

«لقد فطنت المجتمعات الحديثة إلى أهمية التربية فأولتها كل الاهتمام والعناية ، وخصصت لها المال والجهد ، وأعدت الخبراء والمتخصصين ، لذا تحتل التربية مكاناً فذاً لم تحتله في أي عهد من العهود كما تحتله اليوم » (د/ابراهيم ناصر ، ١٤٠٤هـ:ص٢٣)

«وتختلف أغراض التربية باختلاف المجتمعات ، ودرجة تقدمها ، والظروف الاجتماعية والدينية والسياسية التي تحكمها » (د/ابراهيم ناصر ، ١٤٠٤هـ:ص٢١)

والتربية الحديثة تهتم بالجانب النظري إهتماماً كبيراً ، بينما تهمل الجانب العملي التطبيقي ، أما التربية الإسلامية فإنها تهتم بالجانبين معا ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺلا يتجاوزون تعلم عشر آيات من كتاب الله حتي يحفظونها ويطبقونها في حياتهم ، وقال الإمام احمد بن حنبل رحمه الله «ما كتبت حديثاً إلاّ قد عملت به » (ابن حنبل ، ١٣٦٥هـ: ص٧٣)

ويقول الإمام احمد ايضاً « صاحب الحديث عندنا من يعمل به » (الجندي ، ١٣٩٠هـ: ص١١١) فالتربية في عهد الإمام أحمد بن حنبل امتداد للتربية في عهد الرسول ﷺ وعهد صحابته والتابعين ، الذين كانوا يطبقون كل ما يتعلمونه معتمدين في ذلك علي ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة النبي محمد ﷺ حيث يقول تعالى

«يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (سورة الصف ، آية ٢ , ٣)

وفي قوله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك » (سورة محمد ، آية ١٩)فبدأ بالعلم لذا يرى -الباحث – أن على المربين أن يهتموا بالجانب العملي «التطبيقي » في تعليم أبنائهم الطلاب وخاصة في مسائل الدين مثل الوضوء والصلاة ، صلاة الجنازة ، العيدين ، لأن ذلك أدعى إلى ثبوت المعلومات ورسوخها في أذهانهم ، أما العلم النظري فقط فذلك لا يحقق الفائدة المرجوة وإنما يكون لأداء الامتحان فقط ، وكثير من طلاب العلم ربما تخرّجوا من المرحلة الثانوية وهم لا يجيدون صلاة الجنازة أو صلاة العيدين أو صلاة الإستسقاء ، والسبب في ذلك كما يرى الباحث هو عدم الاهتمام بالجانب

التطبيقي في أمور العبادات في المدارس ، وربما يعود ذلك لتقصير بعض المعلمين ، ولربما يكون السبب عدم وجود أماكن بالمدارس يقوم التلاميذ بالتطبيق فيها ، ولكن لو وجد إهتمام بالجانب التطبيقي من قبل المسئولين في التعليم لاستطاعوا القضاء على السلبية الناتجة في هذا الجانب ، ولأوجدوا الحلول المناسبة ، فإذا كان التقصير من جانب المعلمين يقوم الموجهون بالتركيز على هذا الجانب ومطالبة التلاميذ أن يقوموا بأدائها عملياً ، أما إذا كان السبب عدم وجود المكان الملائم ، فبإمكانهم أن يتشاوروا مع مدير المدرسة لإيجاد مكان مناسب.

كذلك يرى الباحث من سلبيات التربية الحديثة عدم اهتمام أولياء الأمور بأبنائهم. فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما أصبح أباً وجداً آثر الاهتمام بأبنائه على نفسه ، وفضل البقاء معهم دون أن يبتعد عنهم حتى في طلب العلم ، لأنه اعتاد على البقاء مع ابنائه وهم اعتادوا بقاءه الي جوارهم ، فاصبح لا يطيق فراقهم وهم كذلك» (سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ، ص٢٦٩)

كذلك يرى الباحث أن كثيراً من الأبناء في عصرنا الحاضر «لا يحسنون استقبال الضيوف ، بل قد لا يعيرونهم أي إهتمام ، ولا يقومون بحق الضيافة ، من حَسن استقبال ، وتقدير واحترام ، والرسول ﷺ قد حث على إكرام الضيف بقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» (متفق عليه ، البخاري ١٠/٣٧٣ ، مسلم ص ٤٧).

«وقد كانت التربية في العصور الأولى من الدولة الإسلامية تعمل على إعداد الانسان لا المواطن ، الانسان المستَخلَف عن الله في الأرض على مفهوم وحدة الدين ووحدة الجنس وتوحيد الله ، كانت التربية في تلك العصور تركز على بناء الاخلاق بعد بناء عقيدة التوحيد. إن لتربية العقيدة والأخلاق أثرها العميق في تكوين الشخصية» (الجندي ، ١٤٠٢هـ: ص١٥٤).

وقد كان الرسول ﷺ يستخدم مع أصحابه التطبيق العملي في تعليمهم الصلاة ، والوضوء وغيرها من العبادات ، فعلى المربي أن يتوضأ مثلاً أمام طلابه ، وضوءاً سابغاً وهم ينظرون اليه ، ثم يطلب منهم أن يتوضؤا وضوءه أو يصفوا جميع حركاته ... وفي

هذا اقتداء بأسلوب من أساليب التربية الاسلامية ، نقل إلينا عن أصحاب رسول ﷺ بتوجيه منه » (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ: ص٢٣٩)

« إن هدف التربية الاسلامية هي كيف يمكن مساعدة الإنسان ليؤدي مهمته كمستخلف لله في الأرض ، وهي المهمة التي نص عليها القرآن الكريم فالتربية المسيحية التي تبنى عليها عمد التربية والأخلاق وفلسفة الحياة البشرية كلها ، وتربية مادية مستمدة من مفاهيم التلمود حيث تهدم عمادين اساسيين في التربية الاسلامية هما المسئولية الفردية ، وما يتبعها من الالتزام الأخلاقي والجزاء الأخروي ، ونظرتها إلى الإنسان علي نحو مادي حيواني وعلى نمط جزئي انشطاري ، مادة وليس روحاً ، جسداً وليس نفساً ، ومن شأن هذا كله أن يعمق الفوارق بين النظرية الغربية والنظرية الإسلامية في أدق مفاهيم العلم والتعلم ، فضلاً عن مفاهيم التربية والأخلاق » (الجندي ١٤٠٢هـ، ص١٨٧).

آداب المعلم

كـان الرسـول ﷺ أول معلّم في الإسـلام ، فقد كـان عليه الصلاة والسـلام يعلّم أصحـابه أمور دينهم ، ويقـرئهم القرآن الكريم ، وكـان الصحـابة رضوان الله عليهم ، يهتمـون بالتـعليم ويحرصون على حفظ كل شيء عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال ، ويحرصون على تطبيقها عملياً في حياتهم ، واستمر المعلم مصدر إشعاع في المجتمعات الإسلامية عبر العصور والأزمان ، وكان التعليم في بداية الإسلام يتركز على القرآن الكريم وما يهم المسلمين في حياتهم من صلاة ، وصيام ، وحج ..... ومع تقدم العصور بدأت النظرة تختلف وبدأت فروع العلم تتنوع ، وظهرت علوم دنيوية لم تكن معروفة من قبل ، وزادت حركة الترجمة من اللغات والحضارات الأخرى مثل : اليونانية ، والفارسية ، والرومانية ، الهندية ... إلى اللغة العربية ونتج عن ذلك معارف جديدة وعلوم حديثة لم تكن معروفة مثل : الفلك ، علم الكلام ، الرياضيات ، الطب .... وكان العصر العباسي بداية ظهور هذه العلوم ، وبرز عدد من العلماء في كل مجال من هذه المجالات.

ولأهمية العلم وللشرف العظيم لمن يحمله ويعلمّه غيره فقد وصف الرسول ﷺ نفسه بأنه معلم قال عليه الصلاة والسلام «إنما بُعثتَ معلماً».

ولفضل العلم ومكانته وعظيم أجر العلماء يقول الرسول ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».(إبن ماجه ، حديث ٢١١ ،ص٧٦).

وفي العصر الحاضر اهتمت الأمم بالمعلم ، لدوره المهم ، باعتباره أحد العناصر الرئيسة التي يقوم عليها التعليم ، وعليه يتوقف نجاح العملية التربوية ، وتحقيقها للأهداف التي يُرجى منها ، وبلوغ غاياتها ، في تقدم الدول ونهضتها في جميع المجالات ، وارتفاع مستوى الثقافة عند أفرادها ، وهو الذي يقوم بتنفيذ ما يضعه الخبراء والمخططون ، من خطط وبرامج لتطوير العملية التعليمية وتحسين آدائها ، ووضع السياسات التعليمية.

«من أجل ذلك كله اهتمت الأمم على اختلاف أنظمتها باختيار المعلم ، وحُسْن إعداده ووضع الصفات اللازمة للمعلم الناجح» (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢٠٦).

وقد تفنن العلماء من المسلمين ومن غيرهم في تحديد صفات المعلم الناجح ومنها مثلاً -

أولاً التحصيل العلمي:

١) *عند علماء المسلمين*

أ - الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتعليمه لطلابه ، لقوله ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(إبن ماجه ص ٧٦) وقوله عليه الصلاة والسلام «يرفع الله بالقرآن أقواما ». وقوله ﷺ «وإن لله أهلين من الناس ، حملة القرآن هم أهل الله وخاصته ». وقوله عليه الصلاة والسلام «ومن قرأ القرآن بإعراب فله أجر شهيد ».(إبن ماجه ص ٧٦).

ويجب على المعلم عدم الانشغال عن التلاميذ أثناء تعليمهم ، وعليه أن يكون متفرغاً للعلم. (ابن سحنون ١٩٦٩م: ص٣٩) (عن كتاب د/الحقيل ، ١٤١٤هـ:ص٢٠٨)

ب - من صفات المعلم عند «القابسي».

«القدرة على التعليم» و «التمكين من المواد التي يدرسها»

تشمل القدرة على التعليم مدى إلمام المعلم بما يقوم بتعليمه ، ومدى استعداداته الجسمية والنفسية للقيام بهذا الدور الهام ، كما يشمل التمكين من المواد التي يدرسها : أن يكون المعلم على اطلاع واسع بما يدور في مجال العلم الذي يقوم بتعليمه ، فلا يكتفي بالحصول على مؤهل ما ، يجيز له القيام بالتدريس ، بل لا بد من الاطلاع المستمر على جميع أنواع العلوم وما يَستحدث من هذه العلوم ، كما أن عليه عدم الاكتفاء بالاطلاع على كتب الطلاب عند إعداده دروسه ، بل لا بد من الرجوع إلى المراجع والمصادر ، التي تزيد من ثقافته وتزيد من إعطاء المعلومات الواسعة عن موضوع الدرس الموجود في كتب الطلاب . وعلى المعلم أن يحرص على الاشتغال بالقراءة والمطالعة ، ولا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدد العلم إلاّ بقدر الضرورة » (د/عبدالعال،١٤٠٥هـ).

« ويوصي ابن سيناء المعلم بوجوب متابعة الصبي ، وذلك ليتمكن من معرفة قدراته وميوله بحيث يستطيع أن يوجهه إلى المهنة المناسبة » (د/الحقيل ، ١٤١٤هـ:ص٢١٤)

وقد حث الغزالي «على الاشتغال بمهنة التعليم وتعظيم شأن المعلم وإعلاء قدره ، وهو يرى أن مهنة التعليم ذات شأن خطير ، يقول في ذلك «فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات ، فإنه كالشمس تضيء لغيرها ، ومن اشتغل بالتعليم ، فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه » (ص٩٣)

وبهذا يشير «الغزالي» إلى أن على المعلم أن يعمل بما يعلّم ، وأن يوافق قوله عمله لأنه يقوم بأمر عظيم ، ومسئولية جسيمة ، وهي إعداد النشء المسلم إعداداً ينفع الله وبه ويه يكونون بناة حضارة إسلامية ، ودعاة إلى الحق والخير ، كما إن الإمام الغزالي ، يوصي كذلك بأن يكون المعلم قدوة حسنة لطلابه ، كما أن علي المعلم أن يكون على إطلاع واسع بمجال تخصصه كما يكون أيضاً على إطلاع ببقية العلوم ، والمعارف.

ويرى الغزالي أن على المعلم أن يستعمل أسلوب التدرج في التعليم ، لذا فإن عليه أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقي عليه ما لا يبلغه فينفر أو يتخبط عليه عقله » (الغزالي).

تحصيل المعلم للعلم «عند علماء التربية في العصر الحديث».

سوف يتم في هذا المبحث استعراض بعض آراء علماء التربية الغربية والعربية في صفات المعلم الناجح.

استعرض «د/الدخيل ، ١٤١٤هـ» بعض آراء علماء التربية الغربية عن المعلم وصفاته (التحصيلية) فتوصل إلى أن على المعلم أن يكون شديد الاهتمام بالمهنة والمجتمع والتلاميذ ، بحيث يكون اهتمامه بالمهنة الإخلاص لها ، ومن الإخلاص سعة الاطلاع على كل ما يدور في مجال تخصصه ، وما هو جديد في محيطه ، كما أن عليه الاهتمام أيضاً بالاطلاع والتعرف على المجالات والعلوم الأخرى ، لأن ذلك مما يزيد من احترام طلابه له ، وإقبالهم عليه ، والإستفادة منه، (دراسة سارتر وويك) (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢٣٢).

ومن الصفات للمعلم ايضاً «القدرة على التدريب وسعة الاطلاع الكافي» (دراسة جرانت) (د/الحقيل١٤١٤هـ:ص٢٣٣).

فقدرة المعلم على تطوير نفسه ، وزيادة حصيلته الثقافية وسعة اطلاعه تعتبر من الصفات الأساسية للمعلم الناجح ، كما أن إلمامه بطرق التدريس المختلفة ، وبالطريقة الصحيحة لاستخدام المناسب منها ، لمستوى تلاميذه ، ولموضوع درسه ، أمر مهم يساعد في جذب اهتمام التلاميذ وشوقهم للدرس ، ويجعلهم يقبلون على المادة العلمية برغبة صادقة وحب ، وبذلك تتحقق الفائدة المرجوة.

كذلك أعدت لجنة تربية المعلم بالولايات المتحدة قائمة بالصفات التي تعتبرها مقومات أساسية لنجاح المعلم ومن هذه الصفات : «مستوى ذكاء ، مستوى دراسة مرضيان ، طلاوة تعبير كافية ، خلفية جيدة في مباديء علم النفس ، مستوى ثقافة عام جيد ، يقظة مهنية واهتمام بتحسين الذات» (كمال دسوقي ، ١٩٧٧م:ص٣٠٠)

وقد قام «د/الدخيل، ١٤١٤هـ» بمحاولة لمعرفة آراء السعوديين المهتمين بالتعليم ، فيما يتعلق بالصفات اللازمة لنجاح المعلم واختار عينة من أولياء أمور من الطبقة المثقفة ، ومعلمون أكفاء ، مدرسو تربية وعلم نفس بمعاهد إعداد المعلمين ، ومديرو مدارس ابتدائية ، وطلاب دارسون في الكلية المتوسطة وكان من النتائج التي توصل إليها فيما يخص المستوى التحصيلي للمعلم «سعة الاطلاع ، والقدرة على إيصال المعلومات للتلميذ ، حب المهنة ، التمكن من المادة ، الذكاء» وهم بذلك يؤكدون ما سبق ان ذكر الباحث عن اهتمام الإمام أحمد بن حنبل بالجانب التحصيلي للمعلم ، حيث قال الإمام أحمد في ذلك «صاحب الحديث عندنا من عمل به ، وقوله «لا تقلدن مالكاً ولا الأوزاعي ... ولكن خذ الأحكام من حيث أخذوا». وحينما سئل عن مدى ما يمكن الحصول عليه من العلم إذا كتب الرجل ثلاثين الف حديث يكفيه ؟ فسكت الإمام أحمد ، ثم قيل له ستين الفاً ، فسكت ، فقيل له: مائة ألف قال الإمام أحمد: حينئذ يعرف شيئاً» ثم حثه للمعلمين على أن يتقوا الله في تعليم تلاميذهم ، فإن تعليمهم فريضة وواجب لازم ، والتارك أو المتهاون في ذلك مخطيء وآثم ، مقتدياً في ذلك بقول الرسول ﷺ «ويل للعالم من الجاهل ، حيث لا يعلمه» وعن تربية الأبناء يقول الإمام

احمد رحمه الله: أن يَحْسِن -المعلم ، الشيخ- أدبهم وتعليمهم لانه راعٍ لهم وغداً مسئول عنهم » ولكن الإمام احمد زاد على العلماء السابقين في الاهتمام بالتدوين ونصح المعلمين بأن يراعوا ذلك عند تلاميذهم ، وأن يعلموهم الخط الحسن ، فقد قال لأحد تلاميذه ، وهو حنبل بن اسحق عندما رآه يكتب بخط دقيق ، نبهه إلى ذلك وقال له «لا تفعل ، أحوج ما تكون اليه يخونك» وبذلك أوضح أن من أسباب ضياع العلم تدوينه بخط رديء.

ثانياً: الصفات الأخلاقية للمعلم:

أ - عند علماء المسلمين:

يرى القابسي ان من الصفات الاخلاقية التي يجب أن يتصف بها المعلم «الرحمة ، العدل ، الاخلاص» (د/الحقيل ، ١٤١٤هـ:ص٢١٣)

بحيث يكون المعلم رحيماً بطلابه حَسن التعامل معهم ، يعاملهم بشفقة وعطف ، ولا يقسو عليهم ولا يستخدم الشتم والالفاظ القبيحة ، وإنما يستخدم في توجيههم النصح والارشاد والعدل ويكون ذلك من خلال تعامل المعلم مع طلابه ، فلا يفضل أحدهم على الآخر لغناه أو للمكانة الاجتماعية لأسرته وغير ذلك ، بل يجب معاملتهم معاملة واحدة ، دون تفريق أو تمييز لأحدهم. والإخلاص: يشمل قيام المعلم بواجبه خير قيام ، والحرص على عدم تضييع الوقت بما لا يفيد طلابه والحرص على فهمهم واستيعابهم لما يعطيهم.

كما يرى الغزالي ان من الصفات الاخلاقية التي يجب أن يتحلى بها المعلم «الشفقة ، الرحمة على الصبيان فهو بمنزلة أبيهم» (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢١٦)

والشفقة تشمل المعاملة الحسنة ، ولين الجانب ومخاطبة التلاميذ بألفاظ تليق بمكانة المعلم وتدل على احترامه لنفسه ولتلاميذه ، عدم تكليفهم بما لا يطيقون ، من حفظ ، أو واجب أو غيره. والرحمة تشمل: معاملة طلابه بالعطف والحنان وإشعارهم لمحبته واحترامه لهم ، فهو يعتبر بمنزلة الأب الحنون لهم ، الحريص على مصالحهم ، وما ينفعهم ، والبعد عما ما يسبب لهم الأذى الجسمي ، والعلمي ، مما ينتج عنه اهمالهم

مذاكرة دروسهم أو حل واجباتهم ، ويحثهم على الالتزام بالأخلاق الفاضلة التي يحث عليها ديننا الإسلامي الحنيف ، والبعد عن الأخلاق السيئة التي حذر منها الإسلام. ويرى (ابن سيناء) أن يتصف المعلم بالعقل والحكمة ، بحيث تكون تصرفاته ، وأقواله تنبيء عن أخلاق فاضلة ، واتزان في أقواله ، وحسن معاملة لأبنائه الطلاب ، يحب لهم الخير ويحثهم عليه ، ويحذرهم من الشر وكل ما يسبب لهم الأذى » (د/الحقيل، ١٤١٤هـ:ص٢١٤).

أما ما يراه علماء التربية الحديثة فقد ذكر (د/الحقيل، ١٤١٤هـ) بعض آراء علماء التربية الغربيين منهم.

(سارتر وويلز). قام بدراسة بهدف ايجاد وصف شامل لواجبات المعلم وصفاته وشملت هذه الصفات في الجانب الأخلاقي:

«أن يكون متميزاً بالشرف والتهذيب » (ص٢٣٢)

بحيث تشمل صفات المعلم الأخلاقية محافظته على سمعته ومكانته ، وأخلاقه ، من خلال تعامله مع طلابه ، يكون مؤدباً في مخاطبتهم والتعامل معهم ، يعاملهم معاملة حسنة ، ويؤدي واجبه على أكمل وجه لا يكلف طلابه فوق طاقتهم ، ولا يحملهم ما لايطيقون من دروس ، أو واجبات أو غير ذلك من التكاليف، يترفع بنفسه عن ما يدنسها ، بتكليف التلاميذ بما قد يعود عليه بمردود مالي أو انجاز لأعماله أو غير ذلك.

«أما (هرانيت) من دراسته فقد توصل إلى أن من أهم الصفات التي يجب ان تتوفر في المعلم الصبر ، البشاشة ، والمرح ، والعدل والشفقة » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢٣٣).

فالصبر يشمل تحمل أعباء هذه المهنة الشاقة التي ألزم نفسه بالعمل بها ، وتحمل كل ما يصادفه في عمله سواء من سوء معاملة الإدارة المدرسية ، أو الموجهين ، أو سوء أخلاق وتصرفات بعض التلاميذ، ولكن عليه توجيه تلاميذه للأخلاق الفاضلة بالحكمة ، والنصح والإرشاد ، والابتعاد عن العقاب البدني ، أو التلفظ بالألفاظ السيئة ، كما ينبغي للمعلم أن يتصف بالمرح ولكن يكون ذلك في حدود ، ولا يكثر من ذلك، لأنه بذلك يفقد مكانته ، واهتمام تلاميذه واحترامهم له ، ولكن لا بأس في خلال الدرس

إذا شعر بأن الملل والسآمة بدت تدب في تلاميذه ، أن يميل إلى المرح قليلاً بحيث يدب النشاط في نفوس تلاميذه ، إما بذكر نكتة هادفة سريعة ، وعدم عبوسه في وجوه تلاميذه ، بحيث يكون دوره أشبه بدور الشرطي ، الذي يعطي الأوامر فقط وعلى غيره تنفيذها سريعاً بدون نقاش ، وإنما يتعامل بما يشعرهم بالمودة والاحترام ، وأن يكون عدلاً في التعامل مع تلاميذه ، لا يفرق بينهم في المعاملة.

كما أن لجنة تربية المعلم في الولايات المتحدة الأمريكية من ضمن الصفات التي أوردتها في المعلم ذكرت «أن يكون ذا طبع سليم ، ولديه الشعور بالأمانة والمسئولية» (د/الحقيل،١٤١٤هـ،ص٢٣٤)

ويتضمن ذلك التعامل الصحيح مع التلاميذ بعطف وحنان والتوجيه السليم ، وحثهم على مكارم الاخلاق والتحذير مما يسيء إليهم ويتحمل المسئولية الملقاة على عاتقه برحابة صدر ، دون ضجر أو كلل ، يؤدي عمله بصدق وإخلاص ، حريص علي ما ينفع طلابه ، لا يضيع الوقت فيما لا فائدة منه ، فإن ذلك يولد لدى التلاميذ الاحترام والتقدير للمعلم ، وبحسن معاملته لهم ، يجعلهم يقبلون على دروسه بمحبة ، وإخلاص ، يؤدون ما يطلبه منهم بنفس راضية ، يكنّون له الحب والتقدير، أما إذا تهاون في عمله أو لم يؤده بالشكل الصحيح ، فإن ذلك يسبب كراهيتهم له ، وعدم احترامه في أنفسهم ، حتى لو أظهروا عكس ذلك.

ومن خلال الاستعراض لما سبق من الصفات الأخلاقية التي ينبغي أن تتوفر في المعلم «حسب ما يراه علماء المسلمين أو علماء التربية الحديثة من الغربيين» يتضح أن الإمام أحمد بن حنبل قد سبقهم إلى ذلك وأورد بعض الصفات الأخلاقية التي يجب أن تتوافر في المعلم ومنها.

«أن يتحلى بالتواضع : قال عنه أحد تلاميذه يحيى بن معين «ما رأيت مثل احمد بن حنبل صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير» (الدقر،١٤٠٨هـ:ص٢٣٠).

ومن الصفات أيضاً خشية الله: لقوله «العالم من خشي الله» (الجندي ،١٣٩٠هـ:ص٥٨). فعلى المعلم أن يلتزم بخشية الله ويحث تلاميذه على الالتزام بها.

وقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله يتفقد تلاميذه إذا غابوا عن الدرس وكان يقوم بزيارتهم كما فعل مع «بقي بن مخلد» أحد تلاميذه حينما اعتل فعاده وبشره بثواب الله حيث قال: «يا أبا عبدالرحمن أبشر بثواب الله ، أيام الصحة لا سقم فيها ، وأيام السقم لا صحة فيها ، اعلاك الله الى العافية ومسح عنك بيمينه الشافية» (الجندي،١٣٩٠هـ:ص٤٦٢)

وكان ينصح تلاميذه إلى ما فيه خيرهم ويحفظ عليهم علمهم حيث قال لأحدهم «لا تحدث إلاّ من كتاب) أبو عماد الحنبلي،: ص٣١)

تعامله الحسن مع تلاميذه وخاصة ممن يفقدون القدرة على السؤال أو الإستفسار عن بعض ما يريدون فقد لاحظ -الإمام أحمد- بالمسجد رجلا غريبا ومعه محبرة ، ولم يسأل ذلك الرجل الإمام شيئاً فقبل خروجه من المسجد وبعد انتهاء درسه قال للرجل الغريب: «الك حاجة ؟ «فقال الرجل الغريب: تعلمني مما علمك الله» ثم دخل الامام منزله وأحضر كتباً وجعل يملي على طالبه وهو يكتب حتى انتهى من ذلك (ابن الجوزي،١٤٠٢هـ:ص١٩٠).

وكان من صفات الامام احمد بن حنبل رحمه الله التواضع والحلم ، والحكمة وعدم التعجل أو الحقد ، وكان عادلاً لا يوثر بعض طلابه لأمر من أمور الدنيا ، يخاف الله في السر والعلن ، دائم البشر ، لين الجانب ليس فظا ولا غليظاً ، » ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ:ص٢١٨).

مما تقدم يمكن للمعلم في العصر الحاضر الاستفادة من تلك الصفات والتحلي بها ، ومنها احترام تلاميذه والسؤال عنهم في غيابهم ، ومداومة النصح والإرشاد لهم ، فينصحهم لما يفيدهم ، ويحذرهم مما يسبب لهم الأذى ، ويلحق بهم الضرر.

ثالثاً : الجانب السلوكي

أن أ - عند علماء المسلمين

يرى (ابن سحنون) أن على المعلم أن يعدل بين صبيانه -تلاميذه- » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢٠٩) ، ويشير في ذلك الى حديث الرسول ﷺ «أيما مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة ، فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم ، حُشر يوم القيامة مع الخائنين»

أما الغزالي ، فيرى أنه من الصفات التي يجب ان تتوافر في المعلم ، تعويد الصبيان على الأخلاق الفاضلة ، وأن يتسم المعلم بحَسن الخلق » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢١٦).

ويرى (ابن جماعة) أن على المعلم الالتزام بأداء تعليم العلم ، وأن ينزه العلم عن المطامع ، وان يتجنب كل ما يسيء إلي سمعته » (ابن جماعة للدكتور/حسن عبدالعال،١٤٠٥هـ:ص١١٣).

أما ما يراه علماء التربية الحديثة من الغربيين :

فقد توصل «أوتو» بعد دراسة قام بها للتعرف على الصفات اللازمة للمعلم ومنها «أن يكون عادلاً ، بشوشاً ، أميناً ، صادقاً ، مخلصاً ، وأن تكون أعماله اليومية ، مطابقة للعقل ، وللمباديء التي يؤمن بها »

ويرى (سارتر وويلز) من خلال دراسته أن على المعلم «التعاون ، والمساعدة والاخلاص والانضباط الذاتي ، والرصانة ، والكرامة »

كما يرى (جرانيت) أن على المعلم «أن يكون محباً للأطفال ، ويفهمهم » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢٣٢)

ويرى علماء التربية الحديثة أن على المعلم أن يكون ذا توجيه دميقراطي ، ولديه يقظة مهنية ، واهتمام بتحسين الذات » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص٢٣٢).

وهذه الصفات التي ذكرها العلماء المسلمون أو علماء التربية الحديثة ، لا تختلف عن الصفات السلوكية التي ذكرها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، بل قد تفوّق على

هؤلاء العلماء وزاد بعض الصفات التي ينبغي للمعلم في هذا العصر ان يلتزم بها ومنها «أسداء النصح السليم لطلابه كما فعل الإمام احمد بن حنبل حينما أرسل اليه أحد شيوخه يوصيه فقال له: «عليك بالصدق ، فإنه إن قتلك الصدق ، قتلت شهيداً ، وإن عشت عشت سعيداً ».(سيد الأهل ، ١٣٩٢هـ. ص ٢٧٠).

وما كان يتصف به الإمام أحمد من أخلاق فاضلة وصفات حميدة ومنها «بره بوالدته» وفضل البر بوالدته عن الخروج لطلب العلم » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ:ص٢٧).

وكما فعله مع رجل غريب حينما رآه في المجلس وبيده محبرة ، ولم يسأل عن شيء ، فبادره الإمام أحمد بقوله له: «ألك حاجة ؟ ثم عندما علم برغبته في طلب العلم أملى عليه من الكتب التي كانت عنده «ابن الجوزي،١٤٠٢هـ:ص١٨٩) ومنها «قوله عن محابر أهل الحديث « هذه سرج الإسلام ».

فيا ليت معلمي عصرنا الحاضر يستفيدون من تلك الآداب ويطبقونها في حياتهم العملية.

المعلم قدوة لطلابه

إهتم علماء التربية بجانب القدوة من الوالدين ، والمعلم لما لهم من أثر في سلوك الأبناء ، وقد دعا المربون المسلمون إلى اتخاذ قاعدة القدوة والمحاكاة أساساً للتربية «فالاطفال يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذون بالنصح والإرشاد ، قال عيينه بن أبي سفيان لمعلم ولده «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة عليك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت» (الجندي ، ١٤٠٢ه(: ص١٦٨).

والطفل لا بد أن تكون له قدوة حسنة في أسرته (وفي والديه) ، لكي يتشرب منذ طفولته المبادىء الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع ، والتلميذ في المدرسة لا بد له من قدوة يراها في كل معلم من معلميه يقتنع بما يتعلمه ، ويرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق ، وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلاّ في تطبيقه ، فلا بد للأب والمعلم - وكلاهما مربٍ - من التحلي بأفضل الأخلاق يستلهمانها من القرآن ومن سيرة الرسول ﷺ ، ويصبران على تطبيقها والتحلي بها » (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ:ص٢٣٠)

ونظراً لما للمعلم من دور كبير التأثير المباشر وغير المباشر على تلاميذه ، في جميع تصرفاته وتعامله وأقواله وأخلاقه ، لذا فإنه يجب عليه أن يقتدي بأعلام المسلمين السابقين ، وأن تكون قدوته الاولى بما جاء في كتاب الله ، وبما فعله رسول الله ﷺ ، بالعمل بما يعلم وما يقول وأن يكون عمله وتصرفاته وأخلاقه ، مطابقة لما يقول ومطابقة للشريعة الإسلامية ، لكي يقتدي به الطلاب ، ويكون قدوة حسنة لهم ، ويجب على المعلم أيضاً أن يتعلم أمور الشريعة الإسلامية ، وخصوصاً ما يتعلق بالعقيدة ، ويطبقها في جميع أقواله وأفعاله واخلاقه .... .

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «ما كتبت حديثاً إلاّ وقد عملت به» (ابن حنبل ، ١٣٦٥هـ:ص١٧٣).

ويقول الإمام احمد رحمه الله «صاحب الحديث عندنا من يعمل به» (الجندي ، ١٣٩٠هـ،ص١١١).

وعلى المعلم أن يتواضع لطلابه ، ويحترمهم ، ويحثهم على الجد والاجتهاد ويكرم المجّد ويشجعه على الاستمرار في اجتهاده ، ويحث المقصّر على الاستزاده من العلم والجد والاجتهاد ، والعالم والمعلم لهما أثر كبير في حياة الناس ، وسلامة عقيدتهم ، وحَسن عبادتهم ، فهم المرشدون إلى الحق والهادون إليه بإذن الله ، ويشبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله العالم بالطبيب الذي يعالج الأمراض ، فالطبيب يعالج أمراض الجسد ، ولكن العالم يعالج أمراض النفس والروح ، فإذا كان صادقاً فيما يقول عاملاً به ، هدى الله الناس على يديه ، وإن كان غير ذلك ، جلب على نفسه وعلى الآخرين الشقاء ، ويقول في ذلك الإمام أحمد بن حنبل « إن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم طبيب ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره » (ابن حنبل ، ١٣٦٥هـ:ص٧٣).

وإذا إنشغل المعلم بالدنيا وجعلها همه الوحيد ، ونسي الآخرة ، واصبح عمله للدنيا فقط فو أشبه بالطبيب الذي يحضر الداء ليبيعه ، فيجب الحذر منه والابتعاد عنه كي لا ينتقل مرضه إلى غيره.

آداب المتعلم

١) التحصيل العلمي

اهتم كثير من علماء المسلمين السابقين وكثير من علماء التربية الحديثة بالطالب بإعتباره أحد محاور العملية التعليمية ، وأوضحوا الصفات التي ينبغي على طالب العلم أن يتصف بها ، والأخلاق التي يجب عليه الإلتزام بها. وسوف يذكر الباحث رأي «الغزالي » باعتباره أحد علماء المسلمين الذين كان لهم اهتمام لهم بصفات طالب العلم وسوف يقتصر البحث عن أهم الجوانب لدى طالب العلم وهي :

جانب التحصيل الدراسي ، وأخلاقيات طالب العلم ، وسلوكيات طالب العلم

أولاً : الجانب التحصيلي :

كما ذكر الباحث سابقاً سوف يكتفي بذكر رأي (الغزالي) باعتباره أبرز من تولى الاهتمام بصفات طالب العلم ، وان بعض ما ذكره العلماء المسلمون لا يخرج عن الصفات التي ذكرها الغزالي وهي :

١- على طالب العلم ألا يخوض في فن حتي يدرك الذي قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيباً طبيعياً ، وعليه أن يدرك أن علوم الدنيا ثمرتها في الحياة الفانية ، وعلوم الدين في الحياة الباقية فليفضل الباقي على الفاني ، وعليه أن يقصد بالعلم تحلية الباطن بالفضائل ، وتخليته من الرذائل ، ولا يقصد به عرض الدنيا ، والرئاسة ، ومماراة السفهاء ، وينبغي عليه مع هذا ألاّ ينظر باحتقار إلى العلوم التي هي فرض كفاية أو مباحة مثل: الشعر والعلوم الدنيوية ، وعلى طالب العلم أيضاً أن لا يدع بحثاً من بحوث العلم المفيدة إلاّ درسه ، فإن العلوم متفاوتة ، وعليه ألاّ يخوض في بحث من بحوث العلم والمعرفة دفعة واحدة ، بل يراعي التريث فإن العمر لا يتسع لجميع العلوم » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص١٢٤).

رأي علماء التربية الحديثة

لعلماء التربية الحديثة آراء أيضاً عن الصفات التي ينبغي أن تتوافر في طالب العلم في الجانب التحصيلي بعضها قد يتفق مع ما ذكر الغزالي ، وبعضها الآخر وان اختلف اللفظ فالمعنى متقارب ومن هذه الآراء ، فقد أورد (الحقير ملخصاً عن أهم تلك الصفات في نظر علماء التربية الحديثة:

١) على طالب العلم الجد والإجتهاد ، وأن يسلح نفسه بالعلم ، لكي يستطيع أن يجابه مشاكل الحياة ، وأن يكون على إلمام بكل ما يتصل بعقيدته الإسلامية ، وعليه التمسك بالإسلام في كل شئون حياته ، كما أن عليه أن يعتمد على الله ثم على نفسه في التحصيل العلمي ، وأن يشغل وقت فراغه فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والخير ، وأن يحافظ على الدراسة وأن يحترم المواعيد ، وأن يقدر قيمة الوقت» (الحقيل ، ١٤١٤هـ،ص١٢٥).

رأي الإمام أحمد بن حنبل:

قد سبق أن وضح الباحث بعض الصفات التي يجب أن يتصف بها طالب العلم عند الإمام أحمد في الفصل السابق ، ويورد في هذه الفقرة بعضها والتي يرى الباحث أن الإمام أحمد قد سبق العلماء بعده إليها ويمكن لطالب العلم الاستفادة منها في عصرنا الحاضر عند تطبيقها ومنها:

الإهتمام بأدواته وأوراقه المدرسية ، وأن يحافظ عليها من الفقد والضياع ، ومن العبث بها ، فهذا الإمام احمد بن حنبل حينما كان بمكة واعتدى اللصوص على أدواته ، لم يسأل عن شيء منها سوى الأوراق التي كان يدون الحديث بها ، ولما علم بسلامتها لم يهتم بشيء آخر.

كما أن على طالب العلم ألاّ يرضى بالقليل من العلم ، بل عليه الاستزاده منه وطلبه ما أمكن ذلك ، وما وجد لذلك سبيلاً ، فهذا الإمام أحمد رحمه الله هو صاحب العبارة المشهورة والتي تدل على حرصه على الاستمرار في طلب العلم رغم كِبَر سنه حيث يقول «مع المحبرة إلى المقبرة» وقال «طلب الاسناد العالي من سنة السلف». كما أن على طالب العلم الاهتمام بتعلّم القرآن والسنة والعلوم الشرعية أولاً ثم تعلّم اللغة العربية ، وألاّ يقصد بعلمه الحفظ فقط ، وإنما تكون غايته العظمى أن يتفقّه في دين الله، ويتعلم كيف يستخرج

الأحكام ، ويستنبط الأدلة ، وأن يكون قصده من العلم أولاً وجه الله ، لأن ذلك يجعل علمه عبادة يثاب عليها وأن يعرف قيمة العلم وأهميته له في حياته في الدنيا والآخرة ، فالإمام احمد يشبه العلم كالخبز والماء ، ويعتبره أكثر أهمية فيقول «الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء ، ثم يضيف إن العلم يَحتاج اليه في كل ساعة ، والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين » . (سبق التوثيق ص١٢٠).

وقد نبّه الإمام احمد رحمه الله إلى شيء لم يسبق إليه أحد من العلماء السابقين واللاحقين ألا وهو الإهتمام بتدوين العلم والحرص على ذلك أشد الحرص ، ونبه ايضاً أن يكون التدوين بخط واضح مقروء ، فإن سبب ضياع العلم رداءة الخط ، وقد كان يوصي ابنه عبدالله بقوله «اذهب اكتب في المسجد عن هؤلاء الشيوخ تخف يدك » وعندما رأى أحد طلابه يكتب بخط دقيق أمره ألا يفعل وقال : «أحوج ما تكون إليه يخونك»

ومما تقدم يرى الباحث أن على طلاب العلم الاهتمام بالعلم والشعور بقيمته في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وألأ يقف طالب العلم عند مؤهل معين ، أو سن معين ، بل عليه الاستمرار في طلبه ما أمكن ذلك كما أن على طالب العلم الاهتمام بتدوين ما يتعلم وأن يكون التدوين بخط واضح ، حتى لا يتسبب في ضياع العلم ، وهذا مما يمكن الاستفادة منه من آراء الامام احمد بن حنبل رحمه الله في هذا العصر الذي يشاهد فيه المعلمون عدم اهتمام طلاب العلم بجودة الخط وكثرة الأخطاء الإملائية ، والنحوية وعدم اهتمامهم بتدوين ما يتعلمون ، وأن أكثر همهم الدراسة والمذاكرة للنجاح واجتياز المرحلة فقط .

ثانياً : أخلاق طالب العلم .

كما اهتم المسلمون وعلماء التربية في العصر الحديث بالجانب التحصيلي لطالب العلم ، فقد اهتموا أكثر بالجانب الأخلاقي ، لانه كما يرى الباحث لا يكون العلم مفيداً ما لم يتحل طالبه وحامله بالأخلاق الفاضلة ، وقد ذكر بعض العلماء هذا الجانب وسوف يقتصر الباحث على رأي «الغزالي » أيضاً لما سبق أن أوضح عند حديثه عن الجانب التحصيلي لطالب العلم ومما ذكره الغزالي عن الجانب الأخلاقي لطالب العلم :

« أن على طالب العلم أن يطهّر نفسه من الرذائل ، الخبائث الدينية والأخلاقية » (الحقيل،١٤١٤هـ:ص١٢٤).

فابتعاد طالب العلم عن السلوك السيء وكل ما يسيء لسمعته أو لسمعة أسرته وعلمه ، وتحليه بالأخلاق الفاضلة وابتعاده عن الرذائل ، واحترامه لنفسه ، وللعلم الذي يحمله ، وكل ما هو شائن ، من الأخلاق أو من الصفات السيئة التي تتعلق بالفرائض ، مثل عدم الصلاة ، أو الزكاة ، أو احترام والديه ، وزملائه أو غير ذلك من العادات ، فابتعاد الطالب عنها ، واتصافه ، والتزامه بالأخلاق النبيلة ، وتمسكه بتعاليم دينه الإسلامي ، كلها أمور تعينه بتوفيق الله على التفوق والنجاح في دراسته ، وإقباله عليها بصدر منشرح وبنفس راضية ، تعطيه حماساً للإستزادة من العلم ، والرغبة في التفوق ، والحصول على اكبر قدر من العلم النافع في الدنيا والآخرة.

رأي علماء التربية في العصر الحديث:

يرى علماء التربية في العصر الحديث أن على طالب العلم أن يتصف بالصفات الأخلاقية التالية:

أن يتحلى بالصفات الحميدة ، والأخلاق الفاضلة ، وأن يبتعد عن مواطن الشبه ، وأن يتجنب عنها وأن يتصف بالصبر في مواجهة المشاكل التي تواجهه أثناء دراسته ، وطلبه العلم ، وأن يحرص على احترام الآخرين -معلمين وزملاء وغيرهم - وعدم الحط من قدر زملائه مهما كان مستواهم الدراسي » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص١٢٥)

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد أورد بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم ، يشمل بعضها ما سبق من آراء العلماء المسلمين وعلماء التربية الحديثة ، فقد سبقهم إلى تلك الصفات وزاد عليها ما يلي :

أن يتصف طالب العلم بالجد والصدق والأخلاق الفاضلة ، والهدوء عند طلب العلم ، وألاّ يترفع عن العلم ، وقد كان الإمام احمد رحمه الله متميزاً بين أقرانه بسمت وجد ، ونية صادقة من غير صخب ، ولا ترفُّع ، وقد ورث صفات أبيه وجده ، من امتلاك النفس، وغلبة الصمت على الكلام ، كما أن من الصفات الأخلاقية لطالب العلم والتي يجب أن يستفيد منها طلاب العلم في العصر الحاضر هي احترام أدوات الآخرين من

زملائهم ، وأن يتأدب معهم إذا احتاج إلى شيء من تلك الأدوات ، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل لا يجيز لأحد أن يكتب من محبرة آخر إلاّ بإذنه ، ثم يكون ذلك ديناً يجب قضاؤه ، ولم يجز لأحد من الطلاب أن يلتقط أوراقاً سقطت من صاحبها ، وأوجب عليه أن يعرّفها كاللقطة فيأخذها صاحبها بعد ردها إليه ، كما أن على طالب العلم احترام مجلس العلم وأن يكون متسماً بالوقار والاحترام من التلميذ لمعلمه وأن يقدر قيمة العلم الذي يتعلمه.

هذه بعض الآراء التي يمكن لطالب العلم أن يستفيد منها في عصرنا الحاضر من منهج الإمام أحمد وعلى المعلمين الاهتمام بتوجيه تلاميذهم للتحلي بها ، ومتابعتهم في ذلك وتوجيههم إليها باستمرار ، لأنها من أخلاق ديننا الإسلامي الحنيف ، ويجب على طالب العلم أن يتمسك بها ، وفي جميع أحواله ، وتصرفاته.

ثالثاً : الجانب السلوكي

سلوك طالب العلم يخبر عن مدى تعلمه وتأثير ذلك العلم عليه ، فالسلوك تطبيق عملي لحصيلة ما تعلمه الطالب ، لذا فقد اهتم العلماء -من قديم- بأن يكون سلوك الطالب ، سلوكا يتفق مع الشريعة الإسلامية ومع ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم. وقد أورد علماء المسلمين السابقين أهم الصفات السلوكية لطالب العلم. سوف يقتصر الباحث على ذكر آراء (الغزالي) في هذا الشأن بسبب ما تقدم ايضاحه عند الحديث عن الجانب التعليمي لطالب العلم ومن الصفات التي ذكرها الغزالي :

«على المتعلم أن لا يتكبر علي معلمه ، بل يلقي إليه زمام نفسه ، يفعل به ما يريده » (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص١٢٤).

فالتكبر على المعلم يدل على مدى ما وصل إليه طالب العلم من الحمق والغباء ، وعدم احترامه للعلم ، الذي يتعلمه ، فكيف يحترم العلم من لا يحترم من يُعطى العلم وهو المعلم ، وإن احترام المعلم وتقديره ، والشعور بأهميته وقميته لدى الطالب ، مما يسهل له طلب العلم ، ويحقق له الاستفادة من المعلم ومن تقدير المعلم واحترامه ،

تنفيذ توجيهاته التي يحرص من خلالها على إفادة تلميذه ، وزيادة حصيلته العلمية ، وتأدب الطالب مع معلمه يزيده احتراما وتقديراً لدى معلمه ، ويعطي المعلم الفرصة لبذل المزيد من الجهد ، والحرص على وقت الطالب ، واستفادته ، ومن احترام المعلم الإنصات له حين يلقي درسه ، ومتابعته خلال ذلك ، وعدم العبث أو اللعب بأي شيء ، وعدم الإنشغال عن شرح المعلم ، بل الإنصات اليه في هدوء وبأدب واحترام ، ومن احترام المعلم تدوين ما يكتبه المعلم على السبورة من فقرات الدرس التي يرى فيها تحقيق فائدة أكبر لتلاميذه ، كذلك الأدب مع المعلم حين سؤاله أو حينما يطلب منه المعلم أن يتحدث عن فقرة أو يبدي رأيه فيها ، فالقيام أثناء الكلام يعني احترام الطالب للعلم الذي يتعلمه ، ويعكس مدى أدبه واحترامه لمعلمه ، كذلك حل الواجبات التي يطلبها المعلم وتنظيم الدفاتر والعناية بها دليل اهتمام الطالب واحترامه لمعلمه وللعلم. كذلك مذاكرته لدروسه في المنزل تدل على اهتمامه بتحصيله ، والإستفادة مما أخذه من علم في المدرسة.

رأي علماء التربية في العصر الحديث:

لعلماء التربية في العصر الحديث آراء أيضاً في الجانب السلوكي لطالب العلم ومنها:

«أن على المتعلم أن يتمسك بالقيم والمفاهيم الإسلامية ، وأن يكون قدوة حسنة لزملائه داخل المدرسة وخارجها ، وأن يعرف ما عليه من حقوق وواجبات دينية وأسرية ، ووطنية ، وأن يبتعد عن منحرفي السلوك داخل المدرسة وخارجها ، وأن يبتعد عن كثرة المزاح لأنها تُسقط الهيبة ، وأن يساهم بقدر استطاعته في القضاء على العادات السيئة المنتشرة بين الطلاب كالميوعة ، والخنفسة ، والتدخين ، وعدم احترام المعلمين» (د/الحقيل،١٤١٤هـ:ص١٢٦).

هذه الصفات التي ذكرها علماء المسلمين وعلماء التربية الحديثة ، قد سبقهم إليها الإمام أحمد بن حنبل وذكر من الصفات ما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها ، قبل أن يذكرها هؤلاء العلماء بزمن طويل وقد زاد عليها بعض الصفات التي يجب أن يذكر الباحث بعضها - وقد سبق ذكرها - في الفصل السابق» ومنها:

احترام المعلم والعلم الذي يتعلمه طالب العلم ، فقد كان أحب الناس إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وأفضلهم عنده ، وأجدرهم بتعظيمه المحدثون فقد قال عنهم «أصحاب الحديث أمراء العلم ، ومن عظّم أصحاب الحديث تعظّم في عين رسول الله ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ﷺ » كما قال الإمام احمد عن أصحاب الحديث والمحابر التي في أيديهم «هذه سرج الإسلام». وهذا يدل اكبر دليل على احترام العلم والعلماء ، ومدى ما وصلا إليه من رفعة شأن وعلو مقدار ، وما ينبغي على طالب العلم أو المجتمع حيالهم ، ومن احترام المعلم وتواضع طالب العلم له. أن الإمام احمد بن حنبل جاء إلى خلف بن هشام يسمع حديثه فاجتهد – خلف – أن يرفعه – فأبى وقال: لا أجلس إلاّ بين يديك – أمرنا أن نتواضع لمن نأخذ عنه العلم» وقال الإمام أحمد «إجلال العالم وإجلال العلم صنوان»

كما أن على طالب العلم الرجوع إلى مصادره للإستفادة منها وعدم الاكتفاء بأخذ العلم عن المعلم لأن في ذلك زيادة لثروته العلمية ، فقد يختصر المعلم مراعاة لمستوى بعض الطلاب أو لعدم اتهامه بالخروج عن المنهج المقرر – لذا على طالب العلم الرجوع ما أمكن إلى المصادر التي يستطيع الاستفادة منها وخاصة طلاب الثانوية والجامعة وخاصة فيما يتعلق بأمور الدين فقد قال الامام احمد في ذلك «لا تقلد دينك الرجال ، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا ، ومن ترك الحديث ، وأخذ بقول الرجال فقد ترك من لا يغلط إلى من يَغْلَط»

وعلى طالب العلم أن يتلقي العلم وهو في حالة وقار واحترام وهيبة ، فقد كان تلاميذ الإمام احمد بن حنبل رحمه الله »خشع بين يديه يهابون أن يردوه أو يحاجوه وغيرهم له أهيب»

كما أن على طالب العلم أن يجالس من هو أفضل منه علماً وأخلاقاً ، وأكثر قدرة على حفظ العلم ، خاصة ممن يتصفون بالأخلاق الحميدة فهؤلاء لا غنى لأحد عنهم ، وقد قسم الإمام احمد رحمه الله طلاب العلم حسب تحصيلهم ومستواهم العلمي وقدرتهم في الإتقان الى قسمين «قسم هم في علية القوم وهم أقلهم ، فهؤلاء أولى بأن يُسمع منهم ويتّخذ الأصحاب من بينهم ولا غنى لأحد عنهم ، وقسم يتساوون في العلم

والقدر وهم أكثر » فرأي الإمام أحمد ان يَجْلس إلى أكبر عدد منهم فيأخذ ما يثق به ويترك ما لايثق به. وفي هذا التحذير من الاختلاط لذوي الأخلاق الفاضحة وعدم الجلوس معهم . كما أن على طالب العلم أولاً وأخيراً احترام والديه وطاعتهما والاعتراف بفضلهما والبر بهما فقد كان الإمام احمد يتخلف عن دروس العلم إذا كانت بعيدة ، وتحتاج إلى سفر خوفاً من عدم رضا أمه وعدم مخالفة رغبتها فيقول لزملائه «أمي لا تدعني»

فهذه بعض الأخلاق والصفات التي يَجْدَر بطلاب العلم في هذا العصر التخلق والتأدب بها خاصة ، ما دخل على التعليم وما أصبح يتخلق به بعض طلاب اليوم من عدم احترام للعلم والمعلمين ، واستعمال العلم في غير موضعه ، وتلويث البيئة ببعض الكلمات الخارجة عن الدين الإسلامي وأخلاقه السمحة ، وهذا ما نلاحظه جميعاً من كتابات على الجدران من بعض من ينتمون إلى طلب العلم هم أبعد ما يكونون عن أخلاقه وآدابه.

طريقة التدريس

وهي ما يستخدمه المعلم من أساليب ملائمة لمستوى التلاميذ وأعمارهم الزمنية والعقلية ، لتوصيل المعلومات المرادة اليهم بأسلوب يَسْهِلَ عليهم فهمها وإدراكها .

وقد تنوعت طرق التدريس واختلفت بحسب اختلاف العلماء حيالها وبحسب النظم الدينية والسياسية والجغرافية والاقتصادية لكل بلد ، وكذلك تختلف في البلد الواحد بحسب اختلاف المواد الدراسية وبحسب عمر الطلاب الزمني والمرحلة الدراسية التي يدرسون بها .

ويعرف (فينكس ، ١٤٠٢هـ) التدريس بأنه «عملية توجيه النمو الإنساني طبقاً لنموذج مختار» (ص٨٠).

ويرى (الدكتور/ سعيد اسماعيل،١٤٠٦هـ): «أن طرق التدريس تختلف بحسب المواد الدراسية فمثلاً: القرآن اكريم وهو المحور الرئيسي للدراسة نلاحظ أن القراءة أفضل وجه لتعليم القرآن الكريم» (ص١٨٣).

إن الطرق التربوية تساعد المدرس على معرفة الظروف المناسبة لكي تصبح الدراسة شيقة وواضحة بالنسبة للتلميذ ، ومناسبة لمستواه ، ووثيقة الصلة بحاجاته ، حتى يقبل عليها ويستفيد منها لتنمية قواه واظهار مواهبه ، ودفعه إلى التفكير» (د/ابراهيم ناصر ١٤٠٦هـ:ص١٩١).

«وتقسم طرق التدريس إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة مواقف هي :

١) موقف يكون التلميذ فيه سلبياً يفرض عليه منهاج معين ، ويقوم المدرس بعمليات الشرح والإلقاء .

٢) موقف ذاتي: أو نشاط ذاتي للتلميذ يعتمد فيه على نفسه في الدراسة والتحصيل ، ويقتصر عمل المدرس على الإرشاد والتوجيه (طريقة دالتون).

٣) موقف تعاوني: ويكون بتعاون المدرس والتلميذ فيما بينهما ، تعاوناً ديمقراطياً في وضع الخطط وتنفيذها وتقويمها (طريقة الشروع) (د/ابراهيم ناصر ، ١٤٠٦هـ،ص١٩٢).

ومن حيث أهمية طرق التدريس في التعلم ، يرى الباحث أنها من أهم الوسائل للتعلم وأكثرها فائدة بحيث تعمل على توصيل المعلومات والخبرات للتلاميذ في أقصر وقت وبأقل جهد ، ويبقى أثرها لدى التلاميذ خاصة كلما كانت مناسبة لمستويات التلاميذ وأعمارهم ، وحيث إن الطريقة تؤدي إلى التعلّم فهناك خصائص أساسية يفضل مراعاتها لكي يحقق التعلّم أهدافه ومنها :

أن يقوم التعلم على إيجابية التلميذ ونشاطه ، وأن يؤدي هذا التعلم على تلبية الحاجات لدى التلميذ لأن وضوح الهدف والغاية وتلبيتها لحاجة التلميذ تجعل التعلم أكثر فائدة للتلميذ ، وتولد لدى التلميذ الرغبة في التعلم ، وأن يقتصر دور المعلم على تهيئة الظروف المناسبة أمام كل تلميذ لكي يتعلم بنفسه ، يجب ان يبدأ التعليم بواقع الفرد ، وألاّ يتجاهل خبراته السابقة ، فالتعلم الجيد يبدأ بما لدى التلاميذ من خبرة ويعمل على تصحيحها وتوجيهها ، أن يبدأ التعلم بالإدراك الكلي للمواقف ويتوقف على التفاعل المثمر مع البيئة ، وينشأ عليه اكتساب التلميذ خبرة جديدة ، متعددة الجوانب من الواجب أن يؤدي التعلم إلى تعديل السلوك ، اما إذا اقتصر دوره على تحصيل المعرفة فإن ذلك هو التعلّم العقيم والعلم الذي لا ينفع ، وأفضل التعلم ما يثير التفكير ويعمل على تنمية القدرات والابتكارات لدى التلميذ ، ويجب أن يهتم التعلم بالنواحي الفردية للتلاميذ ، ومراعاة مستواهم وحاجياتهم » (د/الدامرداش سرحان : ١٤٠١ ،ص٨٨).

ويرى الإمام أحمد بن حنبل أن لطريقة التدريس أثر على مدى تعلّم التلميذ وقدرته على التحصيل ويرى أن يكون الهدف من التعليم التفقه في الدين أولاً ، وتعريفهم بطريقة استخراج الأحكام واستنباط المسائل بحسب احوال التلاميذ ومستوياتهم الزمنية والعقلية وألاّ يركّز المعلم جهده على حفظ التلاميذ للمعلومات المعطاة لهم فقط حيث يقول : «ألاّ تكون غايته -الشيخ أو المعلم - أن يحفظ طلابه ويجمعون ، وإنما تكون غايته أن يعلمهم كيف يستخرجون الأحكام ، ويستنبطون المسائل ، وأن يعلمهم التفقه في دين الله قبل ذلك» (الدقر ، ١٤٠٨هـ:ص٨٤).

إذنْ فالإمام أحمد يرى أن الغاية من التعلم هو معرفة استنباط المسائل ، واستخراج الاحكام والتفقه في الدين ، وليس حفظ المعلومات ، لأن الحفظ مهما بلغت قوته ، فإنه سوف يؤدي حتماً إلى النسيان ، ولكن الفهم والقدرة على الاستنباط ، واستخراج الاحكام ، هي التي تبقى وتثبت لدى المتعلّم ، وهو يدعو بذلك المعلمين ويحثهم على التركيز على تعليم طلابهم وإفهامهم لما يعلمونهم ، لأن الفهم أساس القدرة على الاستنباط ، واستخراج الأحكام وليس الحفظ فقط ، فالحفظ في بعض المسائل والأحكام ، يكون ضرورياً ، ولكن لا يكون حفظاً بدون فهم ، بل يكون حفظاً بفهم أدى إلى الثبات والرسوخ للمعلومات في أذهان التلاميذ واتباع المعلم للطرق التربوية المناسبة لتلاميذه ، تحقق له الفائدة من التعلم ، وبها يظهر جهده ويستفيد طلابه ، أما التخبط في إلقاء المعلومات للتلاميذ ، أو عدم قدرة المعلم على استخدام الطريقة المناسبة التي يوصّل بها المعلومات إلى تلاميذه ، كل ذلك يؤدي إلى تضييع الوقت على التلاميذ ، كما يؤدي إلى عدم تحقيق الفائدة من التعلم ، بل قد يؤدي الأمر إلى نفور التلاميذ من هذا المعلم ومن المادة التي يقوم بتعليمها ، وحيث إن المعلم مؤتمن على فلذات الأكباد فعليه مسئولية كبيرة ، وأمانة عظيمة ملقاة على عاتقه ، فعليه أن يعمل جهده في اختيار الطرق التربوية المناسبة لتلاميذه والتي تحقق لهم أكبر قدر من المعلومات ، والمحافظة على أوقاتهم ، وعدم إهدارها ، لأنه محاسب أمام الله عز وجل عن ذلك ، لذا على المعلم أن يحرص أشد الحرص على إفادة تلاميذه ، وإكسابهم أكبر قدر من المهارات المعرفية ، وعدم إهمال الوقت وتضييعه فيما لا يعود على طلابه بالفائدة ، فالوقت ثمين وفي ضياعه في غير فائدة ضياع لطلابه «ولأن طرق التعليم أمر ذوقي ، وأمانة مودعة عند المعلم ، فمن أداها أثيب على أدائها ومن جحدها كان مطالباً بها » (إبن بدران الدمشقي ، ١٤٠١ :ص٢٠).

والباحث مما سبق يرغب أن يوضح إلى أي مدى اهتم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بأساليب وطرق التدريس ، ومدى ما تحققه من فائدة إذا أحسن المعلم استخدامها وفي استخدامها تسهيل للمعلم للقيام بعمله خير قيام ، وتسهيل للطالب في اكتساب المعلومات برغبة صادقة ، وبشوق كبير ، ويستطيع اكتساب اكبر قدر من الفائدة ، وبهذا يتضح من مدى ما وصل إليه علماء المسلمين من معرفة وإلمام بالأساليب التربوية وتأثيرها على تحصيل الطلاب ، حيث سبقوا بذلك علماء القرن الرابع عشر الهجري ، من العلماء الغربيين.

تعليم المرأة

لم تكن للمرأة في الجاهلية المكانة الطبيعية ، بل كان بعض العرب يتذمرون ويكرهون ولادة البنات لأحدهم قال تعالى « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشِر به ، أيمسكه على هُون أم يدسه في التراب ألا سآء ما يحكمون » سورة النحل آية (٥٨,٥٧)

فكان أسوأ خبر يسمعه أحدهم هو إخباره بأنه ولد له بنت ، وكثيراً ما كانوا يدفنون بناتهم في التراب أحياء خشية العار وقد لامهم الله سبحانه وتعالى في عملهم هذا بقوله تعالى «وإذا المؤودة سئلت ، بأي ذنب قتلت» سورة التكوير آية (٨,٧).

ثم جاء الإسلام ، وجعل للمرأة المكانة الطبيعية التي إرادها الخالق عز وجل لها وقرر لها حقوقا كما قرر عليها واجبات تؤديها ، فلها حقوق على والدها في حَسْن تربيتها والعناية بها ، وعلى زوجها بالبر بها ومعاملتها بالحسنى وتوفير حاجياتها ، وحَسْن معاشرتها ، ثم على الابن بالعطف والرحمة بها والبرّ بها والاحسان اليها ، خاصة في الكبر قال تعالى «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» سورة البقرة آية (٢٧٧).

كما أقر الاسلام حق الملكية الفردية للمرأة بقوله تعالى «وللنساء نصيب مما اكتسبن» سورة النساء آية (٣١). ومن الحديث قوله ﷺ :«استوصوا بالنساء خيراً ...» (متفق عليه) وقال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضم أصابعه» رواه مسلم» (رياض الصالحين: ١٤٠١هـ:ص١٣٨).

وقال ﷺ: « من ابتلي من هذه البنات بشيء فصبر عليهن وأحسن اليهن كن له ستراً من النار» متفق عليه ، (رياض الصالحين ،١٤٠١هـ: ص١٣٨).

وهذا يدل على إهتمام الإسلام بالمرأة ، وإعطائها حقوقها كاملة ، وصيانة عرضها وشرفها وإعطائها من الحقوق والواجبات ما يوفر لها الحرية ، والأمن ، والحياة الكريمة ، بعيدة عن الابتذال والامتهان والإكراه. كما اهتم الإسلام بتعليمها ما يتناسب مع طبيعتها الإنسانية ، وصفاتها الجسمية ، وقدراتها الانفعالية ، وقد جاء في الأثر «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وهذا يشمل الرجل والمرأة - والله أعلم-.

«إن الإسلام يريد من المرأة أن تبقى - كما هي فطرتها الأصلية - زهرة موقوفة على تعطير بيتها ، وجوهرة مصونة في يد زوجها ، وينبوعاً فياضاً بالعطف والحنان والتربية السليمة القوية لأولادها، يريد الإسلام المرأة ذات الدين ، صالحة الخلق ، لتكون خير متاع الدنيا لزوجها ، وأفضل معلمة لولدها وأوفى راعية لشرف بيتها » (أحمد جمال ، ١٣٩٥هـ: ص١٤٢).

أما ما يريده الخارجون على قانون الفطرة ، المفسدون لنظام الحياة فهو أن تكون المرأة رجلاً ، باسم المساواة بين الجنسين ، وبدعوى افتقادها للحرية والكرامة في ظل سيطرة الرجل عليها وهم - في الواقع - لا يبتغون من وراء ذلك إلا أن تخرج عن حماها المنيع ، وأن تنزل من عرشها الرفيع ، وتنسلخ من فطرتها الرقيقة الأبية إلى ميدانهم الصاخب ، لتنطبع بطبعهم ، وتعمل عملهم ، وتلهو لهوهم ، وتنساق إنسياقهم في التلذذ والتهتك والانحلال ، إنهم يريدونها سلعة وضيعة ، كما يريدونها دمية ليضعوا صورها في إعلانات السينما ، وأدوات الزينة والغسل والعطور ، وعلى أغلفة الكتب والمجلات ويوظفونها في مكاتب التجارة والسياحة ... لتجذب الزبائن ، فهم في الواقع يهينونها ويزعمون أنهم يكرمونها ، وشتان بين ما يريده الإسلام ، وما يريده هؤلاء الخارجون على النظام» (احمد جمال ، ١٣٩٥هـ:١٤٢)

وعن تعليم المرأة يقول الأستاذ/ (أحمد جمال ، ١٣٩٥هـ) «يرسل النسائيون الدعاوى العراض الطوال عن جهل المرأة المسلمة ، ويزعمون زوراً : أن الإسلام يحرمها من التعليم ، أو يحرمه عليها ، مع أن الإسلام لا يحرّم تعليم المرأة بل يحض عليه ، ويدعو إليه ، ويجعله فرضاً كما هو فرض على الرجل ، ولكنه لا يذهب بعيداً في مدى تعليمها ما لا تحتاج إليه في بيتها ، ومعاملة زوجها ، وتربية أولادها وشئون دينها ، فعلى المرأة - في نظام الإسلام ، أن تتعلم أحكام دينها وأركانه وواجباته وعباداته من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيره ، وعلى المرأة -كذلك- أن ترسخ عقيدتها الدينية ، وتتوجه إلى السماء دائماً لترفع بأعمالها وعقيدتها وتضحياتها في سبيل الزوج والأولاد ، عن المستوى الأرضي المادي الحقير. ولكن الإسلام - وهو يحث المرأة على التعلم - يريد منها أن تتعلم كل ما تستطيع أن تعلمه بدورها لمثيلاتها من النساء ، فتنتفع به بنات جنسها : كالطب النسائي ، وطب الأطفال ، والتمريض والتوليد ، والتدريس في

معاهد ومدارس البنات ، وإدارة هذه المدارس النسائية. حيث تؤدي خدمة إنسانية ، ووظيفة نافعة من ناحية ، وحيث تؤمن فتنتها والفتنة بها من ناحية أخرى ، إذ تؤدي عملها في محيط نسائي خاص ، والإسلام يحث على تعليم المرأة لمصلحة بيتها وأولادها ، فأولاد الأم المتعلمة تتوفر فيهم عادة الصحة والذكاء ومكارم الأخلاق لأنهم يعيشون مع أم تغذيهم فكريا وعاطفياً وخلقياً. إن المرأة كالرجل ، ميزتها وقيمتها الخلق لا العلم ، بل الخلق الحسن في المرأة مرغوب ومطلوب اكثر منه في الرجل ، لأنها مناط العفاف والشرف والكرامة بالنسبة للزوج والأولاد والأسرة كلها » (ص١٥١).

وحيث إن ما ذكر سابقاً هو ما يريده الإسلام من المرأة ولها ، العفاف ، وصون كرامتها ، وتعليمها ما تفيد به بنات جنسها ، أو تخدم النساء مثلها في الطب ، الصيدلة، التمريض ..... بحيث لا يودي ذلك إلى اختلاطها بالرجال ، وتساعد بذلك زوجها في نفقات حياتها «فقد عملت أزواج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بغزل الصوف وقام هو ببيعه وهو بذلك يضرب المثل على وجوب العمل على الرجل والمرأة باليد والفكر» (الجندي، ١٣٩٠هـ:ص١٤٩)

ومن عمل المرأة الذي يقرّه الإسلام ، طلب العلم والتزود بالمعلومات وبخاصة ما يفيدها في أمور دينها ، ويقوي عقيدتها ، ويرسخ إيمانها ، ويجعلها قادرة على تربية ابنائها تربية إسلامية ، قائمة بحقوق زوجها وأسرتها ، ينشأ بذلك المجتمع الصالح ، كذلك من أنواع العلم المطلوب للمرأة المسلمة ما يفيد في تعليم بنات المسلمين ويؤهلها للعمل في مدارس البنات ، على اختلاف مراحلها ، كذلك طلبها العلم لتعلم الطب النسائي ، حتى تقوم بالكشف وعلاج نساء المسلمين وبناتهم وكذلك تخصص التوليد وأمراض الأطفال والعمل في مجالات التمريض ، كل هذه الأعمال أباح الإسلام بل أوجب على المرأة المسلمة تعلّمها.

وقد كان للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مجلسان للتدريس أحدهما في المسجد لعموم تلاميذه والآخر خاص بالمنزل لتعليم أسرته ، وقد روى عنه الحديث «نساؤه وبعض نساء طلابه» (إبن الجوزي ، ١٤٠٢هـ:ص١٠٦).

ومن ذلك نتبين نظرة الإسلام للمرأة وتكريمها ، وصونها عما يدنسها ، ويذلها ، وما ينبغي عليها تعلمه.

الأساليب التعليمية

أ) المناظرة:

تقوم المناظرة في الغالب بين عالمين أو شيخين ، أو أكثر وتدور حول مسألة ما ، يبدي كل من المتناظرين وجهة نظره ، والأدلة التي يستند إليها – إذا كان ذلك في حكم شرعي – أو يوضح المبررات والحقائق العلمية التي تؤيد وجهة نظره ، ويتبارى في ذلك أعضاء المناظرة «المشاركون فيها» حتى يتم اقتناع الأطراف المتناظرة ، واجتماعهم حول نظرة واحدة ، ورأي واحد حول الموضوع المتناظر عليه.

ومن العصور التي كثرت فيها المناظرة ، عصر الإمام احمد بن حنبل رحمه الله. وذلك نتيجة إلتقاء الثمرات الفقهية والعلوم الإسلامية ، حيث يعتبر ذلك العصر ، عصر المناظرات ، بما فيها من جدل ونقاش ، وكان ابن قتيبة يمثل معركة التقاء الثقافات ، في كتابه اختلاف اللفظ فيقول: «كان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع ، والمستعمل من الواضح ، وفيما ينوب الناس ، فينفع الله به القائل والسامع وكان أكثر هذا التناظر في عهد ابن قتيبة» حيث خرج عن طلب الفائدة ، وأصبح يستعمل للانتقاد ، وإظهار لكل مذهب مذهبه ونقد غيره فصار فيما دق وخفي ، وفيما لا يقع ، وصار الغرض منه ، الغوص عن غريبة ، ورداً على متقدّم فهذا يرد على أبي حنيفة ، وهذا يرد على مالك ....» (د/التركي، ١٣٩٧هـ:ص٢٤).

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لا يحب الجدل ، وهو بطبعه ودينه وورعه أبعد الناس عنه ، ولكنه يتحرى البحث عن الحق ، فإن اعتقد أنه وصل اليه التزمه ، ودافع عنه المنافين له ، والمتشككين فيه ، ولكنه يعتمد في أدلته علي ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وكانت هناك مناظرة بين الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والإمام الشافعي رحمه الله حول تارك الصلاة» كما كانت هناك مناظرة بين الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله وبين الجهمية بحضور الخليفة العباس ، الواثق وقبله المعتصم حول «القرآن» وقول الجهمية أنه مخلوق» (الدقر ، ١٤٠٨هـ:ص٨٧).

أما في العصر الحاضر فيرى الباحث أن مثل تلك المناظرات معدومة ، ولم يعد هناك مجال لها ، ويرى أنه لو أعيدت لمناقشة كثير من الأمور التي تهم العامة ، سواء في مجال التربية أو غيرها من المجالات ، لأعطت مردوداً إيجابياً على الحضور ، ولاهتم العلماء بالبحث الدقيق كل فيما يخصه لإبراز جوانب قوته والجوانب التي يرى حسنها ، والأخرى التي لا يفضلها ، مع توضيح ما يراه من حقائق وحجج وبراهين لإثبات رأيه ، فهو اكثر فائدة .

ب) المذاكرة:

يرى الباحث ان هذا النوع من الأساليب التربوية غير موجودة الآن وخاصة بين العلماء بينما كان موجوداً بين العلماء قديماً ، فيجتمع عالمان أو اكثر ، ليذاكر بعضهم البعض الآخر ، وخاصة في مجال الحديث كما في عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ليتأكد كل منهم من صحة السند ، والطريق التي أخذ بها الحديث ، ومعرفة رجالاته .

قال الخلال ، حدثنا أبو بكر المروزي قال: «سمعت أبا عبدالله يقول ؛ كنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري فكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله ، فكنت أذاكره فربما ذكر تسعة أحاديث أو عشرة فأحفظها ». وقال الترمذي سمعت قتيبة بن سعيد يقول: كان وكيع إذا صلى العتمة فينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره وكيع ، فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ثم قال: يا أبا عبدالله أريد أن القي عليك حديث سفيان قال: هات ....» (إبن الجوزي ، ١٤٠٢هـ،ص٦١)

فالمذاكرة تفيد كلاً من المتذاكرين ويستطيع كل واحد منهما أن يصحح ما لديه من معلومات ، أو يتأكد من صحتها ، لذا يرى الباحث أن هذا الأسلوب التربوي مفيد جداً ، فلو تخصص لقاءات بين العلماء ، وأساتذة الجامعات وبين المعلمين ، ويعرض كلّ منهم رأيه ، وما لديه من علم عن موضوع معين ثم يناقش زميله أو زملاءه في المعلومات التي قدّمها ومدى صحتها ، من عدمها ، أو ما ينقصها خاصة أننا أصبحنا نعيش في زمن يمر سريعاً ، وتزداد المؤلفات والكتب في كل فنٍ من فنون العلم بشكل كبير ، قد لا يمكن العالم الإلمام بجميع جوانبها ، ففي عقد مثل هذه اللقاءات يعرض كل من العلماء ما اطلع عليه من أمور تخص هذا العلم أو ذاك. وبذلك تتحقق فائدة كبيرة

ويمكن ان يحضر هذه المذاكرة طلاب العلم للاستفادة منها ، وزيادة المعلومات ، والتعرف على الكتب والموضوعات التي تهم كل منهم ، وتساعده في تخصصه.

جـ) القراءة:

وتكون باسلوبين :-

أ) قراءة الشيخ أو المعلم على الطلاب. أو قراءة التلميذ على شيخه -معلمه-. وهذا الأسلوب التربوي يستخدم في عصرنا الحاضر في مادة القرآن الكريم ، حيث يقوم المعلم بقراءة الآيات المطلوبة أمام تلاميذه وهم يتابعونه في المصاحف وبعد انتهائه من القراءة يقوم التلاميذ بإعادة القراءة لتلك الآيات فرداً فرداً حتى يتأكد المعلم من سلامة نطقهم ، وتجويدهم لها. وهذه الطريقة تستخدم إذا كان عدد الطلاب قليلا بحيث يتمكن المعلم من سماع قراءة جميع تلاميذه ، أما في حالة كثرة عدد الطلاب فيقوم المعلم بالقراءة ومن بعده التلاميذ يرددون ما يقرأه عليهم المعلم.

كذلك يستخدم هذا الأسلوب حالياً في مادتي القراءة والأناشيد بحيث يقوم المعلم بالقراءة ثم يتبعه بعض الطلاب إذا لم يكونوا جميعاً ، وبذلك تتم إجادة التلاميذ لقراءة هذا الموضوع أو يتأكد المعلم من إجادتهم له أو حفظهم لموضوع الأناشيد.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يستخدم هذا الأسلوب حيث يقوم بالقراءة على شيخه ، قال عبدالله ابن الإمام احمد بن حنبل : حدثني أبي قال: «قرأت على يحيى بن سعيد ، وحميد بن عبدالرحمن» (ابن حنبل ، ١٣٤٩هـ:ص١١٤).

وقال عبدالله ابن الامام احمد بن حنبل «حدثني أبي وقرأته عليه» (ابن حنبل، ١٣٤٩هـ:ص١٩٨).

ففي الفقرة الأولى قراءة الإمام احمد بن حنبل على شيوخه ، والثانية قراءة ابن الامام احمد عليه وكلتا الحالتين تعني قراءة التلميذ على أستاذه لمعرفة مدى إجادة التلميذ للقراءة ، أو الموضوع المراد.

د) الكتابة:

تعتبر من أهم وسائل التربية - كما يرى الباحث -فيها يتم حفظ العلم من الضياع والنسيان ، وبواسطتها يتم نقل المعرفة ، والثقافة عبر الأجيال ، وهي الوسيلة للعلم والتقدم والحضارة على طول الأزمان ، وبها يقوم طالب العلم أو المعلم بتدوين ما يود الإحتفاظ به ، أو الرجوع إليه ، كما يتم بواسطتها تأليف الكتب ونقل المعارف من بلد إلى بلد ، وهي - كما يرى الباحث ايضاً - وسيلة من وسائل نقل ثقافة المجتمعات بين الدول ، وتعتبر أيضاً احدى الوسائل التي تدعو للخير إذا أحسِن استغلالها ، كما أنها قد تكون وسيلة من وسائل الغزو الفكري ، وتقاس كل أمة في تقدمها العلمي والصناعي ، باهتمامها بالكتابة والتدوين.

كما كانت الكتابة من وسائل الدعوة الإسلامية التي استخدمها الرسول ﷺ يدعو فيها حكام البلاد الأخرى إلى الاسلام مثل: قيصر الروم وكسرى فارس ، ومقوقس مصر ... وغيرهم «بعد صلح الحديبية حيث أرسل كتبه إلى هولاء مع بعض أصحابه ﷺ » ومنهم (سليط بن عمرو وعامر بن لؤي) إلى صاحب (اليمامة) ، و (العلاء بن الحضرمي) إلى صاحب (البحرين) و (عمرو بن العاص) إلى صاحب (عمان) و (حاطب بن أبي ثعلبة) إلى (المقوقس) صاحب الاسكندرية (مصر) (ودَحية بن خليفة) إلى (هرقل ملك الروم) (الطبري ، د.ت ص٨٥٢).

وقد كان العلماء الاجلاء يرسلون كتبهم إلى بعضهم للنصح والإرشاد والحث على التقوى وزيادة الطاعة لله سبحانه وتعالى ، فمن ذلك كتاب الإمام احمد بن حنبل رحمه الله إلى «يعقوب» يقول له فيه: «أما بعد: فإن الدنيا داء والسلطان داء والعالم طبيب ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليكم» (سبق التخريج ص١٤٢). وفي هذه الرسالة ما فيها من النصح والإرشاد ، كما أن الإمام الشافعي رحمه الله ، أرسل إلى الإمام احمد بن حنبل - قبل المحنة - يخبره بما رآه في المنام حول المحنة . ويبشره بها.

ويرى الباحث: أن الكتابة ضرورية جداً لطالب العلم حيث يدون ما يريد تعلّمه ، ليستفيد منه في مذاكرته ، وخاصة طلاب العلم الذين يدرسون في المدارس في العصر الحاضر ، فيرى الباحث أن عليهم الاهتمام بتدوين العلم وما يمليه أو يكتبه لهم المعلم لما

في ذلك من الفائدة الجمّة ، والخير الكثير ومساعدتهم على التحصيل الجيد . وأن يكون التدوين بخط واضح مقروء . ويرى أن على المعلمين وخاصة من يجيد الخط أو معلمي مادة التربية الفنية ، ومادة الخط ، أولاً أن يحسن اختيارهم لتدريس هاتين المادتين من قبل إدارة التعليم ، ومديري المدارس ممن يجيد الخط ويتقنه .

ثانياً : أن يهتم أولئك المعلمون بتدريس هاتين المادتين بشكل جيد وخاصة مادة الخط بتدريب طلاب العلم على أسلوب وطريقة الخط الجيد ورسم الأحرف الرسم الصحيح - ويكون ذلك بأنواع الخطوط خاصة (خط الرقعة) وخط (النسخ).

والإمام احمد بن حنبل كان يوصي أبناءه بكتابة ما يتلقونه من مشايخهم ، حيث قال لإبنه عبدالله «اذهب اكتب في المسجد عن هؤلاء الشيوخ حتى تحف يدك» (ابن عماد، د.ت. الحنبلي، ص٣١)

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ينهى عن الكتابة بخط دقيق ، فربما خانت صاحبها وقت الحاجة اليها فلا يستطيع قراءة ما كتب ، وحتى لا يضيع من العلم شيء بسبب سوء الخط أو ردائته ، وهو صاحب الحكمة المشهورة «مع المحبرة إلى المقبرة».

كما أن الكتابة ضرورية للعالم بتدوين بعض ما عنده من علم ، وتساعده في تأليف الكتب التي يفيد بها الناس ، وتساعد على نشر العلم والثقافة بين أفراد المجتمعات ، وبذلك يحفظ العلم من الضياع والفقدان بسبب عدم الكتابة.

هـ) الرحلات:

كانت الرحلات إحدى الوسائل التي تستخدم في طلب العلم ، فقد كان طلاب العلم يتنقلون من مدينة إلى أخرى ، ومن بلد إلى بلد آخر لطلب العلم ، وقد قام الإمام احمد بن حنبل بعدة رحلات لطلب العلم داخل العراق ، بين مدنه مثل الري ، البصرة ، الكوفة ... وكما قام برحلات إلى خارج العراق حيث زار مكة عدة مرات لأداء فريضة الحج ، وتقابل فيها مع (الإمام الشافعي) رحمه الله كما قام الإمام احمد بن حنبل رحمه الله برحلة إلى اليمن لتلقي العلم عن عالمها (عبدالرزاق الصنعاني) ، وكان قد تقابل معه في مكة قبل الذهاب إلى اليمن ، ولكنه فضل الرحلة إلى اليمن لمقابلته هناك والأخذ عنه ، ولم يكتف بلقياه في مكة ، حيث لم يأخذ عنه شيئاً ، بل غضب من زميله في تلك الرحلة يحيى بن معين حيث أخذ موعدا من الشيخ عبدالرزاق لمقابلته في مكة والأخذ عنه ، ولشدة اهتمام العلماء

الأفاضل قديما بالرحلة في طلب العلم «فقد كانوا في العصور الأولى لا يعدون الرجل محدثاً حتى يرحل إلى بلاد الإسلام ، يلتقي بكبار علمائها ، وحفاظها - خاصة مكة المكرمة ، والمدينة المنورة - فيروي عنهم ، وينتقي ، ويكتب ، ويصل سنده بسندهم » (الدقر ، ١٤٠٨هـ:ص٣١).

أما في العصر الحاضر ، فقد توجد ما يسمى برحلات داخلية لطلب العلم خاصة للمرحلة الجامعية ، حيث ينتقل طلاب العلم من القرى أو المدن الصغيرة التي لا يوجد بها جامعات إلى المدن الكبيرة للدراسة بجامعاتها ، كما قد توجد رحلات لطلب العلم إلى خارج البلاد وهو ما يسمى بالإبتعاث لإكمال الدراسة ، ولكن مع توفر المؤسسات العلمية ، وتقدمها ، أصبح هذا النظام قليلاً جداً ، لتوفر وسائل العلم ، والجامعات التي تغطي الدرجات العلمية العالية في نفس البلاد ، وأصبح الابتعاث قاصراً على فئة محدودة وتخصصات نادرة.

ويرى الباحث: عدم الحاجة إلى السفر إلى خارج البلاد لتلقي العلم ، ما دام ذلك متوفراً داخل البلاد ، نظراً لما قد يلاقيه طلاب العلم في الخارج من مشكلات عديدة ، بسبب اختلاف العادات والتقاليد ، والأخلاق والأديان في البلاد التي يذهبون إليها ، عنها في بلدهم الأصلي ، وذلك لتوفر جميع الدرجات العلمية والتخصصات داخل البلاد.

أما الزيارة للتعرف على حضارة البلدان المختلفة ، والاطلاع على تقدمها ونهضتها ، ومعالم الحضارة بها ، وزيارة المكتبات المشهورة بها للاطلاع على أحدث ما توصل اليه العلم في ذلك البلد فيرى الباحث أنه لا مانع من ذلك ، شريطة أن يتزود طالب العلم بالتعمق بالدين الإسلامي ، وأن يلتزم بأخلاقه وآدابه الإسلامية خلال إقامته في ذلك البلد ، بحيث يكون قدوة صالحة وداعية إلى الخير ، وأن يتجنب الأماكن التي تسيء إلى سمعته وسمعة دينه وبلده.

و - المراسلة:

كانت المراسلة من إحدى الأساليب العلمية التي كانت تستخدم في عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقبله. فقد استخدم نبي الله سليمان ذلك الأسلوب عن طريق الهدهد لدعوة ملكة اليمن «بلقيس» للدخول في الإسلام.

كما استخدم هذا الاسلوب الرسول ﷺ في دعوة الملوك والحكام للدخول في الإسلام.

استخدم كثير من العلماء هذا الأسلوب ومنهم الإمام أحمد بن حنبل حينما أرسل إليه الخليفة المتوكل يسأله عن خلق القرآن فرد عليه بما يراه حول خلق القرآن.

أما في العصر الحاضر فأصبحت الإستفادة من هذا الأسلوب قليلة الفائدة ويقتصر كما يرى الباحث في هذا العصر على توجيه سؤالاً لأحد المشايخ أو العلماء الأفاضل للتعرف على حكم من الأحكام ، والاستئناس برأيه في مسألة من المسائل ولم تعدلها تلك الأهمية السابقة.

تُوَجّه لكثير من مكاتب هيئة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية كثير من الأسئلة لمعرفة بعض الأحكام أو المسائل المتعلقة بالدين. ويرى الباحث أن تقوم إحدى دور النشر أو أحد العلماء المهتمين بجمع تلك الرسائل والإجابة عليها واصدارها في كتب لكي تعم منها الفائدة أكثر في كل بلد وعصر.

ز - التقريب وضرب الأمثلة:

كان هذا الأسلوب ولا يزال من وجهة نظر الباحث ذا أهمية كبيرة في سبيل توصيل المعلومة إلى طالب العلم ، وقد استخدم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هذا الأسلوب في الرد على الجهمية في إنكارها لصفات الله سبحانه وتعالى. واستخدم في ذلك إحدى مخلوقات الله وهي النخلة وهي من الأشجار التي كانت معروفة في ذلك العصر في العراق.

أما في العصر الحاضر فيرى الباحث أن هذا الأسلوب أسلوباً تربوياً ناجحاً خاصة مع بعض الطلاب في تقريب المعلومة وتبسيطها لطلاب العلم في توضيح ما يصعب عليهم فهمه ، فيحاول تقريب المعلومة المرادة عن طريق ضرب الأمثلة أو الإستعانة في ذلك ببعض ما هو معروف في بيئة الطالب ، ويستطيع إدراكه حسب مستواه العلمي وعمره الزمني وبذلك يستطيع المعلم إيصال تلك المعلومة إلي طلابه في وقت قصير وبجهد أقل.

ح - أسلوب الأسئلة:

هذا الأسلوب كان أحد الأساليب التي كانت تستخدم في العصور السابقة للحصول على المعرفة وزيادة العلم ، وكانت لها أهمية عظمى في الجانب التعليمي في تلك العصور . فقد كان طلاب العلم والعلماء يعتمدون عليها كثيراً في تلقي وإعطاء الدروس ، والدليل على ذلك كثرة المسائل التي اشتهر بها ورويت عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولكن يرى الباحث أن هذا الأسلوب التربوي في عصرنا الحاضر فقد كثيراً من أهميته وخاصة في التعليم في المدارس وسبب ذلك كما يرى الباحث أن التعليم في العصر الحاضر أولاً : يعتمد على مناهج ومقررات دراسية محددة ومعروفة ، ومهمة المعلم هي شرح تلك الدروس والموضوعات المحددة فقط دون الخروج عليها.

وثانياً: لقلة الأسئلة التي توجه من طلاب العلم للمعلم: إما بسبب فهمهم لجميع ما يعطيه لهم المعلم ، وإما لأنهم يعتبرون السؤال عيباً ، يقلل من قيمة الطالب لدى زملائه ، وهذا الجانب يعتبره الباحث قصوراً في فهم طلاب العلم ، ويرى أن على المعلمين أن يشعروا طلابهم بأهمية الأسئلة والاستفسار عن المعلومات التي تعطى لهم. كما يرى أن الدرس يجب أن يكون - خاصة في المرحلة الإبتدائية - بطريقة الحوار ، الأسئلة من المعلم والإجابة من التلاميذ حتى تتحقق مشاركة التلاميذ في الدرس ويكون أكثر تشويقاً وجذباً لانتباههم واهتمامهم اليه.

أما اكثر الأسئلة في عصرنا الحاضر فتوجه إلى العلماء والمشايخ بقصد الاستفسار عن حكم من الأحكام ، أو مسألة من المسائل ، يريد السائل الاستفسار عنها ، وتكون في المواضيع العامة ، وليست في حلقات العلم ، ويرى الباحث - أن مثل تلك الأسئلة يجب أن تجمع وتوضع في كتب وخاصة تلك الموجهة إلى العلماء الأفاضل من أعضاء هيئة كبار العلماء . وتجمع هذه الأسئلة مع الإجابة عليها وتوضع في كتب حتى يمكن الاستفادة منها لفئات كثيرة من طلاب العلم ، في شتى بقاع المعمورة - وقد طبعت بعض الكتيبات الصغيرة التي تجيب عن بعض الأسئلة التي توجه إلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، وفضيلة الشيخ محمد صالح ابن عثيمين - عن أحكام الصلاة والطهارة. ويرى الباحث حصر جميع الأسئلة المفيدة التي توجه لجميع كبار العلماء ونشرها في كتب حتى تعم الفائدة.

المنهاج:

«المنهج في ظل التربية التقليدية لم يكن يتضمن سوى المقررات الدراسية ، وذلك هو المفهوم الضيق للمنهج ، ولقد ترتب على ذلك كثير من النتائج وخاصة فيما يتصل بوظيفة المدرسة وطريقة أدائها لهذه الوظيفة ، فأصبح أداؤها قاصراً على الاهتمام بالجانب المعرفي ، وإهمال الجوانب الاخرى ، وقد أدى ذلك إلى العَزلة بين المدرسة والحياة إذ قلما ترتبط بحياة التلاميذ ، كما أدى ذلك إلى إهمال الجانب التطبيقي ، وإلى تقييد حرية المعلم ، حيث أصبح لا يستطيع أن يتحرك إلاّ في مجال شرح الدروس وتحفيظها وتسميعها » (د/الدامرداش سرحان،١٤٠١هـ:ص١٤)

وبتحديد أهداف المنهج بالمقررات الدراسية نتج عن ذلك ، عدم استطاعة المدرسة أن تحقق ما كان مأمولاً منها ، ولم تستطع تحقيق رسالتها ، نحو إعداد المواطنين القادرين على القيام بجميع مسئوليات الحياة وواجباتها ، وأوجدت لذلك عزلة بينها وبين القيام بمسئولياتها في إيجاد الأجيال القادرة على القيام بمسئولياتها.

ثم بالنظر إلى وظيفة التربية ، وأنها ليست قاصرة على تزويد الطلاب بالمعلومات فقط ، حيث أصبحت وظيفة التربية هي تعديل السلوك وفق مطالب وحاجات المجتمع عن طريق إعادة بناء خبرات الفرد وتعديلها ، وتحقيق نمو الفرد في الاتجاهات المناسبة ، وبذلك أصبح مفهوم المنهج الواسع يتضمن جميع ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها ، تحقيقاً لرسالتها الكبرى ، في بناء البشر وفق أهداف تربوية محددة وخطة سليمة تساعد على تحقيق نمو الأفراد الشامل جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً ، وأصبح يتضمن ، المقررات الدراسية ، والكتب والمراجع ، الوسائل التعليمية ، والنشاطات والامتحانات وأسلوب التقويم ، وطريقة التدريس ، والمرافق والمباني والمعدات » (د/الدامرداش سرحان،١٤٠١هـ:ص١٧).

لقد أصبح منهج المادة الدراسية يشمل إحدى هذه المناهج ، ومنهج المواد الدراسية المترابطة الذي يحقق الترابط وثيق العلاقات بين المواد الدراسية ، ومنهج المجالات الواسعة ، والذي يعمل على إزالة الحواجز الفاصلة بين مجموعة المواد سواء في مجال واحد أو أكثر ، ومناهج تدور حول أساسيات المعرفة ، يعتمد على التركيز على

أســاسـيــات المادة ومــفــاهيــمــهــا بدلاً من الحــقــائق » (د/الدمــرداش سرحان،١٤٠١هـ:ص١٥٩).

وكان منهج الإمام أحمد بن حنبل هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ ، وكان يرى أن يبتـديء طالب العلم أولاً بالقرآن الكريم ، لأن ذلك يغرس في نفس المتعلم حبه وتعوده على القراءة . يقول في ذلك حينما سئل عن أحب شيء يبدأ به التعليم فقيل له: «أيما أحب اليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث قال: لا ، بالقرآن ، فقيل أعلمه كله ؟ قال: إلا أن تَعْسَر عليه فتعلمه منه ، إذا قرأ أولاً تعود القراءة ولزمها » (سيد الأهل،١٣٩٢هـ:ص٥٨).

فمنهج الإمام أحمد رحمه الله هو القرآن الكريم ورأيه أن يبدأ تعليم الطلاب بالقرآن الكريم منذ صغرهم لأن في ذلك رسوخه في عقولهم ، وتأثيره على سلوكهم ، فإذا كان ذلك صعباً عليهم أو على بعضهم ، فينصح أن يتعلم منه ما يستطيع أولاً قبل بداية تعليمه أي شيء آخر.

كذلك فإنه كان يتمسك بما أفتى به صحابة رسول ﷺ، لأنه كان يعلم فضلهم ، ومدى علمهم ، ومكانتهم في الإسلام. «وقد أجاب -الإمام أحمد رحمه الله – في ستين مسألة بقال الله ، وقال رسول الله ﷺ ، ثم بما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم بما عليه سلف الأمة » (الدقر،١٤٠٨هـ:ص٥١).

عندما جعل الإمام احمد بن حنبل رحمه الله القرآن الكريم منهجا للتربية كان مقتدياً في ذلك بسيد الأولين والآخرين ، نبينا محمد ﷺ ، حيث اقتصر في تربيته لأصحابه على القرآن الكريم ولم يكن ذلك لقصور أو لعجز في الثقافة السائدة في ذلك العصر ، فقد كانت هناك العديد من الثقافات والحضارات التي كان يمكن للرسول ﷺ وسلم أن يستعين بها في تربيته لأصحابه مثل الحضارة الرومانية ، الفارسية والمصرية....، ولكنه ﷺ نظر في حالها ونتائجها فوجد أنها لا تصلح لتربية الأجيال ، كما يصلح القرآن الكريم ، لذا نجح عليه الصلاة والسلام في تربيته ، وكانت النتيجة أنه استطاع أن يصنع جيلاً من الرجال كل منهم قرآن يمشي بين الناس ، ، وأين كان هؤلاء الرجال العظام يتلقون تعليمهم ؟ هل كان ذلك في الأبنية الحديثة المتوفر بها جميع وسائل الراحة ، والتي توفر لهم ما يحتاجون اليه من ملبس ، ومأكل ، وأدوات دراسية

وسيارات تنقلهم إلى مدارسهم وتعيدهم منازلهم .... الخ ؟ لا ، إنهم كانوا يتلقون تعليمهم في بيت الله «في المسجد» ذلك الصرح الشامخ الذي تخرج منه العلماء والقادة من أمثال:أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم كثير. ثم تخرج من المساجد علماء الأمة فيما بعد أمثال: أحمد بن حنبل ، مالك بن أنس وابن تيمية وابن القيم .. وغيرهم.

ذلك المنهج الذي استطاع به الرسول ﷺ في مدة ثلاثة وعشرين سنة ، أن يغير حال أمة العرب - بفضل الله - والمجتمع العالمي بعد ذلك.

فقد كان حال العرب قبل الإسلام يختلف عن حالهم بعده ، فقد أصبحوا سادة الدنيا بعد أن كانوا مستضعفين ، وأمة واحدة بعد أن كانوا متفرقين ، وأصبحوا إخواناً بعد أن كانوا أعداء ، دعاة إلى التوحيد الخير والصلاح بعد أن كانوا وثنيين عَبّاد أصنام وأوثان ، دعاة إلى الفساد والضلال ، كما غير أيضاً من حال الأفراد حيث استطاع أن يجعل من المخربين بناة حضارة ، وان يجعل من الجهلة أساطين علم ، وأن يجعل من الوثنيين ربانيين ، وأن يجعل من قطاع الطرق دعاة إلى الأمن والسلام ، بأي شيء فعل ذلك ؟ إنه بفضل الله ثم بفضل المنهج التربوي الذي اتبعه الرسول ﷺ مع أصحابه ، ولأنه لم يستمع إلى أفكار الآخرين ، فيما يسمى بالنظريات التربوية الحديثة ، وإنما رباهم على المنهج الرباني الذي تربى عليه.

فالنظريات التربوية الحديثة تهتم بالماديات ، وتهتم ببناء الجسم ، ولكنها تغفل الاهتمام بالروح ، والقرآن الكريم يهتم بالروح وبالجسم معاً. لذلك كان منهج الامام أحمد بن حنبل رحمه الله، القرآن الكريم لذا يرى الباحث أنه يجب الاهتمام بالقرآن الكريم ، فهو دستورنا ، وهو قائدنا ، الى الخير إذا طبقناه وتعلمناه ، كما كان يتعلمه العلماء السابقون ، قادنا إلى النصر في الدنيا ، والفوز بالجنة في الآخرة ، كما يرى الباحث انه يجب الإهتمام بتعليم التلاميذ من بداية المرحلة الإبتدائية القرآن الكريم والتركيز عليه ، مع إعطاء قدر من القراءة والكتابة يتمرن عليها ، ولكي تتحقق الفائدة من التعليم ، اما إرهاق التلميذ من الصف الاول بعدد من المواد الدراسية والمقررات ، فإن ذلك يتسبب في تشتيت ذهنه ، وقلة تحصيله ، فنرى أبناءنا من بداية العام الدراسي الأول لهم يحملون على ظهورهم كميات كبيرة من المقررات الدراسية وأدوات الكتابة وغيرها ، يعجزون عن حملها ، وتثقل كواهلهم من حملها ، فكيف يتعلمون جميع ما فيها ؟

الزامية التعليم

اهتم الإسـلام منذ بداية نزول الوحي على الرسـول ﷺ بالعلم والتعليم لأهميته القصوى في حياة الأمة ، فكان أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسـان من علق ، إقـرأ وربك الأكـرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم» (سورة العلق (١-٤)).

ثم اهتم الرسـول ﷺبتعليم أصحابه القرآن حين نزوله عليه ، واهتموا بتعلمه وتطبيق أحكامه في حياتهم ، وفي غزوة بدر كانت الفدية لبعض أسرى قريش تعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة »هذا يدل على أهمية التعليم. وقد قرر ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال: ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم»

والآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم كثيرة جداً.

وفي العصر الحاضر اهتمت الدول بنشر التعليم بين شعوبها ، وأخذت تنفق الأموال الطائلة في سبيل نشره ، ومكافحة الأمية ، ولكل بلد مرحلة تعليمية معينة يكون التعليم فيها إلزامياً لجميع أبنائه حسب مستوى ذلك البلد التعليمي والاقتصادي ، وبعض الدول مثل المملكة العربية السعودية لم تكتف بإلزامية تعليم أبنائها ، بل جعلت هناك مكافآت مادية لطلاب العلم ، لتحثهم على تحصيله والاستمرار في ذلك ، ووفرت المقاعد الدراسية لجميع الطلاب في جميع المراحل مع تقديم كافة التسهيلات ، من مباني حديثة ، ووسائل تعليمية ، ومختبرات .... كما قامت بتأمين نقل الطلاب من منازلهم إلى مدارسهم بسيارات خاصة تؤمنها الجهة المسئولة -مثل وزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات ، أو الجامعات-.

لم يقتصر الإهتمام بتعليم البنين فقط وإنما شمل الاهتمام البنات أيضا ، مع توفير جميع الوسائل التي تساعدهن على التعليم دون اختلاط بين الجنسين. ومن اهتمام المملكة العربية السعودية بالتعليم أنها جعلت ثلاث هيئات رسمية تشرف اشرافاً فعلياً على التعليم وهي: وزارة التعليم العالي ، ووزارة المعارف ، والرئاسة العامة لتعليم البنات ، عدا الخدمات التعليمية التي تقدمها وزارة الدفاع والطيران والحرس الوطني ، ووزارة الداخلية ، والإدارة العامة للتدريب المهني .

كما قامت وزارة المعارف بافتتاح مدارس محو الأمية وتعليم الكبار في مختلف مناطق المملكة وبعدد وافر من المدارس لتعليم من فاتهم سن التعليم ، كما تقوم في كل عام بافتتاح عدد من المدارس الصيفية لتعليم الكبار في الهجر البعيدة وتكون مدة الدراسة فيها طوال فصل الصيف ، كما افتتحت الوزارة أيضاً المدارس الليلية لمن أرادوا اكمال دراستهم المتوسطة والثانوية ليكملوا فيها تعليمهم ، كما قامت الرئاسة العامة لتعليم البنات في المملكة بافتتاح العديد من مدارس محو الأمية لمن فاتهن قطار التعليم في صغرهن ، وخصصت مكافأة مالية مقدارها ألف ريال لمن تتم مرحلة محو الأمية وتعليم الكبار.

كما تقوم الرئاسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بتدريب الطلاب على مختلف المهن والحرف ، وتقدم لهم المكافآت المجزية ، وإعانة تصل إلى مائة ألف ريال للمتخرج لفتح محل يزاول فيه ما تدرب عليه.

واجب المجتمع تجاه المعلمين وطلاب العلم

لا يمكن لأحد أن يغفل أثر المجتمع وأهميته القصوى في عملية التعليم وتأثيرها في سلوك أبنائه ، ويعتبر المجتمع أحد الدعائم الأساسية لعملية التربية ، فهو يساعد على تعزيز الأخلاق الحميدة ورسوخها عند أبنائه من طلاب العلم ، إذا كان مجتمعا صالحاً ، كما يساعد في سلامة عقيدتهم ، وبناء شخصياتهم وأخلاقهم الفاضلة. وقد يكون المجتمع مدمراً لعقيدتهم وأخلاقهم الإسلامية ، إذا كان مجتمعا غير صالح ، وقد يخلق لدى أبنائه شخصيات مزدوجة ، حيث يتعلم هولاء الأبناء الأخلاق الحميدة الإسلامية في المدرسة ثم يجدون في المجتمع عكس تلك الأخلاق والصفات ، فتنشأ لدى أفراده الازدواجية وانفصام الشخصية ، والمجتمع في الإسلام كتلة واحدة مترابطة متماسكة ، يتعاونون على الخير ، والبر ، ويتناهون عن المنكر ، يحرص بعضهم على سلامة البعض الآخر ، يشاطرونهم أفراحهم وأحزانهم ، يقفون معاً وقت الشدة ، يتحابّون في الله ، يتفقدون بعضهم ، فيزورون المريض ويواسون المحزون ويشاركون في الأفراح والأتراح وقد قال الرسول ﷺ عن المجتمع في الإسلام وعن العلاقة بين أفراده «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» صحيح البخاري ٣٧/٤.

وعن تأثير المجتمع ودوره في حياة أبنائه يقول (د/ابراهيم ناصر، ١٤٠٤هـ) «مما لا شك فيه أن المجتمع مدرسة كبيرة يتلقى فيها الفرد دروساً عملية كثيرة ، قد لا يتيسر له أن يتلقاها في حياته على مقاعد الدراسة العادية ، ومن المجتمع يكتسب الفرد ما لديه من السلوك ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن الفرد يتلقى من المجتمع دروساً مختلفة الأنواع والصور» (ص٦٧).

كما أن المجتمع لا يغفل الدور المهم الذي تقوم به المدرسة لتعليم أبنائه ، وما تبذله من جهود في سبيل تحقيق سعادة المجتمع ونجاحه ، وإعداد أبنائه إعداداً سليماً على أسس علمية مبنية على عقيدة إسلامية صحيحة حتى يصبحوا بذلك من أفراد المجتمع الصالحين ، وليقوموا بخدمة هذا المجتمع خير قيام ، كذلك المعلمون ، فهم الذين يتحملون المسئولية في اعداد أبناء المجتمعات إعداداً سليماً صالحاً ، ليكونوا خير عون

لمجتمعهم ، وبُنَاة صالحين لهذا المجتمع ، يقدمون لهؤلاء الأبناء حصيلة علمهم وتجاربهم في الحياة ويتحملون في ذلك الكثير من الجهد والعناء ، بنفوس راضية ، وقلوب مفعمة بالحب والإخلاص للمجتمع وأبنائه ، رغم ما قد يجدونه من سوء معاملة من بعض طلابهم ، أو بعض أفراد المجتمع ، وقد يغفل المجتمع الدور الكبير والمهم الذي يقوم به المعلمون في سبيل تعليم أبنائهم ، ولا يقدّرون ما يبذلونه من جهد ، وما يعانونه من متاعب في سبيل ذلك ، مما يولد العتب في نفوس المعلمين على ما يلاقونه ، وما يجدونه من سوء معاملة المجتمع لهم.

يتناسى أبناء المجتمع أن مهنة التعليم هذه هي مهنة الأنبياء وأن العلماء هم ورثة الأنبياء في الأرض وقد يقول الله تعالى في شأن العلم والعلماء : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والدين أوتوا العلم درجات » سورة المجادلة آية (١١) وقوله تعالى « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء » سورة فاطر آية (٢٨) وقوله تعالى «وقل رب زدني علماً» سورة طه آية (١١٤)

وقال ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء » وقال ﷺمن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » وقال ﷺ «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين » (البخاري ، فتح الباري ،١٤٠٩هـ: ص١٩٣).

فالله سبحانه وتعالى قد بين مكانة العلماء وعلو مرتبتهم ، كما بين الرسول عليه الصلاة والسلام مكانة العلماء وأنهم ورثة الأنبياء لنشر العلم بين الناس. وقد قال الإمام احمد بن حنبل رحمه الله «والواجب على المسلمين أن يقدموا خيارهم ، -في الصلاة- ، وأهل الدين ، والأفضل منهم أهل العلم بالله تعالى ، الذين يخافون الله ويراقبونه» (ابن حنبل ، ١٣٥٦هـ: ص٩).

وهو بذلك يحث المجتمع على الاهتمام بالعلماء وطلاب العلم واحترامهم وتقديرهم ، وتقدير ما يقومون به من جهد في تحصيل العلم ، ومكانتهم التي رفعهم الله إليها ، وقال صالح بن احمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: «من عظّم أصحاب الحديث تعظّم في عين رسول الله ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ، لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله ﷺ » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢هـ:ص١٨٠).

وفي هذا تصريح بوجوب الاهتمام والتقدير والإحترام لأهل العلم وطلابه ، فمكانتهم عظيمة ودورهم خطير ، ومسئوليتهم جسيمة ، فبصلاحهم تصلح المجتمعات ، وبإخلاصهم وبجهدهم تنهض الأمم ، وينتشر العلم ، وتحتل الأمة المكانة المرموقة بين دول العالم ».

كما يقول الإمام أحمد رحمه الله حينما أقبل عليه أصحاب الحديث وبأيديهم المحابر فأومأ إليها وقال: «هذه سرج الله » لعظم أهميتها ، وعلو مكانها ، «وقد أشار القرآن الكريم إلى دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم ، وإلى أن وظيفتهم الأساسية دراسة العلم الإلهي وتعليمه كما أشار القرآن إلى أن من أهم وظائف الرسول ﷺ تعليم الناس الكتاب والحكمة ، وقد بلغ من شرف مهنة التعليم أن جعلها الله من جملة المهمات التي كلف بها رسوله ﷺ .... ويتضح من ذلك أن للمربي وظائف أهمها:

١) التزكية والتطهير والسمو بالنفس لمعرفة بارئها وإبعادها عن الشر،والمحافظة على فطرتها .

٢) التعليم أي نقل المعلومات والعقائد والمعارف إلى عقول المؤمنين وقلوبهم ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم » (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ،ص١٥٤). أي أن المعلم مربي ومؤدِب معاً ، ولذا فينبغ ي أن تشمل كلمة التربية علي التعليم والتأديب ، بتوجيه السلوك وتهذيب الأخلاق.

لذا يرى الباحث أن على أفراد المجتمع احترام العلماء ، وطلاب العلم وتقديرهم للدور الهام الذي يقومون به ، لأنهم أسس وعماد الأمة ، في أي زمان ومكان ، ومن عوامل تطوّرها ونهوضها ، والمجتمع الذي يقوم أفراده باحترام العلم والعلماء وتقدير ما يقومون به ، وما يبذلونه من جهود مجتمع متحضر واعٍ ، فبدون العلماء والمعلمين لا تقوم للمجتمع قائمة ، ولن يبلغ المجتمع من التقدم والرقي والإزدهار شأواً بعيداً ، إلاّ بالإهتمام بالعلم والعمل على توفير الراحة للعلماء وتيسير سُبَل العلم لطلابه ، وتوفير ما يحتاجونه في سبيل طلبه.

كما يرى الباحث أنه من جهة التقدير والإحترام لدور المعلم ، وما يبذله ، أن يقام حفل تكريمي في نهاية كل عام دراسي ، يتم فيه تكريم المعلمين المثاليين ، كما يرى أن تكون في وسائل الاعلام من «تلفاز ، وإذاعة ، وصحافة ، برامج توضح جهود المعلمين

وتحث أبناء المجتمع على احترامهم وتقدير جهودهم ، وتوضيح ما يعانون من مصاعب جمة ، خلال تأديتهم عملهم سواء من المسئولين المباشرين عنهم ، من مدراء المدارس من تعنت وعدم احترام وتقدير ، إلى الموجه وأسلوبه في التوجيه الذي يستخدمه مع المعلم.

كما يرى الباحث أنه يجب ان يكون هناك كما سبق في نهاية كل عام دراسي حفل كبير يتم فيه تكريم المعلمين المثاليين ، مع نشر ذلك في وسائل الإعلام ، تشجيعاً لهم ، وحافزاً لغيرهم من المعلمين للسير على نفس الطريق ، والجد والاجتهاد ، ليحصلوا على ذلك التكريم.

كما يرى الباحث: أن يخصص أسبوع في العام الدراسي لتكريم المعلم تشارك فيه جميع القطاعات في كل منطقة ، مع مساهمة وسائل الاعلام ، وتتضمن برامجه ، توضيح دور المعلم ، وإبراز ما يقوم به من جهود .... ويكون ذلك مثل الأسابيع التي تقام سنوياً مثل أسبوع المرور ، المساجد ، الشجرة .... كما يتم طبع ملصقات وتوزيعها عن أهمية العلم ، ودور المعلم .... فذلك يعطي للمعلم بعض المكانة والاحترام المفقود حالياً.

الفصل الخامس

النتـــائج والتـــوصـــيـــات

أولاً : النتائج.

ثانياً : التوصيات.

أولاً: النتائج

١) ضرورة الإخلاص في طلب العلم ، وحث الطالب على أن يخلص النية في طلبه ، وألا يكون همه وغايته الحصول على وظيفة أو منصب ، فيجب بث هذا الشعور في نفوس الطلاب وترغيبهم في ذلك من خلال الأدلة والنصوص وسيرة علماء الأمة.

٢) طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وقد اهتم الإسلام منذ بدء نزول الوحي بالعلم وحثّ على طلبه ، لذا فقد إهتمت والدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بتعليمه القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف ، واللغة والأدب ، وقد بذل الإمام أحمد جهوداً كبيرة في طلب العلم استغرقت مدة طويلة من حياته تصل إلى أربع وعشرين سنة ، قضاها في طلب العلم ، والتنّقل من مدينة لأخرى ومن دولة لأخرى طلبا للعلم ، فتجوّل داخل العراق وأخذ عن مشاهير العلماء بها ، ثم رحل إلى الحجاز واليمن ، وغيرها بقصد طلب العلم ، بناء على رغبة جامحة ، وعشق كبير للعلم والعلماء.

٣) لقد تحمّل الإمام أحمد بن حنبل في سبيل طلب العلم كثيراً ، وعانى أكثر من صعوبة التنقل ، لعدم وجود ما يكتري به دابة لركوبها أثناء السفر ، فقد كان يعيش عيشة الكفاف ، وفي بعض الأوقات يعيش أقل من الكفاف ، فإذا أنقطعت به المئونة أكرى نفسه للحمالين ، مقابل ما يستعين به خلال تلك الرحلات ، وقد لوحظ عليه آثار الإرهاق من تلك الأسفار وعندما قيل له ذلك ، قال: «ما كسبته من علم في تلك الأسفار لا تساوي المشقة معه شيئاً ، فهو أكبر منها».

٤) حرص الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على طاعة والدته منذ الصغر ، والعمل علي تحقيق رغبتها ، فقد امتنع عن بعض رحلاته لطلب العلم ، بسبب شعوره بعدم رغبة والدته ، وكانت والدته حريصة عليه أشد الحرص - كما هي عادة الأبوين دائماً - فعندما كانت تراه يريد الخروج مبكراً لطلب العلم - قبل صلاة الفجر - تأخذ ملابسه ، وتقول له حتى يصبح الناس أو حتى يؤذن ، وهذا يعكس مدى جو الاحترام والعطف والحنان ، التي كانت تعيشه أسرة الإمام أحمد بن حنبل ، ومدى ما يكنّه لوالدته من احترام وتقدير وطاعة ، وهذا مما يدعوا إليه ديننا الإسلامي في البر بالوالدين.

٥) إمتاز الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على أقرانه وزملائه في الدراسة ، بالنبوغ

والتفوّق وما ذلك إلاّ بسبب حبه للعلم «بعد توفيق الله» ، وبذله قصارى جهده لطلبه ، حيث لم يكن لشاغل مهما كان أن يشغله عنه – سوى رغبة والدته – وقد كان يتلقى العلم بجد واضح ، وعقل متفتح ، وذهن صافٍ ، ورغبة أكيدة وحرص شديد ، فكانت النتيجة التفوّق على زملائه.

النتيجة التفوّق على زملائه.

٦) حفظ العلم لا يكون إلاّ بتدوينه ، أما حفظه في الصدر فإنه يعرّضه للضياع ، والنسيان ، لذا فقد حَرِصَ الإمام أحمد بن حنبل علي تدوين العلم ، حتى يستطيع الرجوع إلى ما دونه عند الحاجة إلى ذلك ، وكان ينهى طلابه وأبناءه عن التدوين –كتابة العلم– بخط دقيق لأن ذلك من أسباب ضياع العلم ، فعندما يرجع طالب العلم إلى ما كتبه لا يستطيع قراءته ، أو قراءة بعض فقراته فيؤدي ذلك إلى ضياع العلم ، وقد كان الإمام أحمد صاحب عبارة مشهورة ، تدل على مدى عنايته واهتمامه بالعلم والتدوين طيلة حياته حيث يقول (مع المحبرة إلى المقبرة).

٧) كان الإمام أحمد بن حنبل ينهى طلابه عن كتابة بعض فتاواه ، خشية اختلاطها بالحديث النبوي الشريف لأنه يرى أن تلك الفتوى ، إنما تصدر من إنسان غير معصوم ، فلربما غيّر تلك الفتوى ، أو رأى من خلال اطلاعه أن تلك الفتوى غير صحيحة وعَدَل عنها ، فإن وجودها قد يسبب تشويشاً ، وخلافاً ، واضطراباً لدى العامة ،. أما ما عدا ذلك من أحاديث وغيرها فقد كان هو يمليها على طلابه حتى يكتبوها.

٨) ما امتاز به الإمام أحمد من قدرة على الحفظ ، وتمتعه بذاكرة جيدة ، فقد كان يحفظ ، حسب ما يقول بعض أصحابه – ألف ألف حديث ، وبعد وفاته بلغت كتبه عشرين حملاً.

٩) عمَّ الرخاء والازدهار الاقتصادي أرجاء الدولة الإسلامية في العصر الأول من الخلافة العباسية وخاصة في عهد الرشيد ، ولكن هذا الازدهار لم يكن ليصرف العلماء عن المسئولية العظمى التي تحملوها ، ولم يشغلوا أنفسهم بذلك الازدهار ، وإنما إنصرفوا إلى طلب العلم ، وتعليمه لأبناء المسلمين ، وكانت حياتهم حياة كفاف وزهد في الدنيا ومتاعها الزائل.

١٠) كما اشتهر عصر الإمام أحمد بن حنبل بما يسمى: النهضة العلمية ، أو الانفجار المعرفي – فقد اهتم خلفاء بني العباس بالعلم ونشره أيما اهتمام وانشئت الدور المخصصة للعلم والترجمة مثل «بيت الحكمة في بغداد» وتُرجمت كثيرٌ من الكتب من اللغات الهندية ، واليونانية ، الفارسية ، والروسية إلى اللغة العربية ، وبذلك تنوعت المعارف وتعدّدت ، وأصبح لكل علم من تلك العلوم مرتادوه والمهتمون به ، كما ظهرت في ذلك العصر بعض المذاهب الدينية ومنها الجهمية حيث برزت مكانتها ، وسيطر أصحابها حتى على الخلفاء ، ومن أشهر ما نادوا به وأدخلوه في الدين قولهم «بأن القرآن مخلوق» تلك الفرقة التي أحدثت كثيراً من الاضطهاد والتعذيب لبعض العلماء ، وجعلت كثيراً منهم يقولون بها إما تَقية لشدة خوفهم من الخلفاء أو غير ذلك.. .

١١) تحمّل الإمام أحمد كثيراً من التعذيب والسجن والضرب في سبيل تصديه لهذه الفرقة الضالة ورفضه أن يقول بما تقول به الجهمية من أن القرآن مخلوق، وتعرض للسجن ، والضرب المبرح في سبيل ذلك ، ولكنه تحمله راضياً ، في سبيل الدفاع عن الإسلام ، ورد الاباطيل التي روّج لها أصحاب هذا المذهب الهدام ومن تبعهم وناصرهم من الخلفاء ، فاستخدموا قوة السلطان لإجبار الناس على القول بها ، ولكن الإمام أحمد تحمّل كل ما لقيه في سبيل ذلك وكان يقول «السجن كره ، القيد كره ، الضرب كره ، والوعيد كره» ولكن هذا الكره كان محبباً لدى الإمام أحمد ، لانه كان لله وفي الله.

١٢) اهتمام الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بِنشرْ العلم ، وتعليمه ، فبعد أن بلغ في العلم شأناً عظيماً ودرجة عالية ، وبلغ الاربعين من عمره ، جلس لإلقاء دروسه في جامع بغداد ، وكان يحضر دروسه ما يزيد على خمسة آلاف ، بينما كان قرابة خمسمائة طالب يكتبون عنه. كما كان له درس آخر في المنزل لاسرته ، وبعض طلابه.

١٣) كان للإمام أحمد مبدأ تربوي وهو التدرج في تعليم طلاب العلم ، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون ، حتى لا يسبب ذلك لهم كراهة العلم والنفور منه.

وهو يرى أن على طالب العلم أن يبدأ بتعلم القرآن الكريم كاملاً ، فإذا لم يستطع يتعلم بعضه ،حتى يستطيع أن يؤدي به الصلاة ،ويعينه على الاستمرار في تلاوة القرآن.

١٤) كان الإمام أحمد ينادي بإلزامية التعليم ، لأن العلم نور ، وهو الذي يهدي إلى طريق الحق والصواب ، متمسكا بالحديث «ويل للعالم من الجاهل ، حيث لم يعلمه» فإن التهديد في هذا الحديث يشير إلى ضرورة تعليم الجاهل حتى لا يُعاقب العالم على تركه الجاهل ، دون تعليم ، فلو أن الأمر مباح أو للاستحسان لما تضمن الوعيد الشديد للعالم الذي لا يقوم بواجبه في تعليم الجاهل .

١٥) يعتبر المعلم الركيزة الأساسية في العملية التعليمية ، وعمله عظيم ومسئوليته كبيرة ، لذا يرى الإمام أحمد بن حنبل أن على المعلم أن يتصف بصفات تحصيلية مهمة بأن يكون غزير العلم ، وواسع الاطلاع ، لا يكتفي بمؤهل علمي يحصل عليه ، بل لا بد من البحث والاطلاع على كل ما هو جديد ومفيد ، كما أن على المعلم أن يتصف بالأخلاق الحميدة ، والصفات الفاضلة ، وكل ما هو خير ، ويجب عليه أداء عمله على أكمل وجه ، وبأفضل أسلوب ، وأن يكون دائم النصح والإرشاد لطلابه لكل ما فيه خير لهم ، ويحذّرهم من كل ما يسبب لهم المكروه ، أو يبعدهم عن عقيدتهم الإسلامية الصحيحة.

١٦) على المعلم الاستمرار في البحث والتنقيب في الكتب والمراجع ، وأن يكون دائم الاطلاع على كل ما هو جديد في مجال تخصصه بصفة خاصة ، وفي سائر العلوم بصفة عامة وأن لا يعتمد علي مؤهله العلمي فقط ، لأن المعرفة الإنسانية في تطور مستمر.

١٧) يُعتبر المعلم القدرة الحسنة لتلاميذه ، لذا عليه أن يكون ذا سلوك حسن ، وأخلاق فاضلة وصفات حميدة ، وألاّ يتصف بالغضب أوالانفعال السريع ، وأن يكون عادلاً بين تلاميذه ، يعاملهم معاملة حسنة ، يهتم بأحوالهم وكل ما يفيدهم كما يهتم بمظهره وحسن ملابسه ، ويعتني بشعره ويكون لباسه ساتراً غير شفاف.

١٨) القرآن الكريم المصدر الأساسي للشريعة الإسلامية ، فيجب على المعلم أن يتقن تلاوته، وأن يستمر فيها بتخصيص ورد منه لكل يوم ، ولأهمية اللغة العربية – فهي لغة القرآن الكريم – لذا على المعلم أن يحافظ عليها ويكون تخاطبه مع طلابه بها ولا يقبل منهم غير ذلك.

١٩) كما أن طالب العلم أحد الركائز الأساسية للعملية التعليمية لذا يجب عليه أن

يتصف بصفات وأخلاق فاضلة ، وأن يكون حريصاً على العلم ، شديد الإحترام لمعلميه.

٢٠) حثّ الإسلام على طلب العلم كل مسلم ومسلمة وذلك يشمل النساء لأن دورهن عظيم في المجتمع فالمراة المتعلمة تستطيع تربية اولادها التربية الإسلامية الصحيحة ، كما أن من المهام التي تقوم بها المراة المتعلمة المساهمة في تعليم بنات المجتمع وعلاج المسلمات في المجتمع حيث تعمل طبيبة أو ممرضة ، وغير ذلك مما يتناسب مع طبيعة المرأة ، ويوافق الشريعة الإسلامية.

٢١) على طالب العلم إحترام معلمه وتقدير الدور الذي يقوم به ، لأن احترام المعلم احترام للعلم وفيه اعتراف بأهمية ما يقوم به المعلم في سبيل نشر العلم ، ونهضة الأمة.

٢٢) يجب على المجتمع أفراد ومسئولين احترام المعلم ، وتقدير جهوده التي يبذلها في تعليم أبنائهم ، كما أن على المسئولين عن التعليم الاهتمام بالمعلم وتكريمه ، بإقامة أسبوع لتكريم المعلم -مثلاً- توزع فيه شهادات تقدير للمعلمين البارزين ، ليكون ذلك إشعاراً منهم للمجتمع بأهمية دور المعلم ، وأثره الكبير ، في النهوض بالأمة وتقدمها ، وليكون حافزاً للمعلمين المقصرين في بذل المزيد من الجهد والارتقاء إلى الافضل حتى يحصلوا على التكريم المناسب.

٢٣) أن يحرص المعلم على التطبيق العملي لدروسه ، واستخدام الوسائل المعينة المناسبة لكل درس والحرص أشد الحرص على تطبيق: شعائر الإسلام أمام التلاميذ ، ومن ثم مطالبتهم بأدائها أمامه ، حتى يتأكد من اجادتهم لها وإتقانها.

٢٤) على المسئولين عن التعليم عامة والمعلمين بصفة خاصة ، الاهتمام بمادتي الإملاء والخط فهما الركيزتان الأساسيتان لنجاح الطالب في تعليمه ، فيخصص لتدريسها من لديه الكفاءة وحُسن الخط ، وأن يتابع المعلم تلاميذه في ذلك بدقة ،حتى يصلوا فيهما إلى درجة عالية من الإجادة والإتقان.

٢٥) على طالب العلم الاهتمام بوالديه وطاعتهما ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعة الوالدين والبر بهما ، وقد وردت كثر من الآيات الكريمة تأمرنا بطاعة الوالدين وحُسن معاملتهما ، وخاصة في الكبر ، فقد كان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله يمتنع عن السفر لطلب العلم عندما يرى أن ذلك لا يوافق رغبة والدته.

٢٦) كما أن على طالب العلم الجد والاجتهاد في طلب العلم ، وأن يتحمل المصاعب ، والمشاق التي تقابله في سبيل ذلك ، وأن يكون شديد الحرص على طلب المزيد من العلم ، وأن يستخدم العلم فيما هو مفيد له من دينه ودنياه ، وأن يبتعد عن الكسل والخمول ، لأن ذلك سبب في إخفاق الطالب وعدم نجاحه.

٢٧) يجب على طالب العلم أن لا يقنع من العلم باليسير بل عليه الاستمرار في طلب العلم ، حتى حصوله على الدرجات العلمية العالية ، وأن يجعل طلبه للعلم خالصاً لوجه الله حتى تتحقق له السعادة في الدنيا ، والأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ، وعليه بعد حصوله على المؤهل العلمي الاستمرار في القراءة والاطلاع على كل ما هو جديد في مجال العلوم.

٢٨) على المعلم أن يحرص على بث الشعور بأهمية العلم في نفوس طلابه ، من الاهتمام بالعلم ، والاهتمام بكل ما يتصل بالعلم من كتب وأوراق ، وعدم إهمالها أورميها في أماكن لا يتناسب مع أهمية ما تحمله من علم.

٢٩) قال الشاعر: عدي بن زيد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فالجليس الصالح يهدي الى الخير والجليس السوء يدمر الأخلاق ، وقد ضرب لنا الرسول ﷺ وسلم مثلاً عن الجليس الصالح والجليس السوء حيث شبه الجليس الصالح بحامل المسك إما أن تشتري منه أو يحذيك أو تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً كريهة ، لذلك على طالب العلم أن يَحْسن اختيار الأصدقاء ، وأن يكونوا ممن يتصفون بالدين والأخلاق الإسلامية ، والابتعاد عن رفقاء السوء.

٣٠) على المعلمين الاستفادة من الأساليب التربوية التي كان يتبعها سلفنا الصالح في تعليمهم لطلابهم ومن تلك الأساليب ، المناظرة ، الأسئلة ، والحوار ، الكتابة ، القراءة.

لأن هذه الأساليب هي التي تناسب مجتمعنا الإسلامي وتتفق مع أخلاقنا الإسلامية. فقد نشأت وأوجدت في بيئتنا وهي ملائمة لتعليم أبنائنا ، مع إدخال بعض التعديلات

التي تناسب طلاب العلم اليوم ، لانهم يختلفون كثيراً عن طلاب العلم السابقين الذين كانوا يطلبون العلم إبتغاء وجه الله ، والحصول على فائدة علمية ، وتعمق في الدين لذلك كان إقبالهم على العلم وحرصهم على طلبه مهما كلفّهم ذلك من جهد وعناء.

أما طلاب العلم اليوم فالاغلبية منهم يطلبون العلم لنيل الشهادة العلمية فقط دون الاهتمام بالعلم أو الحرص عليه.

٣١) ضرورة تولي المعلم تأديب طلابه ، إضافة إلى تعليمهم ، فيجب على المعلم أن يؤدب طلابه ، ويهذب سلوكهم ، ويوجههم إلى السلوك الحسن ، ويتابعهم على ذلك وينبههم باستمرار على الخطأ في سلوكهم وأخلاقهم طوال فترة التعليم.

ثانياً : التوصيات

١) الاهتمام بالمزيد من البحث والتنقيب في تراثنا الإسلامي الخالد ، كما يجب إظهار ما يحتويه هذا التراث من مبادئ وقيم تربوية تتفق مع شريعتنا ، وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية، ففي تجارب علماء المسلمين السابقين خير عون لنا في مسيرتنا التربوية الحاضرة ، لذا يجب علينا تطبيق ما اتبعوه من مبادئ وأساليب تربوية ، وعدم الاعتماد على ما يمليه علينا الغرب من نظريات وأساليب لا يتفق كثير منها مع عقيدتنا وأخلاقنا الإسلامية.

٢) الاهتمام بمادتي الإملاء والخط فهما أساسيتان في عملية التعليم ، وبدونهما يفقد التعليم أهميته ، لذا على المسئولين عن التعليم بصفة عامة وعلي المدرسين بصفة خاصة الاهتمام بتدريس هاتين المادتين وأن لا يكلف بتدريسهما إلاّ من يتقنهما ، ويمكن أن يفيد الطلاب بهما ، حيث يلاحظ الباحث سوء الخط وضعف الإملاء عند كثير من طلاب العلم اليوم.

٣) تنمية الشعور بالانتماء للدين الإسلامي الحنيف والولاء لوطننا الغالي ، الذي يبذل المسئولون فيه كل ما يستطيعون في سبيل نهوضه ، وتقدمه ، وتقدّم الدولة مشكورة كل ما يحقق رفاهية المواطن ولكن نجد مع الأسف الشديد بعض من يعمل على إتلاف الممتلكات العامة من حدائق وأعمدة إنارة وغيرها ، وهذه لم توجد إلاّ لراحتنا ومن أجلنا ، فمن مصلحة من إذاً إتلافها ، وتشويهها ؟؟؟.

٤) على أولياء الأمور الاهتمام بتربية أولادهم وحُسْن رعايتهم خارج المدرسة ، وعدم الاكتفاء بما تقوم به المدرسة ، فالمدرسة لا تستطيع تحمل المسئولية وحدها ، خاصة إذا كان المجتمع يهدم ما تبنيه المدرسة وقد قال الشاعر(صالح عبدالقدوس):

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم.

لذا فواجب الآباء الاهتمام بمتابعة أبنائهم وإرشادهم وتوجيههم خارج المدرسة.

٥) احترام المعلم احترامٌ للعلم ، فيجب على المسئولين عن التعليم في بلادنا الغالية الاهتمام بالمعلم وذلك بإقامة أسبوع لتكريم المعلم ، تشارك فيه وسائل الإعلام من

إذاعة وتلفاز وصحافة تقديراً للجهد الذي يبذله المعلم، يشابه ذلك الاسبوع ما يقام من أسابيع ، للمساجد ، والشجرة والنظافة والمرور ... ويتم في هذا الاسبوع إقامة حفل مصغر في كل إدارة تعليمية يتم فيه تكريم المعلمين المبرزين ، تقديراً لجهودهم وحثاً لزملائهم على الارتقاء بمستواهم إلى ما هو مأمول حتى ينالوا التكريم.

٦) الحرص على زيادة مقرر الحفظ من سور القرآن على التلاميذ في الصف الأول ، والثاني والثالث حتى يتم حفظ أكبر قدر ممكن من القرآن الكريم ، حيث إن كثيراً من علماء المسلمين حفظوا القرآن قبل بلوغ العاشرة من أعمارهم.

٧) التقليل من المواد الدراسية والكتب المقررة على تلاميذ الصفوف الدنيا من المرحلة الابتدائية والتركيز وخاصة في الصف الأول - علي مادة القرآن الكريم - والقراءة ، والكتابة وبعض المباديء البسيطة في الحساب حتى يتسنى للتلميذ في هذه المرحلة إجادة وحفظ أكبر قدر من القرآن الكريم ، وإجادة القراءة والكتابة وإتقانهما لأنهما من أهم أسباب التعليم الجيد ، والاهتمام بِحُسْن الخط وإتقانه.

٨) تنمية حُب العلم والمحافظة على الكتب وعدم العبث بها ، واستخدامها الإستخدام الأمثل ، وحسن ترتيبها وتنظيمها - إذا وجدت لدى الطالب مكتبة في المنزل - لسهولة الرجوع إليها.

٩) تنمية حب القراءة والاطلاع لدى الطلاب ابتداء من المرحلة الابتدائية بتخصيص حصص في الجدول الدراسي الاسبوعي لزيارة المكتبة ، والاستفادة منها ، بحيث تتاح الفرصة لكل طالب بالاطلاع على الكتب التي يريدها ، ويطالب كل طالب في نهاية كل فصل دراسي بتقديم بحث مصغّر يشتمل على بعض الموضوعات والكتب التي اطلع عليها خلال ذلك الفصل الدراسي ، أو عمل تلخيص مُبسط لما قرأه ، ويفضل أن تقدم جوائز لصاحب أفضل بحث أو تلخيص في نهاية كل فصل ، مع تخصيص درجة في حدود عشر درجات تضاف لمن يتقدم ببحث أو تلخيص في نهاية الفصل تشجيعاً له على جهوده ، وحافزاً لبقية زملائه للمشاركة وزيادة الفاعلية ، وتضاف تلك الدرجات الى مجموع درجات الطالب تحت عنوان - قراءة واطلاع - أو قراءة حرة .... ويرى أن في ذلك تشجيعاً للطلاب على إرتياد المكتبات ، والتعود على القراءة ، حتى تصبح تلك

القراءة عادة لديهم لا يستطيعون تركها ، وبذلك يتحقق الهدف النبيل الذي من أجله أوجدت المكتبات في المدارس ، حيث أنها لم توضع لمجرد ديكور أو تكميل أثاث ، وإنما وضعت للاستفادة منها .

كما يرى تخصيص جائزة فصلية لكل معلم يرتاد المكتبة ، ويقدّم بحثاً عن موضوع من المواضيع التي تهم التربية ، ويمكن الاستفادة منه ، وفي ذلك أيضاً تشجيع للمدرسين على إرتياد المكتبات والاطلاع .

١٠) النظافة من الإيمان ، لذا من واجب رجال التربية تعويد التلاميذ على التمسك بالآداب العامة ، منذ بداية حياتهم – في المنزل ثم في المدرسة – بالمحافظة على النظافة ، نظافة ملابسهم ، نظافة أجسامهم ، نظافة ، كتبهم ودفاترهم ، نظافة فصولهم ، نظافة مدرستهم ، نظافة شوارعهم وبالتالي نظافة مدينتهم ، لأن ديننا الإسلامي يحب النظافة ، ويحرص على تربية أبنائه عليها ، لذا فعلى المدرسة بالتعاون مع المنزل ، تعويد التلاميذ على المحافظة على النظافة لأن النظافة تؤدي إلى الصحة ، وتقضي على مسببات الأمراض ، فتكون بيئتنا صحية خالية من التلوّث ، وحدائقنا جميلة نظيفة من بقايا الأطعمة ، والنفايات ، وهذا بالتالي يؤدي إلى مجتمع سليم خالٍ من الأمراض – بإذن الله – ويعكس مدى الوعي ، والتقدم والحضارة لدينا ، وتعويد التلاميذ على النظافة ، لا يكون بكلمات مجرّدة ، أو عبارات منمقة ، وإنما بالتطبيق العملي والحرص الشديد عليه ، ومعاقبة المخالف ، معاقبة تكون ردعاً له ، ومانعة لغيره من الوقوع فيها مستقبلاً ، ولا تستطيع المدرسة وحدها القيام بتلك المسئولية ، بل لا بد من تعاون الأسرة في ذلك ، وكذلك تعاون أفراد المجتمع لأن أي اختلال أو قصور من أحد هؤلاء الأطراف قصور في آداء الدور المنوط به ، ويؤدي إلى إختلال في العمل ، وبالتالي يؤدي إلى الفشل في تحقيق الهدف المنشود من العملية التربوية في المدرسة والمجتمع.

وفي الختام أحمد الله وأشكره على عونه وتوفيقه ، راجياً أن يكون عملي هذا خالصاً لوجه الكريم ، كما أسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والإخلاص في جميع الأعمال وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم والحديث الشريف

١) القرآن الكريم

٢) البخاري ، محمد بن اسماعيل (١٩٤-٢٥٦هـ) «صحيح البخاري» بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١-١٩٨٨١م.

٣) مسلم ، بن حجاج «٢٠٤-٢٦١هـ» (صحيح مسلم) ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ.

٤) أبو داؤد ، سليمان بن الأشعث «٢٠٢-٢٧٥ » (سنن أبي داوود) ، بيروت ، دار الفكر، ١٣٩٣هـ.

٥) ابن ماجه ، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (سنن ابن ماجه) بيروت ، دار إحياء الكتب العربية ، الجزء الأول، ١٣٧٢هـ.

٦) الألباني ، محمد ناصر الدين الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة) الرياض ، مكتبة المعرف ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٧) النووي ، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (رياض الصالحين) تحقيق عبالعزيز رباح واحمد يوسف الدقاق ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ثانيا : كتب الإمام إحمد بن حنبل.

١- ابن حنبل ، أحمد (الصلاة وما يلزم فيها) القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح ، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.

٢) ابن حنبل ، أحمد (كتاب الورع) القاهرة ، مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ.

٣) ابن حنبل ، أحمد (الرد على الزنادقة والجهمية) القاهرة، المطبعة السلفية ، ١٣٩٣هـ.

٤) ابن حنبل ، أحمد (كتاب السنة) تحقيق الشيخ عدالله حس آل الشيخ - مكة المكرمة ، المطبعة اسلفية ، ١٣٤٩هـ.

٥) ابن حنبل ، أحمد (المسند) شرح وفهرسة إحمد محمد شاكر ، القاهرة دار المعارف بمصر ، ١٣٥٦هـ

٦) ابن حنبل ، أحمد (مسائل الإمام أحمد بن حنبل) رواية ابنه عبدالله ، تحقيق ودراسة علي سليمان المهنا ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧) ابن حنبل ، أحمد (أحكام النساء) تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٨٦م.

ثالثاً : مصادر ومراجع أخرى :

١) ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن الجوزي (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢) ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد (طبقات الحنابلة) القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٥٠هـ.

٣) ابن بدران ، عبدالقادر الدمشقي (المدخل إلى مذهب الإمام إأحمد بن حنبل) تصحيح وتقديم د/عبدالله عبد المحسن التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤) ابن حجر ، أحمد العسقلاني (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) مراجعة قصي محي الدين الخطيب ، القاهرة دار البيان ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٥) ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (وفيات الأعيان) ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٦) ابن سعد ، محمد بن سعد (الطبقات الكبرى) بيروت ، دار بيروت ودار الصادر مجلد (٧)، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

٧) ابن العماد احنبلي ، عبدالحي بن عماد الحنبلي (شدرات الذهب في اخبار من ذهب) بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، الجزء الثاني ، (د.ت).

٨) ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله (جامع بيان العلم وفضله) ، القاهرة ، دار الكتب الإسلامية ، ١٣٨٨هـ.

٩) ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله (الإستيعاب في معرفة الأصحاب) حيدر آباد ، الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣١٨هـ.

١٠) ابن قتيبية ، عبدالله بن مسلم(أدب الكاتب) تحقيق محي الدين عبدالحميد ،جدة ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ.

١١) ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (البداية والنهاية) بيروت ، دار الفكر ١٣٥٨هـ.

١٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) الكويت – دار القلم ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م.

١٣) أبو زهرة ، محمد (ابن حنبل حياته وعصره) دار الفكر العربي ١٣٦٧هـ ، ١٩٤٧م.

١٤) الأصبهاني ، أبو نعيم ، أحمد بن عبدالله (حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء) مصر مكتبة الخانجي والسعادة ١٣٥٤هـ – ١٩٨٣م.

١٥) د/ ابراهيم ناصر (التربية وثقافة المجتمع) عمان ، بيروت ، دار الفرقان والرسالة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

١٦) د/ابراهيم ناصر (مقدمة في التربية) عمان ، جمعية أعمال المطابع التعاونية ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

١٧) أحمد أمين (ضحى الإسلام) ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٣٥٥هـ.

١٨) أحمد محمد جمال (محاضرات في الثقافة الإسلامية) القاهرة – مطبوعة الشعب الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

١٩) أمير علي سيد (مختصر تاريخ العرب) بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م.

٢٠) البغدادي ، أبي بكر احمد بن علي الخطيب ، (تاريخ بغداد) بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٦١هـ.

٢١) التركي ، د/عبدالله عبدالمحسن (أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل) الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٢٢) جابر عبدالحميد واحمد خير كاظم(مناهج البحث في التربية وعلم النفس) القاهرة – دار النهضة العربية – الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.

٢٣) الجزائري ، أبو بكر (العلم والعلماء) جدة ، دار الشروق – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)

٢٤) الجندي ، عبدالحميد (الامام احمد بن حنبل إمام أهل السنة) القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

٢٥) د/حسن ابراهيم (تاريخ الاسلام) القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثامنة ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

٢٦) د/ حسن ابراهيم عبدالعال (فن التعليم عند ابن جماعة) مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٧) الحقيل ، د. سليمان عبدالرحمن (الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية) ، الرياض ، مطابع الشبل ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢٨) الحموي ، ياقوت (معجم البلدان) تحقيق ، فريد عبدالعزيز النجدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى (د.ت).

٢٩) د/ الدامرداش ، عبدالحميد سرحان (المناهج المعاصرة) الكويت ، مكتبة الفلاح الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٣٠) الدقر ، عبدالغني (أحمد بن حنبل إمام أهل السنة) دمشق ، دار العلم ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣١) الدومي ، أحمد عبدالجواد : (احمد بن حنبل بين محنة الدين والدنيا) بيروت ، المكتبة العصرية ،، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م.

٣٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (سير اعلام النبلاء) تحقيق شعيب الأرنؤوط – بيروت ، مؤسسة الرسالة الجزء الثامن الطبعة العاشرة ، ١٤١٠هـ .

٣٣) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (سير اعلام النبلاء) تحقيق شعيب الأرنؤوط – بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الجزء التاسع الطبعة التاسعة ١٤٠٩هـ.

٣٤) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ترجمة الامام احمد بن حنبل) مكة المحكرمة ، مكتبة ابن حجر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٥) الذهبي ، محمد حسين ، (التفسير والمفسرون) القاهرة ، مكتبة وهبة – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٦) الزجاج ، ابراهيم بن السري: (اعراب القرآن) تحقيق ودراسة ابراهيم الابياري ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.

٣٧) الزرنوجي ، برهان الدين (تعليم المتعلم في طريق التعلم) تحقيق صلاح الخيمي ونذير حمدان ، دمشق ، بيروت ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى (د.ت).

٣٨) سيد الأهل ، عبدالعزيز (شيخ الأمة الإمام أحمد بن حنبل) بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

٣٩) السيوطي ، جلال الدين (تاريخ الخلفاء) المطبعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

٤٠) السيوطي ، جلال الدين (تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك) مصر ، عبدالحميد أحمد حنفي ، الجزء الثالث (د. ت).

٤١) الشرباصي ، أحمد (الإئمة الأربعة) بيروت ، دار الجيل) (د.ت).

٤٢) الطبري ،أبو جعفر ، محمد بن جرير (تاريخ الطبري) روائع التراث العربي (د.ت).

٤٣) العجلوني ، اسماعيل بن محمد (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) حلب ، مكتبة التراث ، الطبعة الأولى (د،ت).

٤٤) الغزالي (إحياء علوم الدين) القاهرة – المكتب التجاري (د،ت)

٤٥) الفيروز أبادي ، محمد الدين محمد بن يعقوب (القاموس المحيط) بيروت ، دار الجيل (د،ت)

٤٦) فيليب هـ. فينكي ، (فلسفة التربية) ترجمة د/محمد لبيب النجمي) القاهرة ، نيويورك ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٤٧) كردي ، محمد علي(أمراء البيان) بيروت ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

٤٨) كمال دسوقي (الإجتماع ودراسة المجتمع) القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م

٤٩) الكيلاني ، د. ماجد عرسان (تطور مفهوم النظرية التربوية في الإسلام) المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٠) د. محروس سيد مرسي (التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية) مصر ، دار المعارف ، الطبعة الإولى ١٣٩٨هـ - ١٩٨٨م.

٥١) مدور ، جميل نخلة (حضارة الإسلام في دار السلام) القاهرة - المطبعة الأميرية ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

٥٢) المسعودي (مروج الذهب) القاهرة - المكتبة التجارية ، ١٣٨٤هـ.

٥٣) النحلاوي ، عبدالرحمن (أصول التربية الإسلامية وأساليبها) دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.